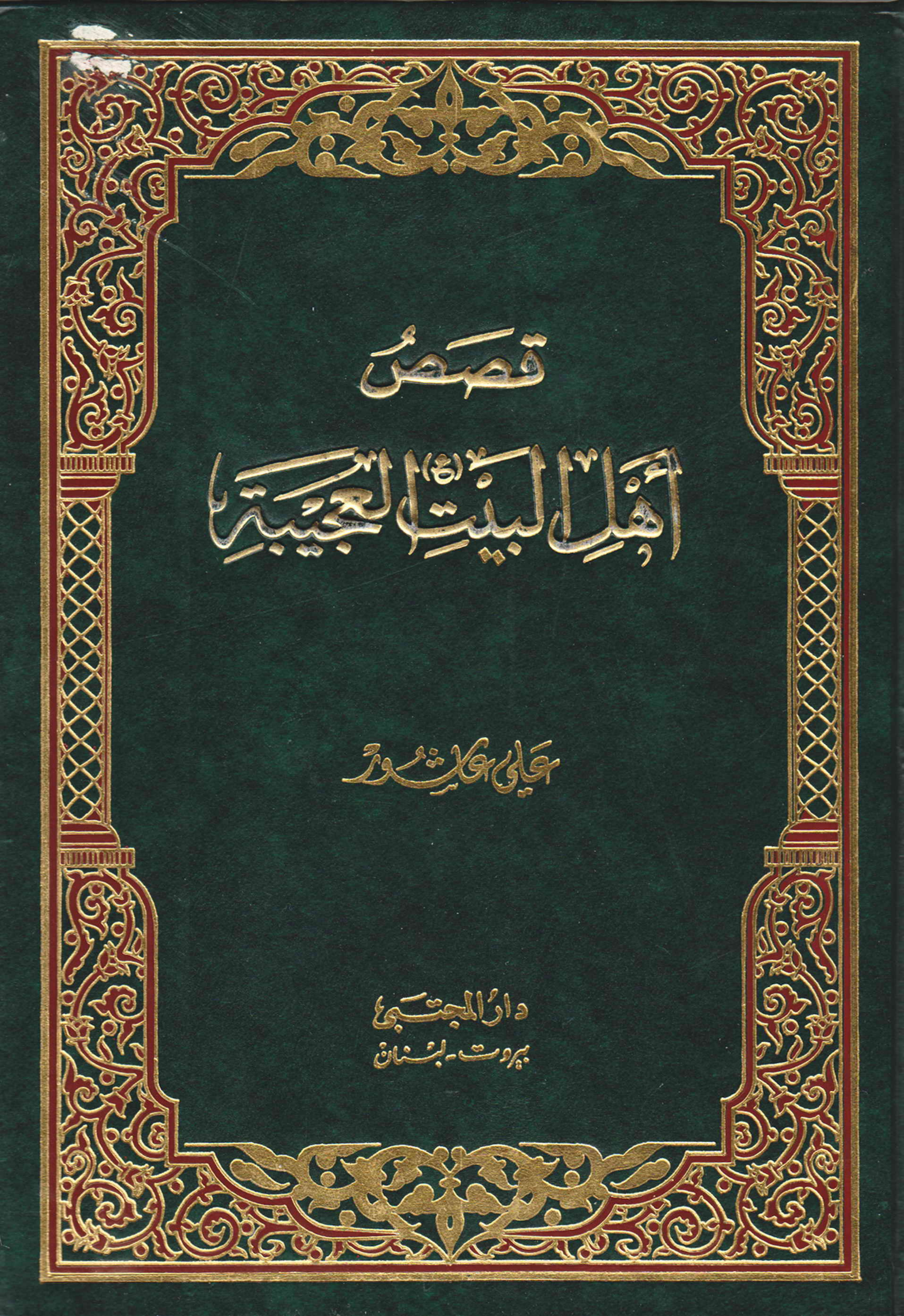

قصص
أهل البيت (ع) العجيبة
علي عاشور
دار المجتبى
بيروت - لبنان

قصص

أهل البيت (ع) العجيبة



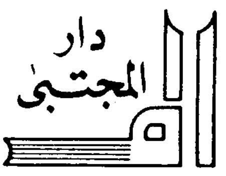
قصص

أهل البيت (ع) العجيبة

علي عاشور

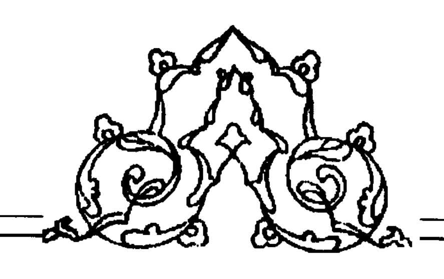
دار المجتبى
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



للطباعة والنشر والتوزيع حارة حريك - بيروت - لبنان تلفون: ٠٣/٣٨٠٩٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم



الاهداء

الى صاحب الامر والزمان ... الى بقية الله الاعظم (عجل الله فرجه) الى محي معالم الدين وأهله ...

الى جامع الكلمة على التقوى ... الى باب الله الذى منه يؤتى ... الى وجه الله الذي اليه يتوجه الأولياء ...

... الى السبب المتصل بين الارض والسماء ...

الى صاحب الفتح ، وناشر راية الهدى ... الى الطالب بذحول الانبياء ، الى الطالب بدم المقتول بكربلاء ...

الى الطهر المسمى بجده حزين القلب عبرته تجري
الى الذي يملأ الدنيا بأجمعها
عدلاً وقسطاً باذن الله عن كثب

اليك يا سيدي ... ارفع هذا الكتاب راجياً القبول ...

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

القصة الحادية عشرة :

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

القصة الرابعة عشرة :

محتويات الكتاب

القصة الخامسة عشرة :

القصة السادسة عشرة :

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

القصة العشرون :

الفهارس :

تقديم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العالي ذي المجد والجلال والافضال
ثم الصلاة والسلام السامي على النبيّ المصطفى التهامي
وآله الائمة الاطهار ما اختلف الليل مع النهار

وبعد :

فانّ العبر والمواعظ من الامور المساعدة على إستقامة الانسان في مسيرته التكاملية نحو الانسانية ، وهي كثيرة ، بل لا يكاد شئ يخلو منها ، قال إمامنا الكاظم عليه السلام لهارون الرشيد عندما سأله ان يعظه ويوجز :

« ما في شئ تراه عيناك إلّا وفيه موعظة»[1] . وقال امير المؤمنين عليه السلام : «ان في كل شئ موعظة وعبرة لذوي اللب والاعتبار»[2] .

أجل ان في كل شئ عبرة وحكمة ، ولكن اكثر الناس لا يعتبرون ،

---

(١) امالي الصدوق : ٤١١ الباب السادس والسبعون وكشكول الشيخ البهائي ١ : ١٠٢ .

(٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٤٢ .

كما أشار اليه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بقوله :

«ما اكثر العبر واقل الاعتبار»[1].

نعم المشكلة تكمن في باطن الانسان ، وهل لديه إستعداد لتلقي المواعظ والعبر ؟ هل عنده عزم لتقبل النصائح والحكم.

اذا شرح الانسان صدره ، وحرك فكره وجد الموعظة أمام عينيه ، قال أمير المؤمنين وسيد الواعظين علي بن ابى طالب عليه السلام :

«من كانت له فكرة فله في كل شئ عبرة»[2].

هذا حال العبر بشكل عام

اما العبر من القصص والحكايات ـ بشكل خاص ـ فانها تأخذ رونقاً خاصاً في النفس الانسانية.

لانّ الانسان وبطبيعته يأنس لقصص الآخرين ، ويحدّق بها السمع والبصر ، فتجذبه.

إلّا انّه قد لا يستفيد لنفسه من هذه الحكاية او تلك القصة ، غافلاً عن المقصود الذي جيئت من أجله ، ومن هنا تبرز الحاجة الى استخراج المواعظ والعبر من القصص ، وطرحها بشكل مستقل وواضح الى القارئ ، ليرجع الى نفسه ويرى هل هو من أولي الالباب الذين اعتبروا من قصص الماضين ، ام انه من الذين اعرضوا عن ذكر الله عزوجل :

«لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب»[3]

واننى اقدم للقرّاء الاعزّاء هذا العمل المتواضع في هذا الكتاب

---

(١) نهج البلاغة (الصالح) : ٥٢٨.

(٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٤٢.

(٣) يوسف : ١١١.

(الجزء الاول) المتداني ، راجياً من الله تعالى القبول ، ومنهم العذر عما فيه من الخطأ والزلل ، وان لا ينسونا من خالص دعائهم .

وقد سميته بـ «عبرة أولي الالباب من قصص الصديقين والاخيار» وابتدأت بالكلام عن بعض احوال اهل بيت النبوة ومعدن الرحمة عليهم السلام ، فذكرت في حقهم أربعة عشرة قصة بين معجزة ومنقبة ، على عددهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى يكون لي ذخراً يوم الدين، آمين رب العالمين.

ثم ثنيّت الكلام بذكر القصص الاخرى .

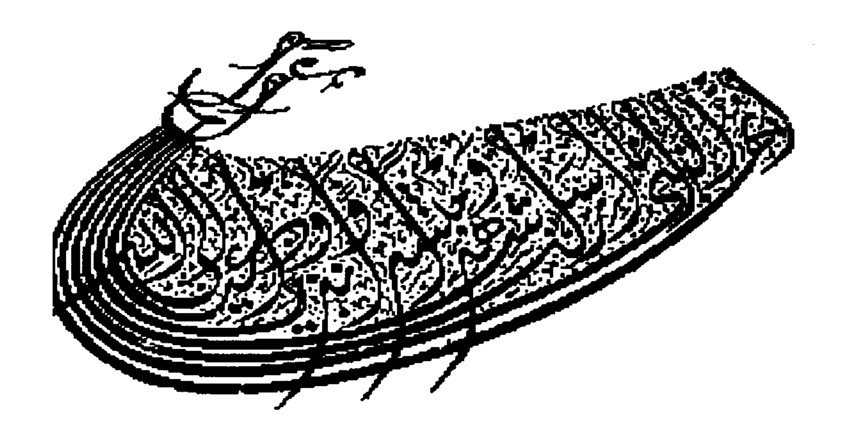
«.. موالي ان ذنوبي قد أخلقت وجهي عند الله عزوجل ، فبحق من عصمكم من الزلل ، واذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيرا ، إشفعوا لي بوجوهكم المشرقة عند ربكم ، فانه لا يردكم ، وقد قبلكم للشفاعة والمغفرة ، فانه يحب الكرامة لعباده المخلصين ، ويحب منهم الكرامة لمن دونهم من عباده المحتاجين ، والحمد لله رب العالمين» ...

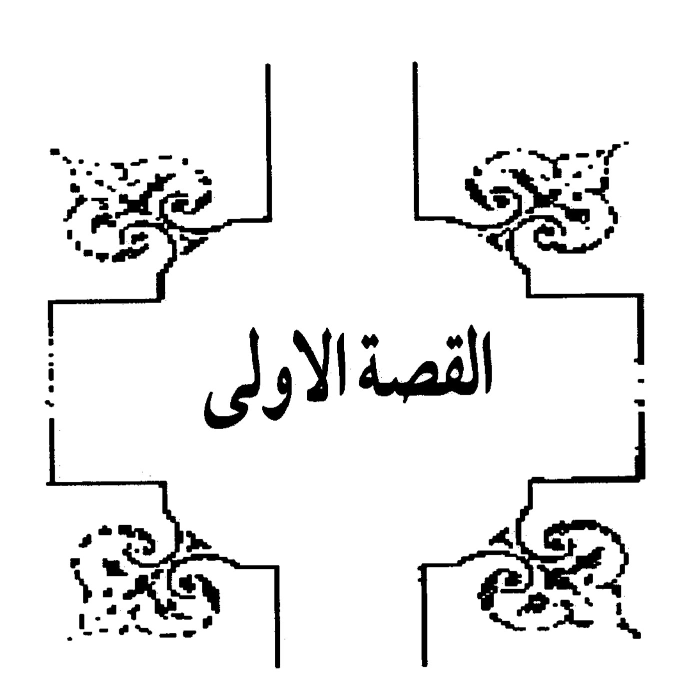
حرره بيده الشلاء

الاقل علي محمد عاشور

بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤١٣

قم المقدسة




القصة الاولى

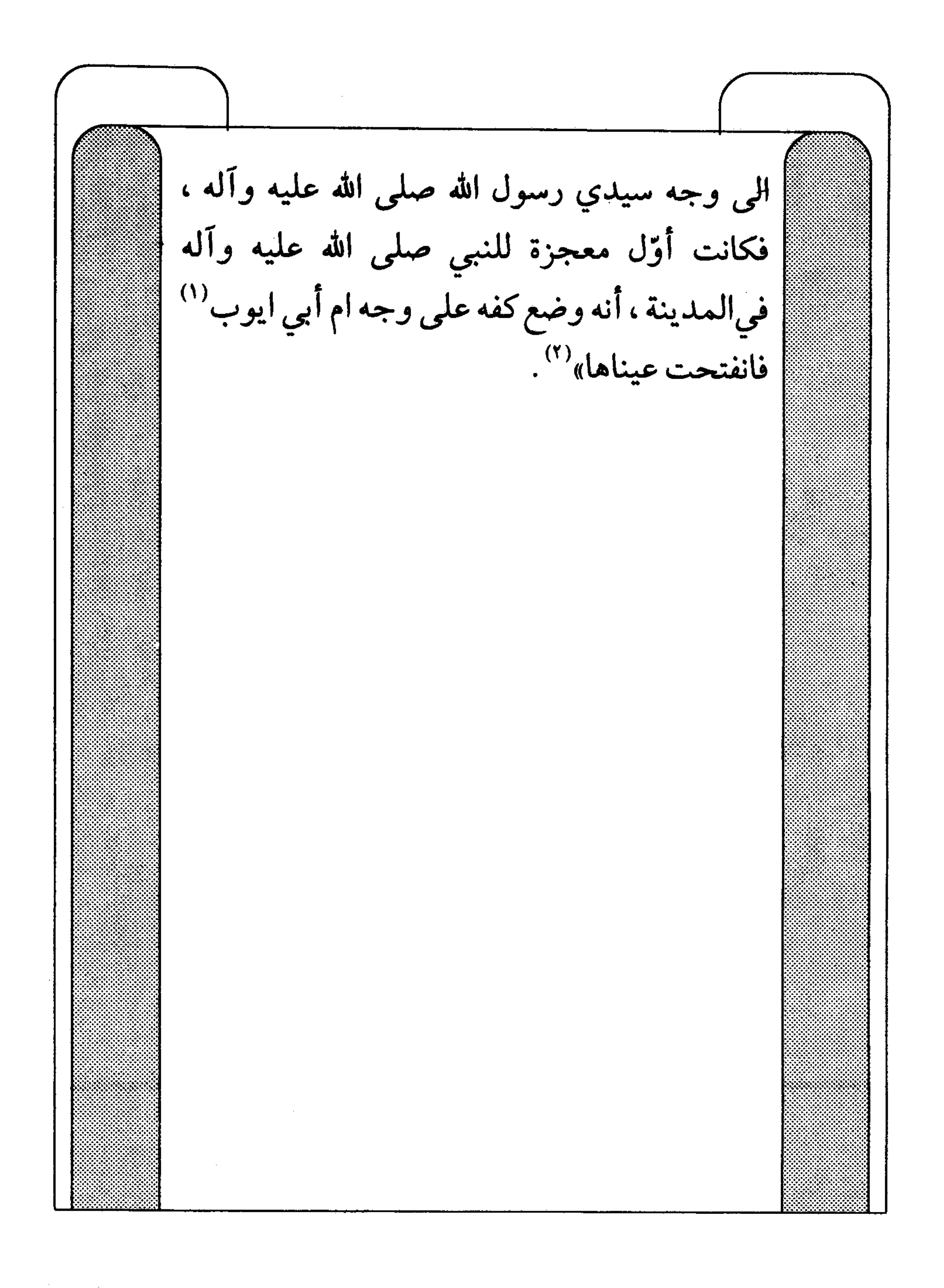
النور الاول

نور سيدنا ونبيّنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله

روي عن سلمان (رض) أنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة تعلّق الناس بزمام الناقة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة ، فعلى باب من بركت[1] فأنا عنده ، فأطلقوا زمامها وهى تهفّ[2] في السير حتى دخلت المدينة ، فبركت على باب ابي أيوب الانصاري ، ولم يكن في المدينة أفقر منه ، فانطلقت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي صلى الله عليه وآله. فنادى ابو أيوب : يا أماه افتحي الباب ، فقد قَدُمَ سيّد البشر ، واكرم ربيعة ومضر ، محمّد المصطفى ، والرسول المجتبى ، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقالت : واحسرتا ليت كان لي عين ابصر بها

(١) بركت : أناخت وجلست .

(٢) تهف بالتشديد : تسرع في السير .


الى وجه سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكانت أوّل معجزة للنبي صلى الله عليه وآله في المدينة ، أنه وضع كفه على وجه ام أبي ايوب[1] فانفتحت عيناها»[2] .

(١) وبلا ان تلاصق يده الشريفة وجهها .

(٢) مناقب آل ابي طالب ١ : ١٣٣ .

منقبة من مناقب الرسول الاعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، الذي حارت الالباب بتفكيره، وخلّت العقول لمنطقه، وتصاغرت العظماء لهيبته، وشاهت الوجوه لنور وجهه.

ذلك النور المنبثق من نور الله سبحانه وتعالى، والذي عجزت الملائكة عن النظر اليه، ظناً منها انه نور خالقها عز اسمه.

كما روي في الحديث الشريف: عن ابى عبدالله عليه السلام في حديث المعراج، قال: «*ان الله عزوجل لما عرج بنبيه الى سماواته السبع، اما اولاهن فبارك عليه، والثانية علمه فرضه، فانزل الله محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من انواع النور، كانت محدقة بعرش الله عزوجل تغشي ابصار الناظرين* ... (الى ان قال) ... *ثم عرج به الى السماء فنفرت الملائكة الى اطراف السماء وخرّت سجداً وقالت: سبوح قدّوس، ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرائيل عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر ... الخ*»[1].

وهذا النور كما كان مناراً لاهل السموات، كان مناراً لاهل الارض، مناراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، مناراً لصغيرهم وكبيرهم، لقويهم وضعيفهم، واليك بعض تلك الانوار الاجتماعية:

---

(١) فروع الكافي ٣: ٤٨٢، كتاب الصلاة، باب النوادر ح١ ـ وعلل الشرائع ٢: ٣١٢.

القاعدة الشعبية :

ان نزول النبي الاعظم صلى الله عليه وآله عند ابي أيوب حرّك المشاعر الانسانية ، وغيّر المعالم السائدة في المجتمع المدني .

تلك المعالم التي كانت تحترم الانسان من أجل غناه ، وتقيم وزناً لصاحب الوجاهة لمنصبه .

تلك المعالم التي جعلت الناس يظنون ان النبي صلى الله عليه وآله ، سوف ينزل عند اصحاب الوجاهة ، او حتى عند اول الناس إيماناً ، حتى ان بعض اهل المدينة لم يهتموا كثيرا لمكان نزول النبي صلى الله عليه وآله ، لعدم معرفتهم بالهدف الذي كان يرسمه صلى الله عليه وآله .

بل حتى ابي ايوب ، لم يفكر يوماً من الايام ان ينزل عنده صاحب دعوة ما ، او صاحب منصب ، فضلاً عن نزول نبي من انبياء السماء .

إلّا ان النبي صلى الله عليه وآله ، أراد ان يفعل ما يقول ـ ويقول ما يفعل ـ أراد ان يجسّد الاسلام بأفعاله ، وان يعرّف المجتمع المدني الذي كان جديد العهد بالاسلام ، أن الاسلام ليس مجموعة شعارات او طقوسات تطرح من دون اي قِيَم تبتني عليها المصالح الاجتماعية والسياسية ، الفردية منها والجماعية .

أراد ان يقول ان الاسلام دين المساواة ، لا يفرق بين عربي واعجمي ، ولا بين فقير وغني ، بل قد يفضّل الفقر على الغنى اذا كان الغنى يزيل معالم الانسانية ، ويمحق القيم الفطرية[1] .

---

(١) وسوف ياتي تفصيل ذلك في القصة السابعة .

اجل ، هذه هي الحكمة التى جعلت النبي صلى الله عليه واله ينزل عند أبي أيوب ، أفقر اهل المدينة ، وهي الحكمة التي تجعل كل صاحب دعوة يتجه الى واقع الشعب ان اراد النجاج .

ان من يطلب الاصلاح عليه ان ينزل الى الطبقة المحرومة في المجتمع ، ليعرف الفساد والظلم الذي تعيشه ، او يعيّشوا فيه ، تلك الطبقة التي لم تتعلق قلوبها بالماديات ، والتى لم تتلوث فطرتها بعد ، مما يجعلها مؤهلة لبذل الغالي والنفيس من اجل دعم هذه الحركة او تلك الدعوة ، لتقوى شوكتها وتتاجر مع الله تجارة رابحة .

مع عائلة أبي ايوب :

وبمجرد وقوف الناقة قرب منزل ابى ايوب ، تحرّكت مشاعر هذا الصحابي الجليل ، لينطق بكلمات تنبع من القلب ، تحكي عن إيمان عميق يكنّه للاسلام ، قائلا : « قدم سيد البشر ، اكرم ربيعة ومضر » . ومن اين علم ابو ايوب ان النبي صلى الله عليه وآله سيد البشر ! والحال انه لم يعاشره بعد ؟

نعم موقف النبي صلى الله عليه وآله سيد المواقف ، ذلك الموقف الذي جسّد السيادة الحقيقية للبشرية ، لانه يكشف عن مبادئ سليمة ، بعيدة عن المداهنة ، واي مداهنة بنزول نبيّ من انبياء السماء عند أفقر اهل قومه ؟!

«اكرم ربيعة ومضر»

فالى جانب هذه السيادة المتواضعة ، يأتي الكرم الهاشمي ، وتخرج

الرحمة المحمدية ، وتبرز المعجزة الالهية ، فبمجرد سماع النبي صلى الله عليه وآله صوت ام أبي أيوب ، يمسح على وجهها لترتّد بصيرة .

هذه هى المواساة الحقيقية ، وهذا هو الكرم الواقعي ، فقبل ان يدخل بيت هذه المرأة ، وقبل ان يأكل من طعامها ، اراد ان يعطي .

إن من يحمل الاصلاح لابد ان يعطي عطاءً بلا حدود ، عطاءً مملوءاً بالمحبة والرحمة ، غير مصحوب بالمنّة .

هذا هو الخلق العالي لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله ، وهذه هي الحكمة البالغة المصحوبة بالرحمة والرأفة الانسانية .

وقد أجاد من قال :

سلام على خير الورى خاتم النذر
سلام على المستحفظ الطاهر الطهر
سلام وريحان وروح ورحمة
على علم الدين المتوج بالفخر
سلام على بحر الندى لجة
به نزل الاملاكوالخير والذكر[1]

ولله در من قال :

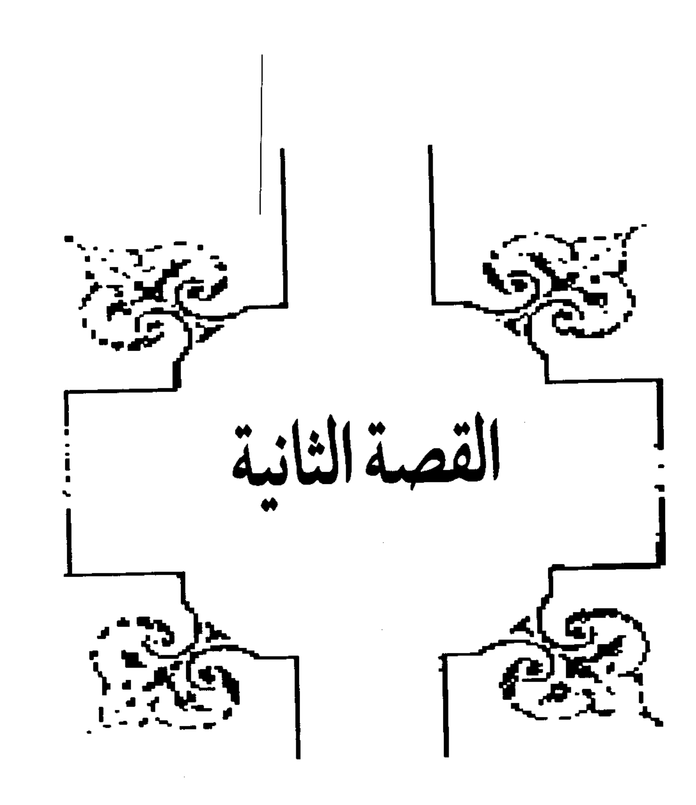
ألم تر ان الله اكرم احمدا
ونادى به حتى اذا بلغ المدى

---

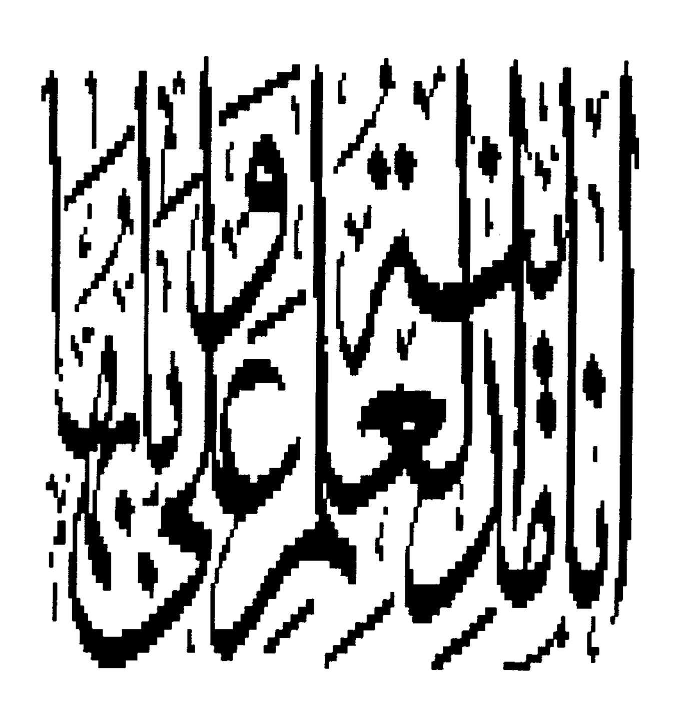
(١) مناقب آل ابي طالب ١ : ٣١٦.

تلقاه بالقرآن وحياً منزلا
فكان له روحاً كريماً مؤيدا
واعطاه ما أبقى عليه مهابة
فأورثه علما وحلماً وسؤددا
فيا خير خلق الله بل خير مرسل
لقد طبت فى الاعراق نشأً ومحتدا
بأنك عبدالله بل أنت كونه
وأنت مضاف الكاف شرعاً وما عدا
فعينك عين السّر والسمع سمعه
وانت الكبير الكل للعين ان بدا
وانت الذي اكنّي اذا قلت كنية
وانت الذي أعني اذا ما تمجدا(١)

(١) من كتاب الحب والمحبة الالهية : ١٨١ .



القصة الثانية



النور الثاني

نور سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام

روي عن ام سلمة وجابر الانصاري وابن عباس ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بكراع الغميم[1] فلما سلّم نزل عليه الوحي ، وجاء علي عليه السلام وهو على ذلك الحال فأسنده الى ظهره فلم يزل على تلك الحال حتى غابت الشمس ، والقرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وآله ، فلما تم الوحي قال يا علي صليت ؟

قال عليه السلام : لا ، وقص عليه .

فقال صلى الله عليه وآله : ادع ليرد الله عليك الشمس .

فسأل الله تعالى فردت عليه بيضاء نقية .

وفي رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم ان علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك

---

(١) كراع الغميم : على ثلاثة أميال عن عسفان .

فاردد عليه الشمس .

وروي انه صلى إيماء ، فلما ردّت اعاد الصلاة بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله»[١] .

وروي ان الشمس ما غربت إنمـا قاربت منه »[٢] .

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٣١٧.

(٢) راجع البحار ٤١ : ١٨١ ح١٨ و١٧٩ ح١٠.

حديث ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام من الاحاديث المشهورة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، بل قيل أنه وقع عدة مرات[1].

واطاعةالشمس له ليس بالامر الغريب، فلقد أطاعه مَن في السموات والارض، لقد اطاعته جميع الاشياء، الحيوانات منها والجمادات[2].

لقد سخّر الله تبارك وتعالى له ملائكة السماء وملائكة الارض، بل حتى امناء الرسل وسادة الملائكة، جبرائيل عليه السلام فمن دونه.

قال الامام الصادق عليه السلام: «***ان الملائكة لتنزل علينا في رحالنا، وتتقلب على فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس، وتقلّب علينا أجنحتها، وتقلّب أجنحتها على صبياننا، وتمنع***

(١) فقيل انها ردت عليه حوالى خمسة عشرة مرة يوم البساط، يوم الخندق، يوم حنين، يوم خيبر، يوم قرقيساء (بلد على الفرات)، يوم براثا، يوم الغاضرية، يوم النهروان، يوم بيعة الرضوان، يوم صفين، في النجف، في بني مازر، بعد احد، في مسجد الفضيح من المدينة وفي كراع الغميم.

(٢) وسوف ياتي ذلك مفصلاً في القصة الثامنة.

الوداب ان تصل الينا ، وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا ، وما من يوم يأتي علينا ، ولا ليل إلّا وأخبار الارض عندنا وما يحدث فيها ، وما من ملك يموت في الارض ويقوم غيره إلّا وتأتينا بخبره وكيف كانت سيرته في الدنيا »[1].

وفي رواية اخرى عن أبي ذر (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ***إنّ الله خصّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام بطاعة علي عليه السلام والبراءة من أعدائه والاستغفار لشيعته »***[2].

بل اكثر من ذلك ، لقد سخر الله تبارك وتعالى الروح الامرية لتسدده وتخبره بما في السموات والارض .

قال الامام الصادق عليه السلام : « ***ان منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام»***[3].

ويستفاد من مجموع روايات ان هذه الصورة خلق من نور الله عزوجل ، تسمى بالروح الامرية التي وردت في الاية الكريمة : ﴿***وأوحينا اليك روحاً من أمرنا***﴾ واليك بعض تلك الروايات :

فعن أمير المؤمنين عليه السلام : « ***ان لله نهر أَدْوَنَ عرشه ودون النهر الذي دون عرشه نور من نوره ، وان في حافتي النهر روحين مخلوقين روح القدس ، وروح من امره تبارك وتعالى»***[4].

وقال أبو بصير : «سألت ابا عبدالله عن قول الله تبارك وتعالى :

---

(١) بصائر الدرجات : ٩٣ باب ان الملائكة تدخل بيوتهم (عليهم السلام) ح١٧ .

(٢) بحار الانوار ٤٠ : ٩٦ .

(٣) بصائر الدرجات : ٢٣١ باب الائمة ياتيهم صورة أعظم من جبرائيل ح١ و٢ و٣ .

(٤) البصائر : ١٩ باب نادر من خلق ابدان الائمة وقلوبهم ح١ .

﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كُنْتَ تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾[1].

فقال عليه السلام: خلق من خلق الله تبارك وتعالى، أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه واله يخبره ويسدده وهو مع الائمة من بعده»[2].

وبعد هذا ليس من الغريب ان يسخر الباري سبحانه وتعالى الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام، فهو النور الذى قضى حياته في خدمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأفنى عمره الشريف لرفع راية الاسلام.

ذلك الذي لولاه، ولولا رسول الله صلى الله عليه وآله ما عُرِفَ الله عزوجل، كما قال صلى الله عليه وآله: «لولا أنا وعلي ما عُرِفَ الله عزوجل، ولولا أنا وعلي ما عُبِدَ الله عزوجل، ولولا أنا وعلي ماكان ثواب ولا عقاب، ولا يستر علياً عن الله ستر، ولا يحجبه عن الله حجاب، وهو الستر والحجاب فيما بين الله وبين خلقه»[3].

وكيف يستره حجاب عن الله؟ وهو الذي أبطنه الله سرّه الذي لم يطّلع عليه احد سوى نبيّه صلوات الله عليه.

قال الامام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ***«لقد أسرى بي ربي فأوحى اليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وكلمني ما كلمني، ومما كلمني ان قال عز اسمه: يا محمد علي الاول علي الاخر، [علي الظاهر والباطن] وهو بكل شئ عليم.***

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٥ باب الروح من قوله تعالى ﴿واوحينا اليك ...﴾ ح ٢.

(٣) البحار ٤٠: ٩٦.

فقلت : يا رب أليس ذلك أنت ؟

قال سبحانه وتعالى : يا محمد انا الله لا إله إلّا انا ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار .. (الى ان قال) .. أنا الله لا اله إلّا انا ، الاول ولا شئ قبلي ، وانا الاخر فلا شئ بعدي ، وانا الظاهر فلا شئ فوقي ، وانا الباطن فلا شئ تحتي ، وانا الله لا اله إلّا انا بكل شئ عليم .

يا محمد علي الاول ، أول من أخذ ميثاقي من الائمة عليهم السلام .

يا محمد علي الاخر ، اخر من أقبض روحه من الائمة[1] ، وهي الدابة التي تكلمهم ، [يا محمد علي الظاهر ، أظهر عليه جميع ما أوصيته اليك ، فليس لك ان تكتم منه شيئا] .

يا محمد علي الباطن أبطنته سرّي الذى أسررته اليك ، فليس فيما بيني وبينك سر أزويه عن علي .

يا محمد ما خلقت من حلال او حرام علي عليم به»[2] .

ورحم الله السيد الرضي لقوله :

معشر منهم رسول الله واله	كاشف الكرب اذ الكرب عرى
صهره الباذل عنه نفسه	وحام الله في يوم الوغى
اول الناس الى الداعي الذي	لم يقدم غيره لما دعا[3]

---

(١) ويحتمل ان يكون ذلك عند الرجعة ، ويحتمل ان يكون قبل يوم القيامة عند إماتة نفس ملك الموت وإلّا فهو الذي يحضر عند كل ميت .

(٢) بصائر الدرجات : ٥١٤ باب النوادر في الائمة عليهم السلام واعاجيبهم ح٣٦ ، وما بين الاقواس من نسخة البحار ٤٠ : ٣٨ .

(٣) المناقب ٣ : ٢٩٢ .

وقال عبدالباقي العمري :

انت العلي الذى فوق العلى رفعا
ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا
وانت ذاك الهزبر الأنزع البطل
الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وانت يعسوب نحل المؤمنين الى
اي الجهات انتمى يلقوه تبعا[١]

امكان رد الشمس :

قيل ان رجوع الشمس بحد ذاته من المحالات الطبيعية والعقلية لاستلزامه إبطال الحساب والحركات واختلال النظام .

وقال ابن فورك[٢] في كتاب الفصول من تعليق الاصول : «أنه لو كان ذلك صحيحاً لرآه جميع الناس في جميع الاقطار»[٣] .

وإنا في معرض الجواب عن ذلك نقدم عدة وجوه واحتمالات ، مع التسليم بوقوع هذه المكرمة لأمير المؤمنين عليه السلام ، إنما ما نقصده

---

(١) اعيان الشيعة ١ : ٥٦١ .

(٢) وهو الاستاذ أبو بكر محمد بن الحسن ابن فُورَك الاصبهاني المتكلم ، الاديب ، الواعظ ، اقام بالعراق مدة يدرس العلم ثم توجه الى الري ، والتمس منه اهل نيسابور التوجه اليهم ففعل، فبني له مدرسة ودار فأفاد فيها وصنف من الكتب ما يقرب من مائة توفي سنة ٤٤٦ ودفن بنيسابور بالحيرة . راجع الكنى والالقاب ١ : ٣٧٤.

(٣) كما عن المناقب ٢ : ٣٢٠ .

هو التخريج العلمي لامكان ردّ الشمس وصحة وقوعه :

الوجه الاول : ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه ، من ان الله ردّ الشمس مع الفلك ، بمعنى تأخير النظام مدة صلاة العصر .

الوجه الثاني : ان يحدث بعد انتهاء صلاةالعصر حركة سريعة للشمس لتعويض النقص الذي حصل .

الوجه الثالث : ان يخلق الله في مكان الرد شمساً اخرى .

الوجه الرابع : ان تهبط الارض التي عليها أمير المؤمنين عليه السلام فتظهر الشمس .

الوجه الخامس : ان تكون من ضمن النظام الالهي .

ولا نحتاج الى ادلة لإثبات هذه الوجوه ، لاننا لا نريد اثبات هذه الوجوه بما هي ، بل ما نريده هو امكان ردّ الشمس فيكفي مجرد إحتمال احدى هذه الوجوه لإثبات عدم استحالة ردّها ، وعدم إختلال النظام من جراء ذلك .

اما بالنسبه للوجه الاول : فان الله عزوجل قادر على ردّ الفلك من أجل اثبات كرامة لوصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبذلك لا يحصل خلل في النظام الكوني لا من جهة الحساب ولا من جهة الزمن.

وكذلك بالنسبة للاحتمال الثاني : فانه يرفع خلل الحساب ، إلّا أن الآثار الاخرى المترتبة على الشمس لا تتدارك ، لان مدة وجود الشمس مكان الردّ لم تكن موجودة في الجانب الذي لابد ان تكون فيه ، وسرعة سيرها لا يعوض ذلك ضرورة أنّ بعض الاثار مترتبة على عين وجود الشمس وطلوعها .

اللهم إلّا ان يقالَ ان المدة يسيرة جداً فلا توجب نقصاً في الاثار ، ويساعد على هذا الوجه ، الروايات التي أشارت الى ان الشمس بعد أن أنهى أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة ، رجعت وسُمع لها صوتاً كصوت المنشار فى الخشب ، فلعل ذلك إشارة الى سرعتها لتدارك النقص .

وايضا الوجه الثالث بمكان من الاحتمال[1] ، فانه يحقق الهدف المطلوب[2] ، إلّا انه مشروط بتنزيل صلاة أمير المؤمنين عليه السلام تحت هذه الشمس منزلة الصلاة اليومية المفترضة .

والوجه الرابع فيه احتمالان :

الاول : ان تهبط الكرة الارضية بأجمعها عن مكانها باتجاه عكس مسير الشمس .

الثاني : ان يهبط الموضع الذي يحجب أمير المؤمنين عليه السلام عن الشمس .

والاحتمال الثاني اوجه لان الاول يوقع في نفس المحذور الذي نحن في صدد تخريجه ، لما في هبوط الارض من الاخلال في النظام ، اما هبوط الموضع فأمر سهل من أجل اثبات كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام ، بل ما هي شئ امام معاجز أمير المؤمنين عليه السلام .

اما الوجه الخامس : وهو كون ردّ الشمس من ضمن النظام الكوني ، فانه مبني على علم الله عزوجل بأن أمير المؤمنين عليه السلام سوف يتأخر عن اداء الصلاة ، وانه سوف يدعوه ويستجيب له ، فمن اول الامر

---

(١) فليس من المستحيل خلق شمس أخرى من اجل معجزة من معاجز وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي من أجله وأجل اهل بيته ، خلقت الشمس وما حولها كما ياتي فى الحديث .

(٢) وهو اثبات كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام اضافة الى اداء الصلاة في وقتها .

وقبل إحكام النظام الكوني وقبل إثبات الحسا ب، يجعل الله مدة صلاة العصر من ضمن النظام وداخلة في الحساب بحيث لا توجب إخلالاً في النظام والحساب.

وهذا الوجه إن صحّ تُفَسَّرُ على أساسه كل المعاجز والكرامات، ويسهل عندها امكان اية معجزة فيها جنبة إخلال ظاهري.

هذا، ولابد من البحث عن ولاية أهل البيت عليهم السلام على الامور التكوينية، لما له من علاقة وطيدة بمسألة رد الشمس، وهذا ما سوف نبسط الكلام فيه بعد الانتهاء من هذه النقطة ان شاء الله.

الرد على ابن فورك الاصبهاني:

قال: «لو كان ذلك (رد الشمس) صحيحاً لرآه جميع الناس في جميع الاقطار».

والرد عليه لابد ان يخضع للاحتمالات والوجوه المتقدمة:

فبناءً على الوجه الثالث والرابع لا معنى لقوله: حيث ان الشمس التي ردت لم تكن الشمس الواقعية حتى يراها الناس في جميع الاقطار.

اما من كان مع أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم رأوا ذلك، واشتهر[1] بين الناس ضمن المنطقة التي كان فيها عليه السلام.

اما بناءً على الوجوه الاخرى، فان لكلامه نوعاً من الوجاهة.

وحينئذ يمكن ان يجاب على ذلك بامور:

اولاً: ان الهدف من رد الشمس أداء الصلاة بوقتها، واظهار الكرامة

---

(١) ويعلم ذلك من خلال المصادر الآتية.

لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا ليس متوقفاً على رؤية جميع الناس للرد ، نعم هو متوقف على رؤية من يراد إظهار الكرامة عليهم ، وكونها حجة ، وهذا ما حصل بالفعل .

ثانياً : ان مدة رجوع الشمس قليل جداً ، وهو مدة اداء صلاة العصر ، ولعلها قصراً ، ومن المعلوم ان هذه المدة لا يُلْتَفَتْ اليها ، وعادة ما تكون خفية عن كثير من الناس .

ثالثاً(١) : ينقض عليه بحديث شق القمر ، فانه مع ثبوته وشيوعه لم يره جميع الناس في الاقطار والامصار .

فما تفوّه به ابن فورك في غير محله .

هل كان أمير المؤمنين عليه السلام عاصياً ؟

قد يقول القائل كيف يجوز لوصي رسول الله ان يترك الصلاة المفروضة ، والحال انها لا تترك على أي حال ؟!

والجواب عن ذلك من وجـوه ، بحسب المكان الذي ردت فيه الشمس :

الوجه الاول : ان الامام لم يترك الصلاة من رأس ، بل صلّ ايماءً كما ذكر ذلك في الارشاد ، قال : «... فصلّى أمير المؤمنين عليه السلام جالساً يومئ بركوعه و سجوده إيماء ، فلما أفاق من غشيته [يعني رسول الله صلى الله عليه وآله عندما انتهى الوحي] قال لأمير المؤمنين عليه السلام :

---

(١) هذا الوجه يصلح رداً على ابن فورك وعلى جميع الوجوه المتقدمة ، لا فقط على الاول والثاني والخامس .

أفاتتك صلاة العصر ؟

قال عليه السلام : لم أستطع ان أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله ، والحال التي كنت عليها من استماع الوحي»[1] .

الوجه الثاني : ان يكون الامام عليه السلام لم يصلّ ـ من قيام ـ لان النبي وضع رأسه الشريف على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من الصلاة[2] ، ويؤيده ما رواه في الخرائج قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

«هل صليت العصر ؟ قال عليه السلام : لا فاني كرهت ان ازيل رأسك ، ورايت جلوسي تحت راسك وانت في تلك الحال ، أفضل من صلاتي ، فقام رسول الله فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن علياً كان في طاعتك وحاجة رسولك ... الخ»[3] .

وهذان الوجهان لايتناسبان إلّا مع ردّ الشمس فى حياة النبي صلى الله عليه وآله .

الوجه الثالث : ان يكون لم يصلِّ لانه يعلم ان الشمس سوف ترد عليه ، فترك الصلاة لانشغاله عنها بأمر ضروري ، مع علمه بأنه سوف يصليها أداءً ، ومع ملاحظة اظهار الكرامة .

وهذا الوجه يتناسب مع كل الاماكن التي ردت فيها الشمس ، لان الامام عليه السلام كان في الجميع منشغلاً بأمر مهم ، او لا يمكنه اداء

---

(١) راجع البحار ٤١ : ١٧١ .

(٢) مع كون عدم الصلاة طاعة لله عزوجل .

(٣) المصدر السابق : ١٧٠ .

الصلاة لضرورة شرعية[1].

الوجه الرابع : ان يكون الامام ترك الصلاة لعدم صلاحية الارض لأداء الصلاة فيها ، اما من جهة قبحها او من جهة كونها معذبة ، فيكره الصلاة فيها[2] ، فأراد الامام عليه السلام ترك المكروه ، لعلمه بان الشمس سوف ترد عليه ويصليها اداءً ، مع ملاحظة اظهار الكرامة .

وهذا الوجه لا يتناسب مع كل أماكن الرد كما هو واضح .

الوجه الخامس : ان يكون الامام لم يترك الصلاة حتى غياب الشمس بل أخرها حتى ذهاب الفضيلة ، وردت الشمس ليصليها في أول وقتها ، ويدل على ذلك عدة روايات ، منها :

ما روي في كنز العمال قال : «ولم يكن علي صلى العصر ، فقامت الشمس تغرب كهيئتها من وقت العصر»[3] .

ومنها : ما رواه في الخرائج عن اسماء بنت عميس قالت : «ان علياً بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في حاجة في غزوة حنين ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وآله العصر ولم يصلّها علي عليه السلام ، فلما رجع وضع رسول الله رأسه في حجر علي عليه السلام ، وان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أوحي اليه ، فجلله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى كادت

---

(١) فمثلاً وضع رأس النبي صلى الله عليه وآله على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام اثناء الوحي ضروري، وانشغاله بتنظيم العسكر أو بعبوره أيضاً أمر مهم، وترك الصلاة بالارض التي فيها خسف أو معذبة أو فيها سبخه أيضاً ضروري له.

(٢) راجع البحار ٤١ : ١٨٤ و١٧٨ .

(٣) راجع البرهان ٤ : ٣٨٧ والبحار ٤١ : ١٨٢ .

الشمس تغيب»[1].

ومنها : ما روي في الطرائف والمناقب عن ابن المغازلي قال : «فلم يصل العصر حتى فات وقت الفضيلة»[2].

وهذا الوجه يتناسب مع كل اماكن الرد سواء منها التي في حياة النبي صلى الله عليه وآله او التى بعد وفاته .

الوجه السادس : ما ذكره المجلسي قده : «من ان الامام عليه السلام مأمور بترك الصلاة ، او فضيلتها ، لإظهار الكرامة له صلوات الله عليه ، وهذا الوجه ايضا يتناسب مع كل أماكن الرد .

حقيقة اهل البيت عليهم السلام وعقيدتنا فيهم :

وسوف نبحث هنا جانباً من هذه الحقيقة الا وهو الجانب المتعلق بولايتهم على الخلق ، والتفويض اليهم ، تاركين الجوانب الاخرى الى البحوث الاتية[3].

كان اهل بيت النبوة عليهم السلام أنواراً محدقين حول عرش الله ،

---

(١) راجع البحار ٤١ : ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٤ .

(٣) وسوف توافيك بقية الابحاث فى القصص التالية : القصة الخامسة ونبحث فيها عن قدسية قبورهم عليهم السلام ، القصة الثامنة ونبحث فيها عن طاعة الاشياء لهم ، القصة الحادية عشر ونبحث فيها عن حقيقة علمهم ، ومراتبه وكيفيته وسعته ، والقصة الثانية عشر ونبحث فيها عن امكان رؤيتهم في غيبتهم وعن الطرق الشرعية لذلك .

يسبحون الله تبارك وتعالى قبل ان يوجد أحد من العالمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : *«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ...»*[1].

وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وآله : *«انا اول الانبياء خلقاً»*[2].

وروي عن ابي عبدالله عليه السلام قال : *«كنا أنواراً حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة.*

فقال لهم : سبحوا ، فقالوا : يا ربنا لا علم لنا ، فقال لنا : سبحوا فسبحنا ، فسبحوا الملائكة بتسبيحنا ، الا انا خلقنا من نور الله»[3].

ثم أنزلهم سبحانه وتعالى الى هذه الدنيا وجعلهم في قوالب انسانية مادية الظاهر نورانية الباطن ، [ومن المعلوم ان هذا نزول من العالم الروحاني الملكوتي الى العالم المادي ، وهو خلاف طبع وسيرة الاولياء فضلاً عن ائمة الهدى وسادة الاولياء ، إنما الهدف من هذا النزول هو الهداية الالهية المأخوذة على عاتقهم من قبل الله سبحانه وتعالى ، وبما ان الهداية منحصرة بأهل البيت عليهم السلام ؛ فكان لابد للانسان أن يتوجه اليهم بالدرجة الاولى ؛ ويكونوا صلوات الله عليهم أجميعن برزخاً وواسطة بين العبد وربه ، بين البشرية المظلمة والعدم المطبق ، وبين النور المطلق والوجود المحض ، ليكونوا ارواح العالمين لهم الفدى ، على سبيل المصفاة لتؤهل هذا العدم ، المعدوم الكمال ان يخاطب ذلك النور ،

---

(١) راجع المناقب ١ : ٢١٤.

(٢) دلائل النبوة ٢ : ١٤٨.

(٣) البحار ٢٥ : ٢١ و٢٤.

المطلق الكمال لما بين الوجود والعدم من تباين وتنافر].

ثم آتاهم الحكمة والمعرفة ليديروا هذا العالم، ويسيسوه بإتجاه الصراط المستقيم، ومهما بلغ الانسان من المعرفة والعلم فلن يدرك حقيقة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

قال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «... فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام او يمكنه اختباره، هيهات هيهات، خلّت العقول، وشاهت الحلوم، وحارت الالباب، وخَسِئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحَصُرَتْ الخطباء، وجهلت الألباب، وكلّت الشعراء، وعجزت الادباء، وعيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، او فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله؟ او ينعت بكنهه؟ او يفهم شيء من امره؟ او يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟! لا وكيف وأنى؟! وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ واين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«بل إنْدَمَجْتُ على مكنون علم لو بُحْتُ به لاضطربتم اضطراب الأَرْشَيةِ فى الطّويّ البعيدة»[٢].

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

واذا أردنا أن نحوم حول بعض معالم أهل البيت عليهم السلام؛ ولكي نعرف عقيدتنا بهم، لابد ان نستعرض بعض الروايات الشريفة،

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٠١ باب نادر جامع من فضل الامام وصفاته ح١.

(٢) نهج البلاغة ٥: ٥٢، والارشية الحبال والطوي البئر.

لنرى ماذا نستفيد منها : فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

«نحن صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا»(١)

ومهما فسّرت كلمة الصنائع بالاسراء(٢) ؛ أم بالخريجي(٣) ؛ أم بالعبودية(٤) ؛ أم بالواسطة(٥) ؛ أم بالعيلة(٦) .

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٢٨ (كتابه الى معاوية) ووراه الشيخ في غيبته عن الامام المهدي عجل الله فرجه ، وله نص آخر : «نحن صنائع الله والناس صنائع لنا مصنوعين لأجلنا» راجع علم اليقين ١ : ٣٨١ .

(٢) ويكون المعنى: نحن اسراء فضل ربنا والناس اسراء فضلنا، ولولا فضلنا لم يوجد بشر .

(٣) والخريج لغةً : التدريب ، بمعنى : ان اهل البيت عليهم السلام هم خريجي مدرسة الله عزوجل والناس خريجي مدرستهم عليهم السلام . ويؤيد ذلك عدة روايات منها ما روي عن الامام الباقر عليه السلام : «بلية الناس عظيمة ان دعوناهم لم يجيبونا ، وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» [امالي الصدوق : ٣٦٣ والاحتجاج : ١٨٠ والبحار ٢٣ : ٩٩] .

وفى رواية اخرى عنه عليه السلام : «... جعلهم الله أركان الارض ان تميد بأهلها وعمد الاسلام واسطة على سبيل هداة لا يهتدي هادي إلّا بهداهم» [الكافي ١ : ١٩٨ ، باب ان الائمة اركان الارض] .

(٤) بمعنى : ان اهل البيت عليهم السلام عبيد لله عزوجل والناس عبيد لهم صلوات الله عليهم ، وهذا معنى باطني للصنيعة كما يقول ابن أبي الحديد (والمعنى الاتي (الواسطة) معنى ظاهري) ، وهو ما اشار اليه ابو عبدالله عليه السلام : «وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله» [الكافي ١ : ١٩٣ والبحاره ٢ : ٢٠] .

(٥) بمعنى : عدم وجود واسطة بين الله عزوجل وبين عباده غير اهل البيت عليهم السلام ، ويدل عليه ما رواه الامام الصادق عليه السلام قال : «نحن فيما بينكم وبين الله ..» [الكافي ١ : ٢٦٥] .

(٦) العيلة بمعنى : الاحتياج والفاقة فاهل البيت عليه السلام في إحتياج دائم لله عزوجل ، والناس في احتياج وفقر دائمين لأهل البيت عليهم السلام .

فانها لن تخرج عن معنى واحد جامع ، متحد في أهل بيت العصمة ومعدن الرحمة وهو : انهم السبيل الوحيد والسبب المتصل بيننا وبين الله سبحانه وتعالى ، والروايات الدالة على انهم السبيل الوحيد والمتصرف المريد بهذه الدنيا كثيرة جداً نورد بعضها تباعاً .

فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : نحن السبب بينكم وبين الله عزوجل»[١] .

وعن أبي إسحاق النحوي قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسمعته يقول : «ان الله عزوجل أدب نبيه على محبته فقال ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم**﴾[٢] ، ثم فوض اليه فقال عزوجل : ﴿ **وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[٣] ، وقال عزوجل : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[٤] ، ثم قال : وان نبي الله صلى الله عليه وآله فوّض الي علي وأئمته عليهم السلام ، فسلّمتم وجحد الناس ، فو الله لنحبكم ان تقولوا إذا قلنا ، وأن تصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل ، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»[٥] .

وروى ابن أبي يعفور عن الامام الصادق عليه السلام قوله : «يا ابن

---

(١) امالي ابن الشيخ : ٩٧ والبحار ٢٣ : ١٠١ .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) النساء : ٨٠ .

(٥) اصول الكافي ١ : ٢٦٥ باب التفويض الى الرسول ، والبحار ٢٥ : ٣٣٤ ، والاختصاص ٣٣٠ مع زيادة في اخره «فان أمرنا أمر الله» والبصائر : ٣٨٤ باب في ان ما فوض الى الرسول فوض الى الائمة ح ٤ و٥ .

أبي يعفور ان الله تعالى واحد متوحد بالوحدانية ، منفرد بأمره ، فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر ، فنحن هم يا ابن أبي يعفور ، فنحن حجج الله وخزانه على علمه ، والقائمون بذلك»[١].

وفي رواية ابن سنان قال : «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأَجْرَيت إختلاف الشيعة ، فقال عليه السلام : يا محمد ان الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ، ثم خلق محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة عليهما السلام . فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الاشياء ، فأشهدهم خلقها ، وأجرى طاعتهم عليها ، وفوّض امورها اليهم ، فهم يُحِلّون ما يشاؤون ، ويحرمون ما يشاؤون ، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تعالى .

ثم قال عليه السلام : يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مَرِقَ ، ومن تخلّف عنها مُحِق ، ومن لزمها لحق ، خذها إليك يا محمد»[٢].

وفي رواية اخرى : «... *فمن عرف من أمة محمد واجب حقّ إمامه ، وجد طعم حلاوة إيمانه ، وعلم فضل طلاوة إسلامه ، لأن الله تبارك وتعالى نصّب الإمام علماً لخلقه ، وجعلهم حجة على أهل مواده وعالمه ، وألبسه الله تاج الوقار ، وغشّاه من نور الجبار ، يمد بسبب الى السماء لا ينقطع عن مواده ، ولا ينال ما عند الله [عزوجل] إلّا بجهة اسبابه ، ولا يقبل الله تعالى أعمال العباد إلّا بمعرفته .. [الى ان قال] : حجج الله ، ودعاته ورعاته على خلقه ، يدين بهديهم العباد ، وتستهل بنورهم البلاد ، وينمو ببركتهم التلاد ،*

---

(١) اصول الكافي ١ : ١٩٣ ، باب الائمة ولاة الامر ح ٥ .

(٢) اصول الكافي ١ : ٤٤١ ، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح٥ .

جعلهم الله حياةً للأنام، ومصابيح للظلام ...»[1].

ونقرأ معاً في دعاء الندبة[2] : «أين باب الله [تعالى] الذي منه يؤتى»[3]

وفي فقرة أخرى : «أين السبب المتصل بين الارض والسماء».

ونقرأ في الزيارة الجامعة[4] : «أنتم الصراط الاقوم .. والرحمة الموصولة .. جعل صلواتنا عليكم وما خصَّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لانفسنا».

وفي فقرة أخرى : «أنتم نور الأخيار، وهداة الابرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله [تعالى] وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الارض إلّا بإذنه، وبكم ينفس الهم، ويكشف الضر».

وفي رواية جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«نحن وجه الله، ونحن جنب الله ... ونحن معدن التنزيل ... في أبياتنا هبط جبرائيل، ونحن محالّ قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح

---

(١) اصول الكافي ١ : ٢٠٣، باب نادر جامع في فضل الامام ح ٢.

(٢) المنقول من كتاب محمد بن الحسين بن سفيان البزومزي (رض) راجع البحار ١٠٢ : ١٠٤.

(٣) وهذه العبارة رويت في البحار وعني بها امير المؤمنين عليه السلام راجع البحار ٤٠ : ٩٧.

(٤) المروية عن الامام الهادي عليه السلام، قال العلامة المجلسي (قده) الزيارة الجامعة ... تعتبر من أصح الزيارات سنداً وأعمهم مورداً، وأفصحهم لفظاً، وأبلغهم معناً، وأعلاهم شأناً» البحار ١٠٢ : ١٤٤.

الرحمة ، ونحن ينابيع النعمة ... ونحن الوسيلة الى الله والوصلة الى رضوان الله ، ونحن معدن الحكمة ، وباب الرحمة ، وشجرة العصمة»[1] .

الى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي تحكي حقيقة اهل البيت عليهم السلام ، وأنهم اذا ارادوا أراد الله ، ولا يريدون إلّا ما يريد ، وان الخير والرزق والغيث والرحمة هم أبوابها ، وخزانها صلوات الله عليهم أجمعين[2] .

طوفان آل محمد في الارض غرق جهلها

وسفينتهم حمل الذي طلب النجاة وأهلها

فاقبض بكف عن ولاة لا تخش منها فصلها[3]

ولقد أجاد إبن حماد لقوله :

هم الشموس بها الاقمار مشرقة

هم البدور ميزان وقد عملوا

هم البحار بها الأمواج طامية

والناس محتاج ماء ما لهم نهل .

---

(١) بحار الانوار ٢٥ : ٢٢ نقلاً عن رياض الجنان .

(٢) ومن أراد مزيد بيان فليرجع الى المصادر التالية : اصول الكافي ١ : ١٨٥ ـ ٢٠٦ ، وتفسير نور الثقلين ٥ : ٢٧٩ ، والبحار ٢٣ : ٩٩ ـ ١٠٣ و ٢٥ : ١ ـ ٣٦ ، وبصائر الدرجات ، باب التفويض الى الرسول : ٣٧٨ ـ ٣٨٣ وباب في ما فوض الى الرسول فقد فوض الى الائمة : ٣٨٣ ـ ٣٨٧ .

(٣) البحار ٢٦ : ٢٣٠ نقلاً عن كنز الفوائد : ١٥٤ .

لولاهم لم يكن شمس ولا قمر

ولا سماء ولا سهل ولا جبل[1]

ما المراد من التفويض :

قد يتوهم من خلال الروايات المتقدمة ، أننا نريد إثبات التفويض الذي هو تصرّف مطلق لأهل البيت عليهم السلام ، والخارج عن قدرته وارادته سبحانه وتعالى ، والذي ورد النهي عنه في بعض الروايات ، كالمروي عن الامام الرضا عليه السلام قال :

« *الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون ، من جالسهم ، او خالطهم ، او واكلهم ، او شاربهم ، او واصلهم ، او زوّجهم ، او تزوج اليهم [منهم] ، أو أَمِنَهم ، أو إئْتَمَنَهُم على أمانة ، او صدقة ، او صَدَّقَ حديثهم ، أو أعانهم بشطر كلمة : خرج من ولاية الله عزوجل ، وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وولايتنا أهل البيت* »[2] .

وفي رواية أخرى عن علي بن أحمد الدلال القمي قال : «إختلف جماعة من الشيعة في أن الله عزوجل فوّض الى الائمة عليهم السلام ان يخلقوا ويرزقوا ؟ فقال قوم : هذا محال لا يجوز على الله عزوجل ، لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزوجل .

وقال آخرون : بل الله عزوجل أقدر الأئمة عليهم السلام على ذلك ، وفوّض اليهم فخلقوا ورزقوا ، فتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً .

---

(١) المناقب ٤ : ٢١٣ .

(٢) عيون اخبار الرضا : ٣٢٦ ، والبحار ٢٥ : ٣٢٨ .

فقال قائل : ما بالكم لا ترجعون الى أبي جعفر محمد بن عثمان ، فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه ، فانه الطريق الى صاحب الامر عجل الله تعلى فرجه ، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت الى قوله ، فكتبوا المسألة وأنفذوها اليه ، فخرج اليهم من جهته توقيع نسخته : «ان الله هو الذي خلق الأجسام ، وقسّم الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال في جسم ، ليس كمثله شيئ وهو السميع العليم ، فأمّا الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألونه الله تعالى فيخلق ، ويسأله فيرزق ، إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقّهم»[1].

وتحمل هذه الروايات على التفويض الذي قال به صنف من الغلاة ، وهم الذين نسبوا الخلق والرزق وجميع الافعال الى أهل البيت عليهم السلام مع سلبهم ذلك عن الله عزوجل ، وعلى الغلو الذي هو تجاوز على الحد الذي قال به قوم تظاهروا بالاسلام ، ونسبوا الالوهية الى اهل البيت عليهم السلام ، وهم الذين حكم عليهم أمير المؤمنين عليه السلام بالتحريق بالنار .

وهذا المعنى مما لا شك في حرمته ؛ لانه يعني ان الله قد عزل نفسه والعياذ بالله ، عن التصرف في كل العوالم ، وفوّض ذلك الى المخلوق ، وهذا من الامور المحالة ، وذلك لاستلزامه وجود شريك لله سبحانه وتعالى ، والكمال في الممكن ليصبح واجباً ، لان كل ممكن اذا استقل بالتصرف في شيئ ذاتي ؛ فقد خرج عن بقعة الامكان ، ودخل في بقعة الوجوب فيتعدد الواجب وهو واضح الفساد .

بل كل الممكنات لا إستقلال لها في أيّ عمل من الاعمال ، فهم فقرٌ

---

(١) الاحتجاج : ٢٦٤ ، والبحار ٢٥ : ٣٢٩ .

خالص لله عزّت آلاؤه ، واحتياج مطلق له في وجودهم ، وكمالهم ، وحركاتهم ، وكافة شؤونهم .

أما التفويض الذي ورد ذكره في الروايات المتقدمة في صدر البحث ، فإنّه يحمل على التفويض الى الائمة عليهم السلام ، بلا عزل ذلك عن الله عزوجل ، بل في طول إذن الله تعالى .

فهو من قبيل المسائل الصغيرة التي نقوم بها نحن كالحركة والسكون ، ومن قبيل المسائل الكبيرة التي تقوم بها الملائكة ، كالاماتة والاحياء ، فان رفع اليد ، أو المشي الذي نقوم به بإذن الله ، وتحت ارادته وقدرته سبحانه ، وضمن نظامه الالهي فوّضه الينا ، وكذلك الاماتة التي يقوم بها ملك الموت فهي من فعل الله عزوجل ، فوّضها الى عزرائيل عليه السلام ، ففي عين انها فعل الله بالذات هي فعل لعزرائيل بالعرض .

فكذلك الامور التكوينية والتشريعية التي تقدمت في الروايات والتي يأتي بعضها ، هي ذاتاً متعلقة بالله عزوجل ، إلّا انها عرضاً من فعل اهل البيت عليهم السلام وبواسطتهم .

وليس هذا من قبيل استجابة الدعاء ، فان أهل البيت عليهم السلام قادرون على الايجاد ، والاعدام ، والاحياء ، والاماتة بقدرة الله تعالى ، وهذا ليس مستحيلاً لمثل مَن هم حجج الخلق وواسطة على سبيل هداته ، الذين لا يرمون إلّا ما يريد الله عزوجل ، ولا يتحركون إلّا في النطاق الذي هو صلاح محض ، والى ذلك اشارت رواية ابن سنان المروية في كتاب (رياض الجنان [مخطوط]) لفضل الله بن محمود الفارسي بالاسناد عن محمد بن سنان قال :

« كنت عند أبي جعفر عليه السلام : فذكرت اختلاف الشيعة ، فقال

عليه السلام:

ان الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية ، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام ، فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الاشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم ، وجعل فيهم ما يشاء ، وفوّض امر الاشياء اليهم في الحكم ، والتصرف ، والارشاد ، والامر ، والنهي ، والخلق ، لانهم الولاة فلهم الامر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوّابه وحجّاجه ، يحلّلون ما شاء ، ويحرمون ما شاء ، ولا يفعلون الاّ ما شاء ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

فهذه الديانة التي من تقدمها غَرِقَ في بحر الافراط ، ومن نقصهم عن هذه المرتبة التي رتّبهم الله فيها ، زَهِقَ في بر التفريط ، ولم يوَّفِ آل محمد حقهم في ما يجب على المؤمن من معرفتهم ،

ثم قال عليه السلام : خذها يا محمد فانها من مخزون العلم ومكنونه»[١] .

واما الروايات التي وردت عنهم عليهم السلام ، والتي فيها تحفظ عن التصريح بهذه المسائل التشريعية والتكوينية ، او التي فيها إختصار لبعض المسائل التشريعية والتكوينية ، والتي اتخذها البعض دليلاً على التفصيل كما يأتي ، فانّ هذه الروايات لا تنافي الروايات التي تقدمت في صدر البحث او رواية ابن سنان ، بل تحمل هذه الروايات على ما سوف نفصله في القصة الحادية عشر من أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يعطون عدة اجوبة على سؤال واحد ، وكانوا يراعون حال الشخص ومدى قدرته على تحمل المسائل الصعبة ، فالروايات التي لم تصّرح بولاية أهل

---

(١) البحار ٢٥ : ٣٣٩ .

البيت عليهم السلام المطلقة تحمل على التقية من بعض الاشخاص الذين لا يتحملون فهم ذلك ، وتحمل تلك الروايات على الذين يتحملونه .

واليك بعض تلك الروايات : عن عبدالله بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سأله رجل عن الامام فوّض الله اليه كما فوض الى سليمان عليه السلام ؟

فقال عليه السلام : نعم ؛ وذلك أنه سأله رجل عن مسألة فأجاب فيها ، وسأله رجل آخر عن تلك المسألة فاجابه بغير جواب الاول ، ثم سأله آخر عنها ، فأجابه بغير جواب الاولين، ثم قال ، هذا عطاؤنا فامنن أو أعطِ بغير حساب هكذا في قراءة علي عليه السلام ...»[1] .

وقال سدير : كنت انا ، وابو بصير ، ويحيى البزاز ، وداود بن كثير الرقي في مجلس أبي عبدالله عليه السلام ، اذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلّما أخذ مجلسه قال : يا عجباه لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب الا الله عزوجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانه ، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي .

قال سدير : فلّما قام عن مجلسه صار في منزله ، وأُعْلِمتُ ، دخلت أنا وابو بصير وميسر ، وقلنا له : جعلنا الله فداك سمعناك انت تقول كذا وكذا ...

فقال لي : يا سدير الم تقرأ القرآن ؟

قلت : بلى .

قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل : ﴿ ***قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتّد اليك طرفك ...*** ﴾ [الى ان قال]

---

(١) اصول الكافي ١ : ٤٣٨ والبحار ٢٥ : ٣٢٩.

فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل : ﴿ *قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب* ؟ ﴾

قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال عليه السلام : ومَن عنده علم من الكتاب أفْهم أم [من] عنده علم الكتاب ؟

قلت : بل مَن عنده علم الكتاب كلّه ،

قال : فأومأ بيده الى صدره وقال عليه السلام : وعلم الكتاب والله كلّه عندنا»[1] .

وكذلك اذا تأملنا في التوقيع المتقدم عن الحجة عجل الله فرجه حيث قال فيه :

«ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسّم الارزاق .. فأما الائمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ، ويسألونه فيرزق ، إيجاباً لمسألتهم»[2] .

فلعل الامام عجل الله تعالى فرجه ، وافق الطرفين الذين اختلفوا في حقيقة ولاية أهل البيت عليهم السلام ، لان مطلع قوله ينفي التفويض ، امّا ذيله فانه يثبت التفويض لهم بالمعنى الذي تقدم منا ، وانه بإذن الله وتحت قدرته ، وفي طول ولايته سبحانه وتعالى .

وكأن الامام عليه السلام يريد أن يشير الى ما ذكرناه وأن عقول الناس في تفاوت من جهة تحمل العلم بولاية أهل البيت عليهم السلام ، فقام بإعطاء إجمال يأخذ كل منهم ضالته .

---

(١) البصائر : ٢٣٠ ، باب ان الائمة أفضل من موسى والخضر ح٥ .

(٢) الاحتجاج : ٢٦٤ والبحار ٢٥ : ٣٢٩ .

وعلى كل حال فان المستفاد من الروايات المتقدمة ان لأهل البيت عليهم السلام الولاية المطلقة في التصرف بهذا العالم وكل العوالم تصرفاً طولياً تحت ظل إذن الله تعالى وقدرته ، فهم واسطة على سبيل هداة كما تقدم في الحديث[١] .

وليس هذا بخارج عن قولهم : «ولا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ، ولن تبلغوا»[٢] .

بل هو قريب من قولهم : «انه لا فرق بينك وبينهم إلّا أنهم عبادك»[٣] .

«ومن اصدق منهم قيلا»

نعم ذهب بعض العلماء الى التفصيل في التفويض حيث قال : ان الله بعد أن علم أنّ أهل البيت عليهم السلام لا يختارون إلّا ما يوافق الحق ، فوّض اليهم سياسة الناس ، وتأديبهم ، وتكميلهم ، وتعليمهم ، ومنع الناس من الانفال ، والخمس ، او الدفع اليهم ، وكما فوّض اليهم تشريع بعض الاحكام التي وردت في روايات خاصة ، مثل[٤] الزيادة في ركعات الفرائض ، وتعين النوافل من الصلاة والصيام ، أما التفويض في الخلق ، والرزق ، والاماتة ، والإحياء فهو مختص بالله ، ويستحيل تفويضه الى غيره ، وان المعجزة والكرامة من قبيل استجابة الدعاء»[٥] .

وتقدم ما يخالف ذلك في الروايات خاصة رواية ابن سنان .

---

(١) راجع اصول الكافي ١ : ١٩٨ ، باب ان الائمة عليهم السلام اركان الارض .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٤١ و٢٣٦ ، والبحار ٢٥ : ٣٤٧ .

(٣) من دعاء رجب .

(٤) راجع البحار ٢٥ : ٤٣٠ ح٢٣ .

(٥) راجع مرآة العقول : ٣ ، كتاب الحجة ، باب التفويض الى الرسول .

على ان الله عزوجل فوّض الاحياء الى اسرافيل ، والاماتة الى عزرائيل . فتأمل .

معاني التفويض :

ولمزيد الفائدة لا بأس بذكر معاني التفويض ليعلم ما هو المتفق عليه ، وما هو المنفي عنهم عليهم السلام ، وما هو المتنازع به .

المعنى الاول للتفويض : التفويض الى أهل البيت عليهم السلام في جميع الامور التشريعية والتكوينية ، مع عزل الله نفسه عن الولاية والتصرف .

وهذا المعنى هو المتفق على نفيه عنهم صلوات الله عليهم ، والقائل به مشرك غال كما تقدم .

المعنى الثاني : ان يكون الرازق والخالق هو الله عزّت آلاؤه ، والمميت والمحي سبحانه وتعالى ، ولكنّه فوض الى أهل البيت عليهم السلام ذلك ، فاصبحوا يرزقون ، ويخلقون بارادتهم المقارنة لارادة الله عزوجل ، من قبيل المعجزات التي حصلت للانبياء كخروج الماء من الاصبع ، او قلب العصا حية .

وهذا المعنى من المختلف فيه فقيل بإمكانه عقلاً ووقوعه نقلاً ، وقيل بامكانه عقلاً وعدم وقوعه نقلاً ، وقيل باستحالته عقلاً وعدم وقوعه نقلاً .

المعنى الثالث : ان يكون التفويض على نحو العلة الفاعلة ضمن الاذن العام من الله سبحانه وتعالى ، او الاذن الخاص لكل مسألة مسألة ،

فهم يميتون ويحيون بإذن الله عزوجل .

وهذا المعنى من المختلف فيه أيضاً ، وهو الذي تقدم إثباته ، والذي دلّت عليه الروايات الشريفة التي تقدمت في مطلع البحث .

المعنى الرابع : ان يكون التفويض على نحو العلة الغائية ، وهذا المعنى من المتفق عليه والروايات متظافرة في ان أهل البيت عليهم السلام خلقت الدنيا وما فيها من أجلهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لولا أنا وعلي ما عرف الله عزوجل ، ولولا أنا وعلي ما عبد الله عزوجل ، ولولا انا وعلي ما كان ثواب ولا عقاب»[1] .

المعنى الخامس : التفويض اليهم صلوات الله عليهم في الامور التشريعية من دون وحي او إلهام او قذف في القلوب ، فهم يحللون ويحرمون ما شاؤوا باستقلال .

وهذا المعنى من المتفق على نفيه عنهم عليهم السلام ، بناء على ما دلّت عليه الروايات من أن علمهم وراثة او بواسطة الوحي .

نعم بناء على ما سوف نبحثه في القصة الحادية عشر ، من ان علم أهل البيت عليهم السلام لدني حاضر عندهم في كل آن آن ، او ان علمهم مقرون بإرادتهم فمتى ارادوا أن يعلموا علموا[2] ، فانه يمكن عندها تصحيح هذا المعنى ، وان الله فوّض اليهم عليهم السلام ، وتحمل الروايات التي تشير الى ان أهل البيت عليهم السلام عُلِّموا ، او انهم

---

(١) البحار ٤٠ : ٩٦.

(٢) وروايات الاحتمالين سوف تاتي تفصيلاً في القصة الحادية عشر تحت عنوان حقيقة علم الأئمة ضمن ابحاث ثلاثة : مراتب علمهم وكيفية حصوله وسعته .

ينتظرون الجواب من الله سبحانه وتعالى ، وما شابه ذلك ، تحمل على عدم استيعاب الناس لاكثر من ذلك ، ولكي يبقى الناس يدركون الربط بين أهل البيت والله سبحانه وتعالى ، وانهم لا ينطقون عن الهوى ، وهذا ما سوف يتضح جلياً في القصة الحادية عشر ان شاء الله فارتقب .

المعنى السادس : ان الله فوض الى نبيه واهل بيته بعض الامور التشريعية ، بعد ان علم انهم لا ينطقون عن الهوى ، وانهم لا يختارون إلّا ما يوافق ارادة الله سبحانه وتعالى ، ومشيئته ، من قبيل التفويض اليهم ببعض النوافل .

وهذا المعنى هو الرأي الذي تقدم عن مرآة العقول ، ويعتبر تفصيلاً في المقام . وهو من المتفق عليه وفيه عدة روايات[1] .

المعنى السابع : ان يكون التفويض في سياسة الخلق ، وتأديبهم ، وتكميلهم ، وأمر الخلق فيما علموا فيه المصلحة .

وهذا المعنى من المتفق عليه انما الكلام في ما زاد على ذلك ورواية ابن سنان تشير اليه[2] .

المعنى الثامن : ان يكون التفويض اليهم عليهم السلام في بيان العلوم والمعارف ، اذا أرادوا ورأوا فيه مصلحة ، او السكوت والأمر بالتقية اذا لم يجدوا مصلحة ، او ان يعطوا أجوبة متعددة على حسب فهم الناس وعقولهم ، وهذا المعنى ايضاً من المتفق عليه ، وانما الكلام فيما زاد على ذلك وتقدم في مطلع البحث ما يدل عليه ، كرواية عبدالله بن سليمان[3] .

---

(١) راجع : البحار ٢٥ : ٤٣٠ .

(٢) المروية في البحار ٢٥ : ٣٣٩ وتقدم نصها .

(٣) المروية في الكافي ١ : ٤٣٨ وتقدم نصها .

المعنى التاسع: ان يكون التفويض اليهم عليهم السلام بأن يحكموا بظاهر الشريعة، او بباطنها، وعلمهم أو بما يلهم اليهم من حقائق.

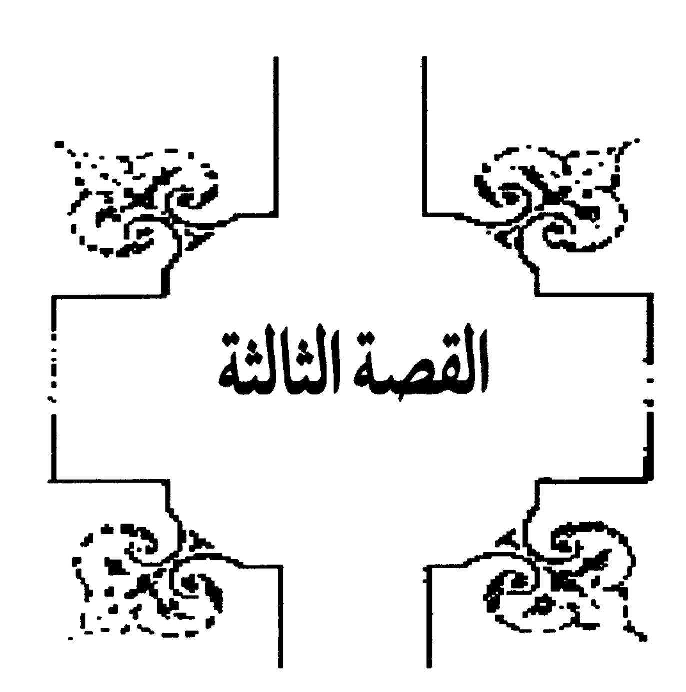
وهذا المعنى فيه عدة وقائع تاريخية خاصة مع أمير المؤمنين عليه السلام[1]، وسوف يأتي ما يوضح ذلك في القصة الحادية عشر.

المعنى العاشر: ان يكون التفويض اليهم عليهم السلام في العطاء، فلهم ان يعطوا، ولهم ان يمنعوا، ولهم ان يزيدوا في العطاء، أو ينقصوا، وهذا المعنى من المتفق عليه، كما هو واضح انما الخلاف فيما زاد عليه.

وهذه المعاني التي تقدمت ليست متنافرة فيما بينها، بل يمكن ان يلتزم القائل بأكثر من معنى كما هو واضح.

---

(١) راجع: البحار ٢٥، باب التفويض.


القصة الثالثة

النور الثالث

نور سيدتنا ومولاتنا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

روي ان فاطمة الزهراء عليها السلام رهنت كسوة[1] لها عند امرأة زيد اليهودي في المدينة ، واستقرضت الشعير ، فلّما دخل زيد داره قال : ما هذه الانوار في دارنا ؟

قالت : لكسوة فاطمة عليها السلام ، فاسلم في الحال ، واسلمت امرأته وجيرانه ، حتى أسلم ثمانون نفساً[2] .

ومن معاجزها التي نظمها ابن حماد رحمه الله :

وقالت ام ايمن جئت يوماً
الى الزهراء في وقت الهجيرة
فلما ان دنوت سمعت صوتاً
وطحناً في الرحاء له الهدير

(١) الكسوة : اللباس .
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ ٣٣٩.

فجئت الباب اقرعه ملياً
فما من سامع او من مجير
اذ الزهراء نائمة سكوت
وطحن للرحاء بلا مدير
فجئت المصطفى فقصصت شاني
وما عاينت من أمر ذعور
فقال المصطفى شكراً لربي
باتمام الحباء لها جدير
رآها الله متعبة فألقى
عليها النوم ذو المن الكبير
ووكل بالرحى ملكاً مديراً
فعدت وقد ملئت من السرور

معاجز الزهراء تبهر المفكرين ، ونعمها تسكت المعاندين ، هذه المعاجز التي تهتدي بسببها البشرية ، وتلك النعم التي تستضئ بها الانسانية .

ما عسانا نتكلم عن بتول طهرت وطابت ، ففاقت نساء العالمين ، كيف نصف امرأة إعتنى الباري عزوجل في تكوينها ، كما في رواية فاكهة الجنة وغيرها[1] .

---

(١) فعن الامام الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله قال : أهدى أليّ ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرائيل ، فضمها الى صدره فعرق جبرائيل وعرقت التفاحة ، فصار عرقهما شيئاً واحداً ثم قال جبرائيل : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قلت : وعليك السلام يا جبرائيل ، فقال : ان الله اهدى اليك تفاحة من الجنة ، فأخذتها وقبلتها ، ووضعتها على عيني وضممتها الى صدري . ثم قال : يا محمد كلها . قلت يا حبيبي يا جبرائيل هدية ربي تؤكل ؟ قال : نعم قد أُمرتَ باكلها ، فأفلقها فرأيت منها نوراً ساطعاً ففزعت [بمعنى انبهرت او تعجبت] من ذلك النور ، قال : كلّ فان ذلك نور المنصورة فاطمة ، قلت : يا جبرائيل من المنصورة قال : جارية تخرج من صلبك واسمها في السماء منصورة وفي الارض فاطمة . فقلت : يا جبرائيل ولمَ سميت في السماء منصورة وفي الارض فاطمة ؟ قال : سميت فاطمة في الارض [لانه] فطمت شيعتها من النار وفطموا اعداؤها عن حبّها ، وذلك قول الله تعالى في كتابه : ﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ [الروم : ٤] بنصر فاطمة [تفسير الفرات : ١١٩ ، الرواية التاسعة عشر بعد الاربعمائة وراجع بحار الانوار ٤٣ : ١٨] .

كيف نحصي معاجز من كان يومها لا يخلو من معجزة ؟ فعن أي معاجزها أكلمك ؟ وكل معاجزها معروفة ، وعن أيها اغمض واكثر معاجزها ظاهرة ؟ فعن دوران المهد والرحى بلا سبب ظاهر[1] ؟ ام عن كسوتها وازارها[2] ؟ أم عن رزقها المنزل من السماء[3] ؟ ام عن طهارتها الدائمة[4] ؟ ام عن نورها الساطع الذي كان يغلب نور الهلال[5] ؟ ام عن

---

(١) كما روى عن سلمان وسوف ياتي الحديث . راجع البحار ٤٣ : ٢٨ و٤٥ ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٢٧ .

(٢) كما في رواية الخرايج راجع البحار ٤٣ : ٣٠ .

(٣) كما روي في الخرايج حيث لم يكن عندها طعام وجاء رسول الله ليتعشى معهما فانزل الله عليها جفنة تفور فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا فاطمة أنّى لكِ هذا الطعام الذي لم انظر الى مثل لونه قطّ ، ولم اشم مثل رائحته قطّ ، ولم آكل أطيب منه ؟ وفي رواية اخرى كانت تقول له : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . [راجع البحار ٤٣ : ٢٩ و٣١] .

(٤) كما روى ابو صالح المؤذن في الاربعين : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله ما البتول ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله لم تر حمرة قط ولم تحض ، فان الحيض مكروه على بنات الانبياء [راجع مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٣٠] .

(٥) كما في البحار عن الامام الرضا عليه السلام ٤٣ : ٥٦ وفي مناقب آل أبي طالب ٢ : ٣٢٥.

قال النبي صلى الله عليه وآله : لما خلق الله الجنة خلقها من نور وجهه ، ثم أخذ ذلك النور فقذفه فأصابني ثلث ذلك النور ، واصاب فاطمة ثلث النور ، واصاب علياً واهل بيته ثلث النور فمن اصابه من ذلك النور اهتدى الى ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله «الحديث» .

رائحتها الزكية التي هي من رائحة الجنة[1] ؟ ام عن نطقها وتشهدها في يوم ولادتها[2] ؟ أم عن ماذا ...؟!

ولكن، كان لابد من الاختصار والتكلم عن احدى تلك المعاجز :

دوران الرحى أو المهد :

قال الامام الباقر عليه السلام : « ***ان رسول الله بعث سلمان الى فاطمة عليها السلام ، قال : فوقفتُ بالباب وقفة حتى سلمتُ ، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوّا ، والرحى تدور من برّا[3] ، وما عندها أنيس ، وقال في آخر الخبر : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : يا سلمان ان ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها ايماناً الى مشاشها[4] ، تفرَّغت لطاعة الله فبعث الله ملكاً اسمه زوقابيل ، وفي خبر آخر جبرائيل ، فأدار لها الرحى وكفاها الله***

---

(١) كما روى عن الامام الصادق عليه السلام ، راجع البحار ٤٣ : ٤٢ .

(٢) كما في رواية المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام : «... فوضعت فاطمة طاهرة فأشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ... [الى ان قال] .. فنطقت فاطمة وقالت : «اشهد ان لا اله إلّا الله وان أبي رسول الله سيد الانبياء وان بعلي سيد الاوصياء وولدي سادة الاسباط [راجع مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٤٠] .

(٣) الجوّا والبرّا : الداخل والخارج .

(٤) قال الجوهري : هي رؤوس العظام .

[عزوجل] *مؤنة الدنيا مع مؤنة الآخرة»*[1] .

وفي خبر آخر : ان المهد كان يتحرك اذا بكى ولدها وكان ملك يحركه»[2] .

عندما تفرغت صوات الله عليها الى عبادة الله وطاعته ، مخلصة له الدين، كفاها الله عزوجل مؤنة الدنيا باسباب غير عادية .

وكانت عندما تحس انها بحاجة الى من يساعدها ، تذهب الى والدها صلى الله عليه وآله فكان يجيبها بأن سبحي الله عزوجل فانه يكفيكي أمر ذلك[3] .

وكانت ترضى بذلك ، بل تفتخر بانها في طاعة الله سبحانه وتعالى .. هذا حال سيدتنا الزهراء عليها السلام .

اما اذا جئنا الى نساء عصرنا فبماذا نراهن يفتخرن ؟ فهل يفتخرن بطاعتهن ؟! أم بلباسهن وزينتهن ؟!

اذا أرادت أية امرأة ان تفوز بالدنيا والآخرة ، فما عليها إلّا ان تقتدي بسيدة نساء العالمين عليها السلام .

تلك الطاهرة التي جسدت دور المرأة الحقيقي ، فكانت صلوات الله عليها تؤدي دورها الرسالي في المجتمع ، سواء داخل بيتها ومع زوجها

---

(١) البحار ٤٣ : ٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

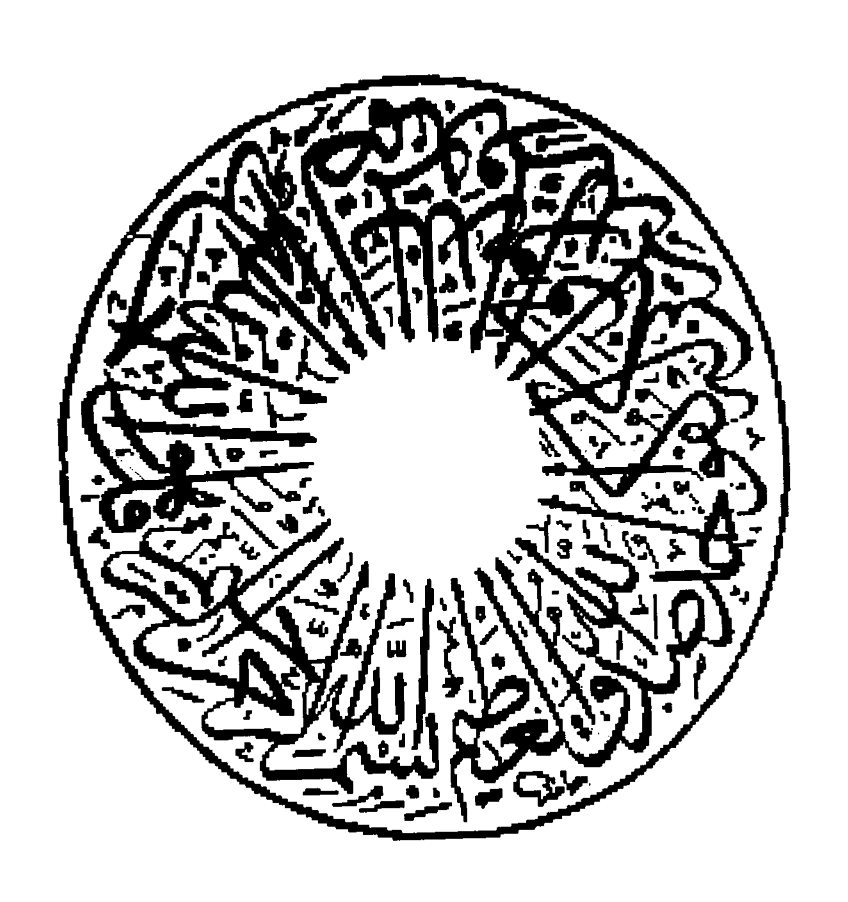
(٣) وهو المعروف بتسبيح الزهراء .

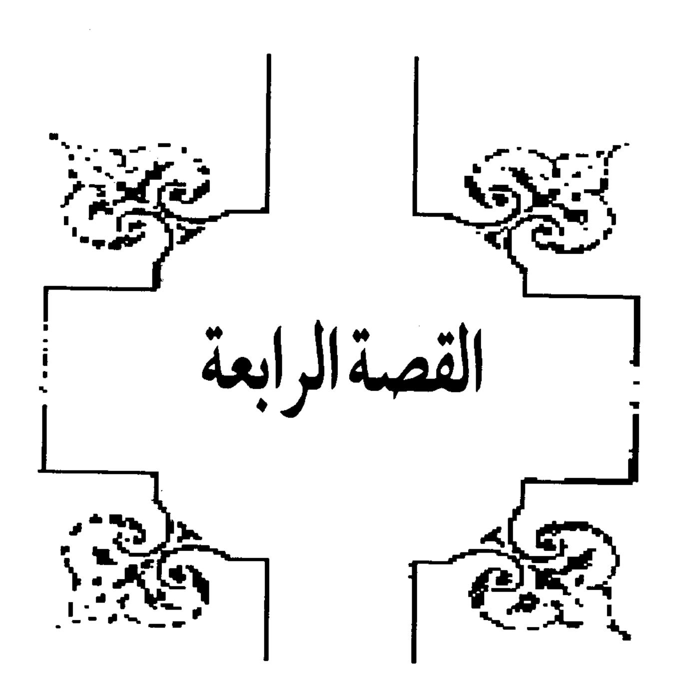
واطفالها عليهم السلام ام خارج الدار مع نساء المهاجرين والانصار، دوراً اجتماعياً مع اخواتها المؤمنات لتكون قدوة لمن يكتفي بالعمل داخل الدار.

هذه هي بعض مناقب الزهراء عليها السلام، ولقد أجاد الموصلي بقوله:

يا نفس ان تلتقي ظلماً فقد ظلمت
بنت النبي رسول الله وابناها
تلك التي احمد المختار والدها
وجبرئيل امين الله رباها
الله طهرها من كل فاحشة
وكل ريب وصفاها وزكاها[١]

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٨.




القصة الرابعة

النور الرابع

نور سيدنا وامامنا ابو محمد الحسن بن علي عليهما السلام

روى المبرد وابن عائشة : ان شامياً رأى الحسن عليه السلام راكباً ، فجعل يلعنه والحسن لا يرد ، فلما فرغ ، أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك فقال عليه السلام : ايها الشيخ أظنك غريباً ، ولعلك شُبهت ، فلو استعتبتنا أعتبناك[1] ، ولو سألتنا اعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وان كنت جائعاً اشبعناك ، وان كنت عرياناً كسوناك ، وان كنت محتاجاً اغنيناك ، وان كنت طريداً آويناك ، وان كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حركت رحلك الينا ، وكنت ضيفنا الى وقت ارتحالك ، كان أعود عليك ، لان لنا موضعاً رحباً ، وجاهاً عريضاً ، ومالاً كثيراً .

---

(١) اي ان استرضيتنا ارضيناك [المجلسي] .

فلما سمع كلامه بكى ، ثم قال : أشهد انك خليفة الله في أرضه ، الله اعلم حيث يجعل رسالته ، وكنت انت وأبوك أبغض خلق الله اليّ ، والان انت أحب خلق الله اليّ ؛ وحوّل رحله اليه ، وكان ضيفه الى ان ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم[1] .

---

(١) البحار ٤٢ : ٣٤٤ عن المناقب ٤ : ١٧ .

حلم الامام الحسن عليه السلام :

سلام على الحسن المرتجى   كنور بدا في دجى مظلم[1]

قليلون هم الحلماء ، الذين يبقون على انسانيتهم عندما يتعرضون لبلاء أو تحلُّ بهم مصيبة .

قليلون هم الذين يكظمون غيظهم عندما يتعرضون لما يخالف مصالحهم وآراءهم ، ومن تلك القلة :

سيدنا ومولانا ، الامام الهمام ، الحسن بن علي عليهما السلام ،

ذلك الامام الذي كان يقدر على صدّ أي عدو له ، أو لا أقل منعه من التجاسر على قطب الوجود وحجة المعبود ، ولكن ، وبدون اي تأثير داخلي او خارجي ، أخذ يقدم العذر عوضاً عن الشامي : أظنك غريباً ولعلك شبّهت ...

لا يريد الامام عليه السلام ان يشعر الشامي بانه ارتكب خطيئة لا تغتفر ، ولا يريد ان يصدم ذلك الغريب الزائر وهو في حالة الغضب ، فلعله

---

(١) لابن السابوري : مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٣٠ .

شبه عليه ، أو لعله كان جاهلاً او بسيطاً ، وبذلك اسكت الشامي وقلل من غضبه ، ثم أخذ يطرح اسلوباً آخر لجذب ذلك الغريب ، فأخذ يعرّفه على شيم أهل البيت عليهم السلام ، فإنّا من أهل بيت نعطي المحتاج ، ونطعم الجائع . نكسوا العريان ، ونأوي الطريد ؛ إني من أهل بيت الكرم والجود دأبنا ، إنّا من أهل بيت نعفوا عمن ظلمنا ، ونصل من قطعنا ، ونحلم عمن جهلنا[1] .

وبالفعل ، أثرت هذه الكلمات ، وجرت مجرى الماء الصافي ليسقي الارض العطشى ، جعلته انساناً بعد ان كان حيواناً ، حولته من مبغض معاند الى محبٍ موالٍ .

هذه هي الدعوة الحقيقية الى الاسلام ، الدعوة التي يتقدمها الحلم ورحابة الصدر ؛ الدعوة التي تكون على اساس الحكمة والموعظة الحسنة ، قال ومن اصدق منه قيلا :

﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى علواً كبيراً :

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، ولا يلقّاها إلّا الذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذو حظ عظيم﴾[3] .

وها هو امامنا المظلوم عليه السلام يطبّق قول الله عزوجل ،

---

(١) مضمون رواية : جامع السعادات ١ : ٣٣٢ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) فصلت : ٣٤ .

فبالكلمة الحسنة أصبح الشامي ولياً حميماً ، ولكن لا يلقاها إلّا الذين صبروا !

لولا الصبر على الاذى ، واستيعاب الغضب برحابة الصدر لم يتحول هذا العدو الى ولي ، ومن معاند الى مطيع .

وليس هذا بأول (حظ عظيم) لقيه الامام المجتبى عليه السلام ، وليست هذه هي المنقبة الوحيدة في اعماله ، بل كل اعماله مناقب .

فهو الذي حجّ عشرين حجةً ماشياً ، وهو الذي قاسم ربه ماله ثلاث مرات[(١)] ، وهو المسدد من ميكائيل والمهتدي بجبرائيل[(٢)] هذا الذي كان يقطع الطريق بجلوسه أمام داره اجلالاً له[(٣)] .

وهو القائل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : «لو كان العقل رجلاً لكان الحسن [عليه السلام]»[(٤)] .

وهو القائل عن نفسه :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني
وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني
حياً وان مت تكفيني لتكفيني[(٥)]

---

(١) البحار ٤٣ : ٣٣٤ ومناقب آل أبي طالب ٤ : ١٤ .

(٢) البحار ٤٣ : ٣٣٣ ، نقلاً عن العدد .

(٣) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٤) راجع فرائد السمطين ٢ : ٦٨ .

(٥) البحار ٤٣ : ٣٤١ نقلاً عن مناقب آل أبي طالب ٤ : ١٦ .

رحابة الصدر :

وهي الطمأنينة الحاصلة عند الشخص تمنعه من الغضب ، ويعبّر عنها بالحلم ، وقد ورد الحث عليها في كثير من الروايات :

فعن امامنا الصادق عليه السلام : «كفى بالحلم ناصراً»[1] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : «ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم»[2] .

وعن امامنا الباقر عليه السلام : «من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه ، حشا الله تعالى قلبه أمناً وايماناً يوم القيامة»[3] .

ويقابله ضيق الصدر ـ(الغضب)ـ وهو كما عرفه ابن مسكويه : حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للإنتقام ، فاذا كانت هذه الحركة عنيفة أجّجت نار الغضب .. وامتلأت الشرايين دخاناً .. ويصير (بحالة) كل ما تدنيه منه للإطفاء سبباً للزيادة .. بل تصير المواعظ سبباً للزيادة في الغضب ...»[4] .

والغضب حالة شيطانية عند الانسان ان لم يعدّلها ، كما سوف نبين ، وقد ورد ذمه في كثير من الروايات ، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال :

---

(١) اصول الكافي ٢ : ١١٢ باب الحلم ح٦ .

(٢) جامع السعادات ١ : ٣٣٢ .

(٣) اصول الكافي ٢ : ١١٠ باب كظم الغيض ح٧ .

(٤) تهذيب الاخلاق : ١٩٣ .

«الغضب مفتاح كل شر»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ***«الحدّة ضرب من الجنون، لان صاحبها يندم، فان لم يندم فجنون مستحكم»***[2].

وقال امامنا الباقر صلوات الله عليه: «الغضب جمرة من الشيطان تُوقد في قلب ابن آدم، وان احدكم اذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت اوداجه، ودخل الشيطان فيه، فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض؛ فان رجز الشيطان ليذهب عند ذلك»[3].

اقول: ولزوم الارض كناية على تغيير وضع الانسان عند غضبه، والا فقد ورد في روايات أخرى انه اذا كان جالساً فليقم او فليستلقي..[4].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فان ذهب عنه الغضب، والا فليضطجع»[5].

ثم ان المذموم في هذا الباب الغضب الموجب للفساد، والمُوقع في المعاصي، او المحاذير، الشخصية والجماعية، والا فان هناك امور كثيرة تحصل من وراء هذه الغريزة غير مفسدة، بل كثير من النعم والاحكام الالهية متوقفة عليها، لذا نجد من فقد جانباً من هذه الغريزة الشريفة المودعة من الله عزوجل، نجده ضعيفاً خائفاً متراخياً خامداً متكاسلاً.

حتى إن بعض الواجبات متوقفة على تعديل هذه القوة، كالامر

---

(١) اصول الكافي ٢: ٣٠٣ كتاب الايمان والكفر باب الغضب ح ٣.

(٢) البحار ٧٣: ٢٦٦، نهج البلاغة حكمة رقم ٢٥٥.

(٣) اصول الكافي ٢: ٣٠٤ باب الغضب ح ١٢.

(٤) راجع المصادر المتقدمة نحو الكافي ٢: ١٠٩ و١١١ و٣٠٢، وبحار الانوار ٧١: ٣٥٨.

(٥) ميزان الحكمة ٧: ٢٣٩ عن الترغيب ٣: ٤٥٠.

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكالذهاب الى ميادين الجهاد ، وكتنفيذ الحدود الشرعية .

قال تعالى في محكم كتابه الكريم في معرض وصف عباده : ﴿*أشداء على الكفار رحماء بينهم ...*﴾[1].

لذا ذهب كثير من العلماء والعرفاء الى طرح سبل العلاج لهذه الغريزة وتعديلها ، حتى تصبح حلماً عند الغضب ، وشجاعة عند المواقف الصعبة ، القتالية والجهادية ، حلماً مع المؤمنين ، وشجاعة مع اعداء الله عزوجل ، كما اشارت الآية الكريمة .

بين حلم الامام الحسن وشجاعة الامام الحسين عليهما السلام :

وحيث وصلنا الى هذا النقطة ، الى الحالة البرزخية التي لابد للانسان المؤمن ان يسلكها ، حالة الشجاعة دون الجبن والتهور ، كان لزاماً علينا ان نبحث عن شجاعة رجل وحلم آخر ، عن شجاعة سيد من أسياد شباب اهل الجنة ، وعن حلم سيد آخر من اسيادها .

عن شجاعة امامنا الحسن ، وحلم امامنا الحسين عليهما السلام :

فكثير ما تطرح التساؤلات حول صلح الامام الحسن عليه السلام ، وثورة الامام الحسين عليه السلام ، كثيراً ما يتجاسر على قطبي الوجود ، لتسليط الضوء على صلح الامام الحسن عليه السلام كحالة استسلامية ، او

---

(١) الفتح : ٢٩ .

على موقف الامام الحسين عليه السلام كحالة غير مدروسة !!

وما يرمي هؤلاء الا التشكيك بعصمة أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم اجمعين ، والا فما معنى ان يوصف سيدا شباب اهل الجنة وريحانتا[١] رسول الله صلى الله عليه وآله ، بتلك الاوصاف[٢].

ان في عقيدة كاتب هذه الكلمات ، ان هؤلاء يريدون التخرص حتى لو كان الامر معكوساً ، فحتى لو صالح الحسين عليه السلام او حارب الحسن عليه السلام ، فانهم لن يتورعوا عن التجاسر ، لما في نفوسهم من الحقد الدفين على الاسلام واهله ، وما هي إلّا احقاد بدرية او أحدية .

اننا من منطلق قوله تعالى : ﴿***انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً***﴾[٣] ، الدالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام ، نقول لو كان الامام الحسن عليه السلام في موقع الامام الحسين عليه السلام مع يزيد لحاربه ، ولو كان الحسين عليه السلام في موقع الامام الحسن عليه السلام مع معاوية لصالحه ، وكما حصل فترة من الزمن[٤] .

---

(١) فائدة : قال الشريف الرضي عليه الرحمة : شُبِّهَ بالريحان لان الولد يشم ويضم كما يشم الريحان ، واصل الريحان مأخوذ من الشئ الذي يتروح اليه ويتنفس من الكرب به ، انتهى . ويخطر بالبال ان وجه الشبه يعود الى الاصل فان الحسن والحسين عليهما السلام خير ما يتروح بهما وافضل ما ينفسان عن المكروب ..

(٢) وهذا الحديثان من الاحاديث المسلمة عند الفريقين اما الحديث الاول فقد رواه احمد بن حنبل في الفضائل والترمذي في الجامع وابن ماجة في السنن والواعظ في شرف المصطفى وكذلك الحديث الثاني صحّحة الترمذي ورواه البخاري في جامعه .

(٣) الاحزاب : ٣٣ .

(٤) وهي الفترة التي دامت حوالي السنتين مدة بقية حكم معاوية وحتى تسلم يزيد .

وان من راجع التاريخ ، ودرس الظروف التي كانت محيطة بالامام الحسن عليه السلام ، لأدرك ضرورة الصلح والمعاهدة مع معاوية . ولم يكن توجه الامام الحسن عليه السلام من أول الامر الى المعاهدة ، بل على العكس كان كل توجهه الى متابعة مسيرة ابيه الجهادية عليهما السلام ، الا ان أنصاره لم يكونوا كانصار الامام علي عليه السلام كما سوف نشير ، وكان كلّما أرسل الى الانبار قائداً للجيش ، كان يفرّ الى معاوية ، وقصة رجل كندة ومراد غنيّة عن التعريف[1] .

وكذلك قصة مظلم ساباط ، حيث ضُرب بمعول على فخذه وصل الى العظم ، حتى قال للجهني : «أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء ، يزعمون انهم لي شيعة ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي .. والله لو قاتلت معاوية ، لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سلماً ..»[2] .

اضافة الى تخيير اصحابه قبل الصلح بين الحرب والمهادنة فاختار الجميع الصلح قائلين: البقية ! البقية ..!

وبيّن لهم الفرق بين اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وأصحابه قائلاً صلوات الله عليه :

« إنّا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وانما كنا نقاتل اهل الشام بالسلامة والصبر ، فسلبت السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وكنتم في منتدبكم الى صفين : دينكم امام دنياكم ، فأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم ، ألا وانّا لكم كما كنا ، ولستم لنا كما كنتم ..»[3] .

---

(١) راجع البحار ٤٤ : ٤٣ .

(٢) راجع الاحتجاج : ١٤٨ ، والبحار ٤٤ : ٢٠ .

(٣) راجع تذكرة خواص الامة : ١١٤ ، ورواه ابن الاثير الجزري ٢ : ١٣ من أسد الغابة .

وفي كلام آخر له عليه السلام : غررتموني كما غررتم من كان من قبلي ، مع أي امام تقاتلون بعدي ؟! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ورسوله قط ، ولا أظهر الاسلام هو وبني امية إلّا خوفاً من السيف ، ولو لم يبق لبني أمية إلّا عجوزاً درداء لبغت دين الله عوجاً ، وهكذا قال رسول الله»[1].

وافضل جواب يقال لمن بقي في نفسه شيئ ما قاله عليه السلام لابي سعيد عقيصا : «يا ابا سعيد ، علّة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ، ولأهل مكة مني ، انصرف من صلح الحديبية ، أولئك كفّار بالتنزيل ، ومعاوية واصحابه كفّار بالتأويل ، يا ابا سعيد اذا كنت اماماً من قِبل الله تعالى ذكره ، لم يجب ان يُسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة او محاربة ، وان كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً»[2].

ولولا صلح امامنا الحسن عليه السلام لما حفظ كيان الشيعة والتشيع[3] ، ولهدرت دماء المسلمين كما قال لاصحابه عليه السلام : ما أردت بما فعلت ، الا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله وسلموا لامر الله ، والزموا بيتوكم وامسكوا»[4].

وليس من الجزاف بعد ذلك ، ان يقول القائل ، لولا صلح الامام الحسن عليه السلام ما كانت عاشوراء ، فان فترة الامام الحسن عليه السلام

---

(١) البحار ٤٤ : ٤٣.

(٢) البحار ٤٤ : ٢ ، نقلاً عن الشرايع ١ : ٢٠٠.

(٣) البحار ٤٤ : ٢ نقلاً عن علل الشرايع ١ : ٢٠٠.

(٤) راجع اسد الغابة ٢ : ١٤ وكشف الغمة ٢ : ١٤١ ومناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٤.

ما كانت إلّا فترة تهيئة واعداد للشخصيات المستقبلية الكربلائية .

تبصرة :

ومن سخيف القول ، ما قيل أن الحسين لم يكن راضياً بصلح الحسن عليهما السلام ، ولا أريد أن اطيل في هذه النقطة ، انما ما أرمي اليه هو تسجيل بعض المواقف للامام الحسين عليه السلام ، تدل على سخافة هذا القول ، فان من راجع التاريخ ، وكان منصفاً في حكمه عليه ، أدرك طاعة الامام الحسين للامام الحسن عليهما السلام ، وعلى كل حال فهو امامه المفترض الطاعة ، من الصغر وحتى الكبر[1] .

فعلى سبيل المثال (في حال الصغر) ما جرى لهما في حديقة بني النجار ، عندما اشار الحسن عليه السلام برأيه قال الامام الحسين عليه السلام : دونك يا أخي فافعل ما ترى ، .. وفي فقرة اخرى قال عليه السلام : اني لأقول كما قال أخي الحسن[2] .

وكذلك سجّل الامام الحسين عليه السلام (في حال الكبر) موقفاً آخر عندما طلب معاوية البيعة فبايع الحسن وبايع الحسين عليهما السلام ، وعندما أراد ان يبايع قيس بن سعد ـ صاحب شرطة الخميس ـ نظر الى الحسين عليه السلام ينتظر ما يأمره ، فقال الامام الحسين عليه السلام : يا قيس ! إنه إمامي ..»[3] .

---

(١) على اساس انه لا فرق بين صغرهما وكبرهما بعد ثبوت عصمتهما عليهما السلام .

(٢) البحار ٤٣ : ٢٦٧ نقلاً عن امالي الصدوق .

(٣) البحار ٤٤ : ٦١ نقلاً عن رجال الكشي .

ولعمري من كان هذا كلامه كيف يكون مخالفاً !!

ولا ننسى أن نسجل قوله لاصحاب معاوية بعد موت أخيه : والله لولا عهد الحسن عليه السلام اليّ بحقن الدماء ، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم ، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها ، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم ، وابطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا ..»[1] .

فقوله الاخير ان دل فما يدل إلّا على مشاركته للصلح لا فقط رضاه ..

عود على بدء :

وما أدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حقهما عليهما السلام : « ... أما الحسن فان له هيبتي وسؤددي واما الحسين فله جودي وشجاعتي»[2] ، وفي نص اخر .. وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي . وقال أيضاً : فانحله الجود والرحمة»[3] .

فكأنه صلى الله عليه وآله يريد ان يشير الى صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام ، صلح الحسن عليه السلام الذي يحتاج الى الهيبة

---

(١) الارشاد : ١٧٤ والبحار ٤٤ : ١٥٧ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢١٤ ، وكشف الغمة : ١٥٤ ، والبحار ٤٣ : ٢٦٣ .

(٣) البحار ٤٣ : ٢٦٤ و٢٩٣ . وهناك نصوص اخرى بهذا المضمون منها قوله صلى الله عليه وآله : «اما الحسن فانه ابني .. وحجة الله على خلقه ، أمره امري ، وقوله قولي ، من تبعه فانه مني ومن عصاه فليس مني .. اما الحسين فانه مني .. وهو امام المسلمين ومولى المؤمنين وخليفة رب العالمين .. امره امري وطاعته طاعتي من تبعه فانه مني ..» راجع : امالي الصدوق : ١٠٠ وفرائد السمطين ٢ : ٣٥ .

والسؤدد ، وثورة الحسين عليه السلام التي تحتاج الى الكرم باغلى ما يمتلك والشجاعة .

ولعمري ! ان هذا لا ينافي شجاعة الحسن وحلم الحسين عليهما السلام ، كيف ؟!

وقد شارك امامنا الحسن عليه السلام في كثير من الحروب كغزو طبرستان[١] ، واصبهان[٢] ، وفتح افريقيا[٣] ، وجرجان[٤] ، وقد أبلى بلاءً حسناً .

كيف ؟!

وقد كان امامنا الحسين عليه السلام حليماً وأباً عطوفاً للمساكين والفقراء ، فقد روي في كشف الغمة : أن غلاماً جنى جناية توجب العقاب ، فأمر بضربه فقال الغلام : يا مولاي والكاظمين الغيظ .

قال عليه السلام : خلّو عنه

فقال الغلام : يا مولاي ، والعافين عن الناس ..

قال عليه السلام : قد عفوت عنك ..

قال : يا مولاي ، والله يحب المحسنين ..

---

(١) راجع : الفتوحات الاسلامية ١ : ١٧٥ وتاريخ الطبري ٣ : ٣٢٣ والبداية والنهاية ٧ : ١٥٤ .

(٢) ذكر أخبار اصفهان ١ : ٤٤ كما في الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام للسيد مرتضى العاملي .

(٣) سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ : ١٦ وتاريخ ابن خلدون ٢ : ١٢٨ .

(٤) تاريخ جرجان : ٧ .

قال عليه السلام : انت حر لوجه الله ، ولك ضعف ما كنت اعطيك ..»[1]

وروي عن أنس انه قال : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلتْ عليه جارية فحيته بطاقة ريحان .

فقال لها : انتِ حرة لوجه الله ، فقلت : تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها ؟

قال صلوات الله عليه : «كذا أدبنا الله»[2] .

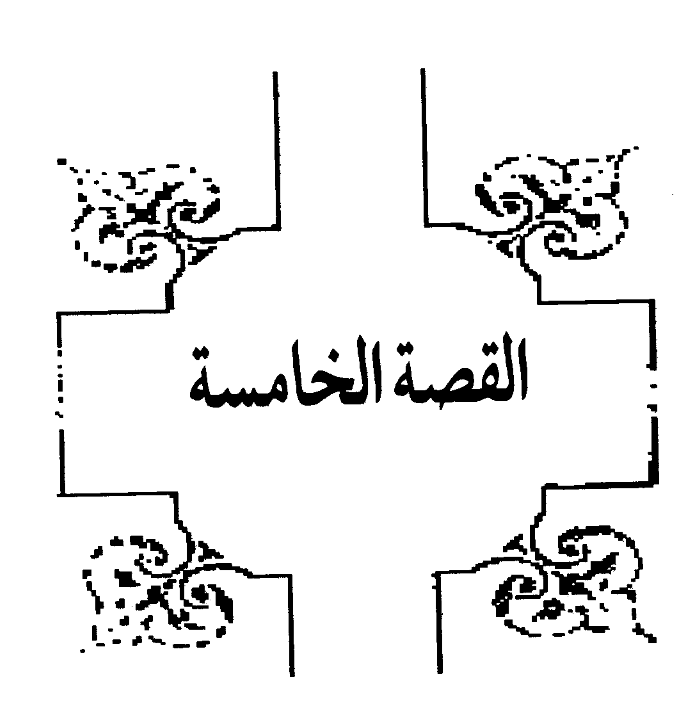
كيف لا يكون حليماً وهو القائل :

سبقت العالمين الى المعالي بحسن خليقة وعلّو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال في الظلالة مدلهمّه
يريد الجاحدون ليطفؤه ويأبى الله إلّا أن يتمه



(١) البحار ٤٤ : ١٩٥ وكشف الغمة ٢ : ٢٠٦ .

(٢) كشف الغمة ٢ : ٢٠٦ والبحار ٤٤ : ١٩٥ .


القصة الخامسة



النور الخامس

نور سيدنا ومولانا الامام
ابي عبدالله الحسين عليه السلام

ينقل الميرزا النوري في كتابه دار السلام هذه القصة :

أراد المرحوم العلامة الشيخ عبدالحسين الطهراني أن يوسع الطرف الغربي من الصحن الشريف للامام الحسين عليه السلام ، فاشترى جميع البيوت في تلك المنطقة ، وألحقها بالصحن ، وبنى حوالي ستين سرداباً من أجل دفن الموتى ، وبنى فوقها جسراً لعبور المارة ، وبدأ بعض الناس يدفنون موتاهم في تلك السراديب والقبور ، وبعد فترة ـ ونظراً لتردد الناس على الجسر ـ أعلن المهندسون عن احتمال سقوط الجسر ، فأمر الشيخ عبدالحسين بهدم الجسر ، وإعادة بنائه بشكل متين

وبما أنَّ اسس الجسر تستند الى السراديب ، أمر بهدم عدد منها أيضاً ، ولما وصلوا الى احد السراديب الذي يواجه الضريح الحسيني الشريف ، شاهدوا ثلاثة أجساد في حالة تغيّر ، بحيث اصبحت رؤوسها تواجه الضريح الشريف ، بينما أرجلهم تواجه القبلة ، فتعجب الناس من هذا الامر وتدافعوا أفواجاً وفرادى ، ليشاهدوا هذا المنظر العجيب ، وكان احد الاجساد للمرحوم الميرزا اسماعيل الاصفهاني البنـا ، واثناء كشف الاجساد كان ابنه حاضراً ، فتعجب كثيراً وقال : إنني أنا بنفسي قد وضعت رأسه بإتجاه القبلة ورجليه تجاه قبر الحسين عليه السلام ؛ واتضح للناس بان تغير وضع الاجساد جاء نتيجة احترام الموتى لضريح الامام الشريف ، فغيروا اوضاعهم[1] .

وهناك قصص أخرى مشابهة لهذه القصة ، ذكر بعضها المرحوم آية الله دستغيب في كتابه الموسوم بالقصص العجيبة .

---

(١) القصص العجيبة : ٢٣٨ نقلاً عن دار السلام للمرحوم النوري .

قدسية قبور الائمة :

من المعلوم ان المكان بما هو لا قدسية له ، انما يكتسب هذه الصفة من الظروف المحيطة به ، أو العوامل التي تمرّ به ، أو توضع فيه ، أو العناوين التي يتصف بها .

فالمسجد يكتسب القداسة لكونه بيت الله ومصلى عباده ، ولذا قبل وقف أي مكان على المسجدية ، لا قداسة له من هذه الجهة .

والكعبة اكتسبت القداسة لكونها أول بقعة خلقت ، أو لأنها محجّ عباد الله عزوجل .

وكذلك قبور الأئمة عليهم السلام ، ما كانت لتكتسب أي قداسة لولا الحلول المبارك بها ، ولو لمدة بسيطة .

وعلى هذا الاساس ، لابد أن يكون التفاضل بحسب العوامل والاسباب التي تحيط بالمكان ، وبذلك يتبين أن أمكنة وقبور الائمة عليهم السلام ، أفضل الاماكن ، بل لعل كل الأماكن اكتسبت القداسة منهم عليهم السلام ، بل ما كانت لتوجد تلك الاماكن ، لولا وجودهم عليهم السلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي لولا نحن ما خلق الله لا

آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الارض»[1].

ولا نرمي من وراء ذلك إلّا تبرير ما جاء في هذه القصة التي بين يديك، والّا فقد لا يكون هناك ثمرة لذلك.

وبعد هذا البيان قد نخرج بنتيجة تفسّر لنا سبب تحول الناس في قبورهم عن القبلة الى الضريح المقدس.

ولقائل ان يقول: ان الكعبة بيت الله الحرام، والقبلة التي يتوجه اليها المسلمون، والتي تعتبر من أهم المقدسات الالهية، منذ آدم عليه السلام وحتى نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فلماذا لا تفضل على كربلاء، أو لا أقل توازيها؟

إلّا أن التحقيق لا يساعد على ذلك ـ مع ما للكعبة من علو قداسة ـ وذلك لوجوه:

الوجه الاول: لما رواه المفضل بن عمر[2] في حديث طويل الى ان يقول: «ثم تنفس ابو عبدالله عليه السلام وقال: «يا مفضل ان بقاع الارض تفاخرت، ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء، فأوحى الله اليها ان اسكتي كعبة الله الحرام، ولا تفخري على كربلاء، فانها البقعة التي نودي موسى عليه السلام منها من الشجرة، وانها الربوة التي أوت اليها

---

(١) كمال الدين: ٢٥٤، باب نص الرسول على القائم.

(٢) هو ابو عبدالله الكوفي لم يوثقه النجاشي في رجاله ٢ : ٣٥٩، ووصفه بأنه فاسد المذهب إلّا ان الاكثر على توثيقه كالشيخ المفيد حيث عدّه من شيوخ أصحاب ابي عبدالله عليه السلام وخاصته وبطانته في كتابه الارشاد: ٢٧٠ وكالشيخ الطوسي في كتابه الغيبة: ٢٢٣ والكشي والكليني ولعل ما في متنها يساعد على صدورها.

مريم والمسيح عليهما السلام ، وانها الدالية[1] التي غسل فيها راس الحسين ، ومنها غسَّلت مريم عيسى عليهما السلام ، واغتسلت من ولادتها ، وانها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها وقت غيبته ، وليكونَنَّ لشيعتنا فيها خِيْرَة الى ظهور قائمنا عجل الله فرجه»[2] .

الوجه الثاني : ما رواه الامام الصادق عليه السلام قال : ان أرض الكعبة قالت : من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري ، يأتيني الناس من كل فج عميق ، وجعلت حرم الله وأمنه ، فأوحى الله تعالى اليها ان كفي وقري ، ما فُضِّل ما فضلت به فيما أُعْطِيَتْ أرض كربلاء إلّا بمنزلة الابرة غُرِسَت في البحر فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ، ولولا ما تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت ، فقري واستقري ، وكوني ذَنَباً متواضعاً ذليلاً ..»[3] .

الوجه الثالث : ما روي في ثواب زيارة الحسين عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «والله لو أني حدثتكم في فضل زيارته لتركتم الحج رأساً ، وما حج أحد ، ويحك اذا علمت ان الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً .

قال ابن أبي يعفور : قد فرض الله على الناس حج البيت ولم يذكر زيارة قبر الحسين ؟!

---

(١) يريد الفرات .

(٢) بحار الانوار ٥٣ : ١٢ .

(٣) سفينة البحار ٢ : ٤٧٥ . وقريب منه في الوسائل ١٠ : ٤٠٣ .

قال عليه السلام : وان كان كذلك ، فان هذا شئ جعله الله هكذا ، أما سمعت قول أمير المؤمنين عليه السلام : ان باطن القدم أحق بالمسح من ظاهر القدم ، ولكن الله فرض هذا على العباد ، أما علمت أن الإحرام لو كان في الحرم كان أفضل لأجل الحرم ولكن الله وضع ذلك في غير الحرم»[1] .

تبصرة :

أقول : وليس مقصود الامام عليه السلام ان يُوجب زيارة الامام الحسين عليه السلام وجوباً ظاهرياً[2] ، دون الحج او مثله ، انما يريد الامام عليه السلام ان يقول لابن ابي يعفور وغيره ، ان هناك موازين ظاهرية وباطنية ، وقد أوجب الله عليكم الظاهرية لمصلحة ما ، [اما للتسهيل او لعدم فهم اكثر الناس لغير الظاهرية] وهذا لا يلغي الميزان الباطني الواقعي .

وعلم الأئمة عليهم السلام بذلك مما لا شك فيه ، فهم أدرى بأفضلية الموازين وتصريح الامام لابن ابي يعفور بهذا الميزان الباطني إنما هو لأهمية موقع الامام الحسين عليه السلام ، ولجوهرية حركته ، والتي تعتبر المحور الاساسي عند اهل البيت عموماً عليهم السلام . وأما انها لم تذكر في القرآن فليس دليلاً ، ولذا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام لم تذكر تصريحاً في القرآن ومع ذلك هي أهم بكثير من الواجبات التي ذكرت في

---

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ٤٠٢ باب استحباب التبرك بكربلاء ح ١ .

(٢) اما ما هو الميزان الباطني فلعله غير ذلك .

القرآن[1].

اضافة الى التعليل الذي ذكره عليه السلام لابن ابي يعفور.

الوجه الرابع : ان كربلاء امتازت على الكعبة وغيرها بأنَّ تربتها تشفي المريض، قال أبو عبدالله عليه السلام: كل طين حرام كالميتة والدم وما أهل لغير الله عزوجل به، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام فانه شفاء من كل داء»[2].

الوجه الخامس : ان زيارة كربلاء تعتبر من أهم الزيارات عند الامامية، وسوف يأتي في القصة الثامنة عشر تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى.

وفي رواية ابن أبي يعفور المتقدمة ما يدلل على ذلك.

وفي رواية اخرى عن علي بن معمر، عن بعض اصحابنا، قال:

«قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ان فلاناً أخبرني أنه قال لك: إني حججت تسع عشرة حجة وتسع عشرة عمرة، فقلتَ له: حج حجة أخرى واعتمر عمرة اخرى يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام.

فقال عليه السلام: أيّما أحب اليك أن تحج عشرين حجة، او تعتمر عشرين عمرة، او تحشر مع الحسين عليه السلام؟

فقلت: لا بل أحشر مع الحسين عليه السلام.

---

(١) وفي غالب الظن ان في ذلك رواية يعلل فيها الامام مسالة الحسين عليه السلام بعدم ذكر ولاية الامير عليه السلام.

(٢) وسائل الشيعة ١٠ : ٤١٥ باب تحريم اكل الطين ح٣.

قال : فزر أبا عبدالله عليه السلام[1]».

الوجه السادس : ان فيها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيد شباب أهل الجنة ، الذي من أجله خلقت الدنيا وما فيها ، والذي لولاه ولولا جده وأخيه وأمه وأبيه ، لم يكن لمكة والبيت فضل يذكر[2].

زيادة تبصرة :

وبعد هذه الوجوه قد نستطيع ان نفسّر ما جاء في هذه القصة ، فان مدَّ الرجلان باتجاه خليفة الله ، وخامس اصحاب الكساء ، يعد تجاسراً عليه ، ومما لا شك فيه ان مدّهما باتجاه القبلة أقل تجاسراً من مدهما تجاه الضريح المقدس ، بل في بعض الاحوال رخّص الشارع ـ ان كان هناك محذور ـ بمد رجلي الميت اتجاه القبلة[3] ، بينما لا نجده يرخص في التجاسر على أئمة الهدى عليهم السلام طرفة عين.

ولقائل ان يقول : نحن مأمورين بالحكم الظاهري ، والواجب هو التوجه الى القبلة ، لزم من ذلك توجه الأرجل الى الضريح ام لم يلزم ، ضرورة أنّه عند دوران الامر بين الواجب وغير المحرم قدم الواجب.

ـ قلنا في معرض الجواب عن ذلك : (اضافة الى ما تقدم في الوجه

---

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ٣٤٨ ، باب استحباب إختيار زيارة الحسين عليه السلام على الحج والعمرة ح ٤.

(٢) وتقدم ما يدل على ذلك.

(٣) وذلك عند احتضار الميت حيث يؤمر باستقبال القبلة مما يكون رجلاه محاذية القبلة.

الثالث) :

أولاً : ان هذا الواجب ـ الكفائي ـ واجب على المكلف (غير الميت) ان يوجه الميت نحو القبلة عند الدفن ، اما بعد الدفن وخروج الميت من عالم الدنيا الى عالم البرزخ ، فليس من المعلوم بقاء هذا الوجوب على المكلف ان تسنى له العلم بذلك ، ولذا لم يقم اولائك العلماء بكربلاء بهذا التكليف عند مشاهدة الاجسام[1] .

ثانياً : لو سلّمنا ذلك فان هذا عمل نفس المكلف الحي ، اما نفس الميت فلا يجب عليه استمرارية الاستقبال ، ان قلنا انه هو الذي وجه نفسه تجاه الضريح[2] .

ثالثاً : ان المسألة دائرة بين محذورين ، لا بين واجب وغير محرم ، فكما يجب التوجه الى القبلة ولو في عالم البرزخ (لو سلمنا ما تقدم) كذلك يجب احترام الامام عليه السلام ، وعدم التجاسر عليه ، حياً كان او ميتاً ، ولذا أفتى بعض الفقهاء بحرمة الصلاة امام قبر المعصوم مما يكون ظهر المكلف باتجاه الضريح .

وعند دوران الامر بين واجبين ، لابد من تقديم الاهم على المهم ، وفي نظر القارئ ما يكفي لذلك .

---

(١) والحال ان فيهم الشيخ عبدالحسين الطهراني وكثير من علماء النجف الذين سمعوا بالخبر .

(٢) لاحتمال ان يكون ذلك عمل الملائكة (الملائكة النقالة) .

رابعاً: قد ورد أن اهانة المؤمن أعظم عند الله من زنية في الكعبة بذي رحم، فكيف بإهانة أئمة المؤمنين، ويعسوب الدين، وخليفة رب العالمين؟

احترام الائمة عليهم السلام سنة الـهية:

احترمت السماء أئمة الهدى عليهم السلام قبل ان تحترمهم الارض وأهلها، ثم أمرت باحترامهم صلوات الله عليهم.

فلم تأكل الارض اجسادهم، ولم يكن لدودها سبيل عليهم، بل أجسادهم ترفع الى السماء بموتهم عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد (قده): «وأما احوالهم بعد الوفاة، فإنهم ينقلون من تحت التراب فيسكنون بأجسادهم وارواحهم جنة الله تعالى.. فيكونون فيها أحياء.. متنعمون الى يوم الحساب [بلقاء الله عزوجل].. وهذا مذهب فقهاء الامامية»[1].

والروايات الشريفة في هذا المجال كثيرة، فمنها:

ما رواه ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله يوماً لاصحابه: حياتي خير لكم ومماتي خير لكم.

فقالوا: يا رسول الله هذا حياتك نعم.. فكيف مماتك؟

قال صلى الله عليه وآله: ان الله حرم لحومنا على الارض ان يطعم

(١) اوائل المقالات: ٤٥.

منها»[1].

ومنها: ما رواه ابن أبي حلاّل عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «ما من نبي ولا وصي يبقى في الارض اكثر من ثلاثة أيام، حتى يرفع بروحه وعظمه ولحمه الى السماء، وانما يؤتى موضع آثارهم، ويبلغ بهم من بعيد السلام، ويسمعونهم على آثارهم من قريب»[2].

نعم بقي شئ:

انّه بناء على ذلك كيف جرت عادة الشيعة ـ علماء وفقهاء ـ على زيارة الأئمة عليهم السلام في قبورهم، علماً أنهم يرفعون الى جوار الله عزوجل؟

وأجاب على ذلك الشيخ المفيد (قده): [من ضمن أجوبته على المسائل العكبرية، جواب المسألة الرابعة والعشرين] بأن السعي الى مشاهدهم والمناجاة لهم عند قبورهم امتحاناً وتعبداً، ويكون الثواب على ذلك السعي .. وهذا نظير تعبدنا من قبل الله عزوجل بالحج الى بيته، من دون أن يكون سبحانه حاوياً لاي مكان، ولا أقرب لمكان من مكان آخر، فالأئمة صلوات الله عليهم كذلك لا يحويهم مكان، مع كون أرواحهم فوق القبور» .. انتهى.

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٤٣، باب قول الرسول صلى الله عليه وآله في عرض الاعمال عليه، ان حياته ومماته خير لكم وان الارض لا تطعم منه شيئاً ح١.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٤٥، باب قول الرسول صلى الله عليه وآله في عرض الاعمال عليه، ان حياته ومماته خير لكم وان الارض لا تطعم منه شيئاً ح٩.

أقـول :

ما ذكره قدس سره ليس مطّرداً لجميع الزائرين، بل هو مخصوص بمن امتحنه الله عزوجل .. وبعبارة أخرى هذا مخصوص بمن يزورهم من اجل تحصيل الثواب والبعد عن العقاب ، ولا يشمل من كان زائراً لهم لأجل كونهم أهلاً للزيارة ، كالذي يعبد الله عزوجل فتارةً يعبده عبادة التجار والعبيد وأخرى يعبده عبادة الاحرار.

على أنّه كون الثواب على السعي شئ مختص بالذاهبين الى مكان وجودهم ، فماذا تفعل بمن يزورهم عن بُعد ؟!

اضافة الى ان مجرد السعي وبلا نية القربى والمعرفة للامام المعصوم ، لا يترتب عليها ثواب ، فان لنية القربى والمعرفة مدخليّة في الامر ، وتقدم ما يناسب ذلك في القصة السادسة عند الكلام عن الدعاء والمعرفة .

ويخطر بالبال القاصر جواب :

ان مكانة الأئمة عليهم السلام،هذه المكانة الرفيعة والعظيمة ، هي بحدِّ ذاتها من المرجحات للقيام بزيارتهم ، وهذا من باب الاحترام لهم ، فيترتب الثواب على ذلك ، سواء كان الزائر عن قرب ام عن بعد فانهم لا تحويهم الامكنة ولا تحدهم المسافات .

عود على بدء :

هذا بالنسبة لاحترام السماء ، وتقدير الارض لهم عليهم السلام ، وعدم اكل التراب لاجسادهم ، اما بالنسبة لاهل الارض فهم أيضاً مأمورون باحترام الأئمة عليهم السلام ، وقد قرأنا معاً في القصة المتقدمة نموذجاً من هذا الاحترام ، ومصداقاً من مصاديق التجاسر ، إلّا انه ليس بالمصداق الوحيد .

قرأنا ان مدّ رجلي الميت يعد تجاسراً ، فما بالك برجلين الحي ؟! فما بالك بالمصاديق الاخرى ، كإعطاء الخَلْف للضريح ، أو كمقاطعة زيارة الأئمة عليهم السلام ، او ذكر شيئ لا يتناسب مع عظمتهم صلوات الله عليهم اجمعين.

اذا كان الانسان الميت ، والذي هو بالنظر المادي لا شعور ولا احساس له ، اذا كان هذا قد أحس بالتجاسر ، وحوّل نفسه تجاه اللا تجاسر !

فما بالنا لا نخطوا خطوة واحدة نحو ذلك ؟ مع الشعور الذي نمتلكه ،كم نحن مقصرون تجاه اؤلئك الانوار ، الذين ما جاؤا إلّا لأجلنا ، ومن أجل هدايتنا ، من أجل ان لا نبقى في الظلمات ونخرج الى نور الحقيقة .

الى متى نستمر في هذا التجاسر على من زيارتهم عطاء لنا ، والقرب منهم قرب لنا من الله عزوجل ، اولائك الذين أذهب الله عنهم الرجس, وطهرهم تطهيراً .

فينبغي للانسان المؤمن ان يتجه نحو الأئمة الاطهار ، ليستلهم من عطائهم ، وليتعظ من كلامهم ، وليتربى على ايديهم بكل أدب واحترام ، وان يواظب على زيارتهم بين الفترة والاخرى عليهم السلام ليبقى على اتصال روحي وجسدي معهم صلوات الله عليهم .

كيفية التعامل مع المعصوم عليه السلام :

ولم أقف على نصوص صريحة في كيفية التعامل مع الأئمة عليهم السلام ، او لاحترامهم احياء ام اموات ، نعم يستفاد ذلك من بعض الروايات نحو قول أبي عبدالله عليه السلام : «قال الحارث الاعور لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين انا والله احبك .

فقال عليه السلام له : يا حارث أما اذا أحببتني فلا تخاصمني ، ولا تلاعبني ، ولا تجارني ، ولا تمازحني ، ولا تواضعني ، ولا ترافعني»[1] .

فقد يستفاد من هذا الحديث قواعد وأسس للتعامل مع أهل البيت عليهم السلام ، فمثلاً : لا ينبغي مجادلة المعصوم كما نجادل بعضنا البعض ، ولا ينبغي مزاحمته ومضايقته في أوقاته الخاصة ، ولا ينبغي التمازح معه بل يجب احترامه وإكباره ، والجلوس بين يديه ، والانصات ما امكن الى كلامه ، بل السكوت المطلق فى محضره المقدس أفضل ، إلّا اذا كان صاحب حاجة او سؤال .

ولا ينبغي المنازعة عند المعصوم لما فيها من قلة احترام له ، وقد روي عن رسول الله انه قال : «عند نبي لا ينبغي التنازع» .

---

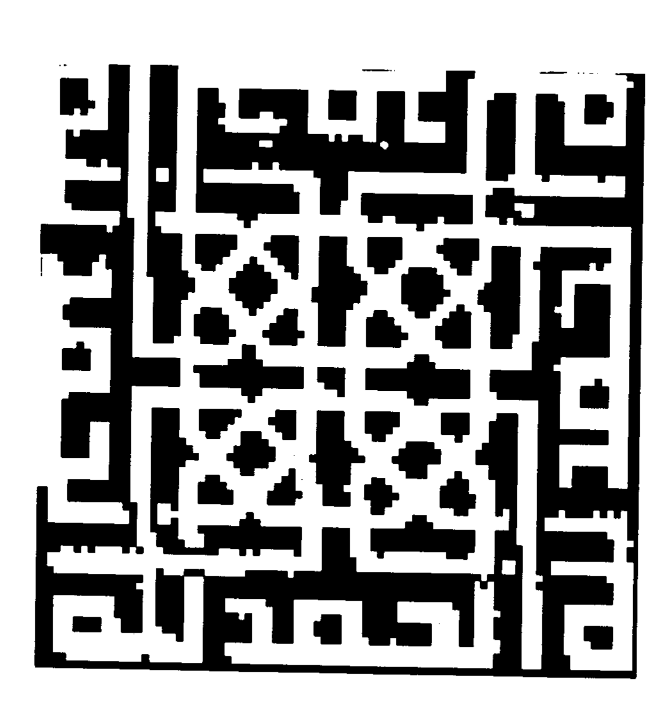
(١) الخصال ١ : ١٦٢ وراجع بحار الانوار ٢٧ : ٢٥٤ .

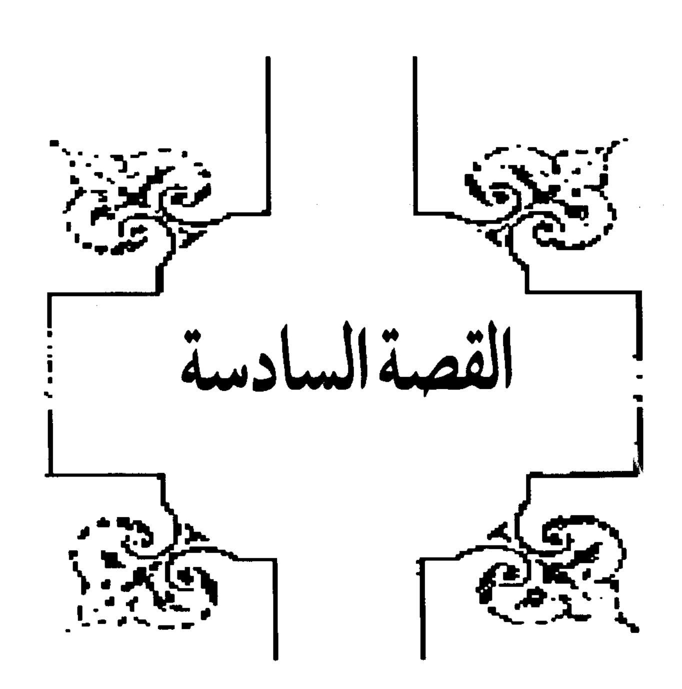
ثم ان كل ما يذكر من احترام للمعلم ، او الصديق ، او الابوين فهو ثابت للمعصوم عليه السلام ، انما الكلام في ما زاد من الاحترام على ذلك .

وبالجملة كل ما يعظم أهل بيت النبوة عليهم السلام لابد ان يراعى ، وكل ما يقلّل ، او فيه مظنة التقليل من عظمتهم وشأنهم ، ينبغي تركه وهجرانه ، فانهم من أهل بيت طهروا من كل دنس ظاهر وباطن ، كبير وصغير .

لله دركم يا آل ياسينا ... يا أنجم الحق اعلام الهدى فينا
لا يقبل الله إلّا مع محبتكم ... اعمال عبد ولا يرضى له دينا
بكم اخفف اعباء الذنوب بكم ... بكم اثقل في الحشر الموازينا
سآء بن آكلة الاكباد منقلباً ... اذ جرّ حرب ابيكم يوم صفينا
الشمس ردت عليه بعدما غربت ... من ذا يطيق لعين الشمس تطينا
مهما تمسّك بالاخبار طائفة ... فقوله وال من والاه يكفينا[1]

(١) كشكول الشيخ البهائي ١ : ٢٦٥ .





القصة السادسة

النور السادس

نور سيدنا ومولانا الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

قال عبدالله بن المبارك :

«حججت بعض السنين الى مكة ، فبينما انا سائر في عرض الحاج ، واذا صبي سباعي او ثماني ، وهو يسير في ناحية من الحاج بلا زاد ولا راحلة ، فتقدمت اليه وسلمت عليه وقلت له : مع مَن قطعت البرّ ؟

قال : مع البار .

فكبر في عيني . فقلت: يا ولدي اين زادك وراحلتك ؟

فقال : زادي تقواي وراحلتي رجلاي ، وقصدي مولاي .

فعظم في نفسي فقلت : يا ولدي ممن تكن ؟

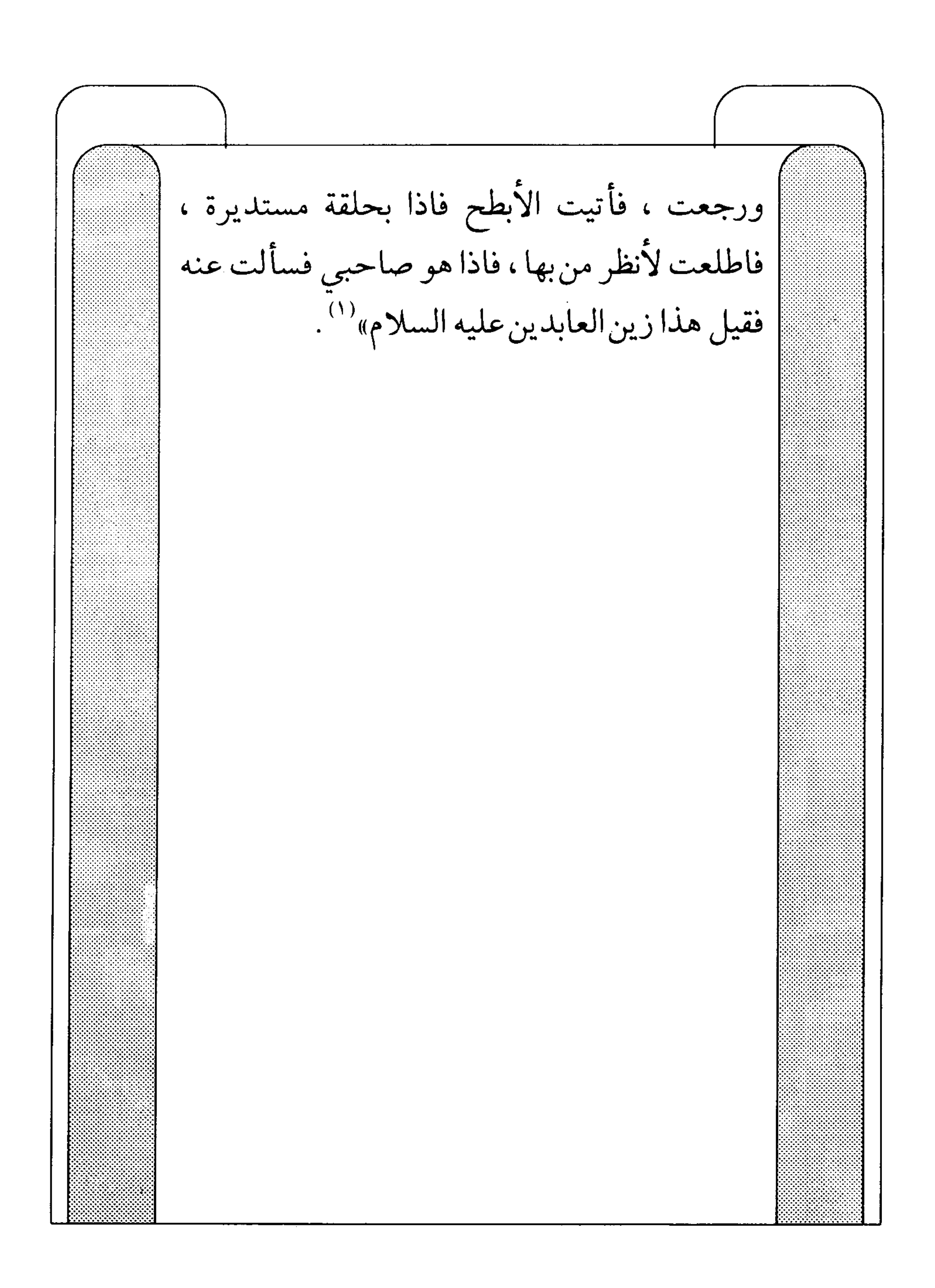
قال : مطّلبي .

فقلت : إبن لي ؟
فقال : هاشمي .
فقلت : إبن لي ؟
فقال : علوي فاطمي .
فقلت : يا سيدي هل قلت شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم .
قلت : أنشدني شيئاً من شعرك ؟ فأنشد :

لنحن على الحوض ذواده
نذوق ونسقي رواده
وما فاز من فاز إلّا بنا
وما خاب من حبّنا زاده
ومن سرنا نال منا السرور
ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا
فيوم القيامة ميعاده[1]

ثم غاب عن عيني الى أن أتيت مكة فقضيت حجتي

(١) ونسبت هذه الابيات الى الامام الباقر عليه السلام في اعيان الشيعة ١ : ٦٥٩ ، الا أنَّ عجز البيت الاول : نذود ويسعد وراده .



ورجعت ، فأتيت الأبطح فاذا بحلقة مستديرة ، فاطلعت لأنظر من بها ، فاذا هو صاحبي فسألت عنه فقيل هذا زين العابدين عليه السلام»[1] .

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ١٥٥ وراجع كشف الغمة : ٢١٧ .

عظيمة هذه القصة ، وعظيم صاحبها ، عظيمة بألفاظها القليلة ، ومعانيها العميقة .. عظيمة بمواعظها المؤثرة ..

واعظم المواعظ فيها :

صحبة الله :

من قوله عليه السلام : مع البارّ .

هكذا يكون الاولياء ، ولا يكون غيرهم ، وبذلك يعرفون ولا يعرف سواهم ، اينما ذهبوا فالله حاضر معهم ، وكيفما اتجهوا فالله قصدهم .

الله معهم بقدر ما هم معه عز اسمه ، بل في كل لحظة يعيشون العبودية معه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله فيه ومعه» .

وفي نص أخر : «... إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه»[1] .

العارف يرى ان كل ما في الوجود يدل على خالقه ، يرى ان كل شئ

---

(١) التوحيد : ٢١ .

فيه الخالق سبحانه وتعالى ، يرى الله مع كل شيء إلّا انه لا بمقارنة ، يرى الله غير كل شيء ولكن لا بمزايلة .

دائماً يرى الله امامه وان كان يعاشر الخلق ، دائماً يرى المحبوب وان كان يخالط بجسده البشر .

قال امامنا الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه ، والعارف أمين ودائع الله ، وكنز أسراره ، ومعدن نوره ، ودليل رحمته على خلقه ، ومطية علومه ، وميزان فضله وعدله ؛ قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ، ولا مؤنس له سوى الله ، ولا نطق ولا اشارة ولا نفس إلّا بالله ، لله ، من الله ، مع الله [سبحانه وتعالى] ، فهو في رياض قدسه متردد ، ومن لطائف فضله اليه متزود ، والمعرفة اصل فرعه الايمان»[(1)] .

وامامنا المفدّى علي بن الحسين عليه السلام سيد العارفين ، وامام العاشقين ، كان عليه السلام وحيداً عن الخلق ، أنيساً بالله عزوجل ، أين ما كان وفي أي ظرف كان .

كان يجسد قول الامام الصادق عليه السلام :

«المشتاق لا يشتهي طعاماً ، ولا يلتذّ شراباً ، ولا يستطيب رقاداً ، ولا يأنس حميماً ، ولا يأوي داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ثياباً ، ولا يقر قراراً ، ويعبد الله ليلاً ونهاراً»[(2)] .

وبعد هذا ، واذا أردنا ان نجول على انفسنا ، أين نضعها وبما نصفها ؟ أنصفها بانها مع البار ! وانها لا يقر لها قرار ؟!

---

(1) بحار الانوار ٣ : ١٤ باب ثواب الموحدين والعارفين ح ٣٥ .

(2) المراقبات : ١٩٩ .

أم نصفها مع الهوى ! بعيدة عن الله عزوجل ؟!

اذا اردنا أن نقيّم اعمالنـا ، فهل نكـون من الذين يعبدون الله ليلاً ونهاراً ، واذا كنا كذلك فبأي لسان نعبده ؟!

هل بهذا اللسان الظاهري الذي سوف يكلّ عن النطق ، وتأكله ديدان الارض ؟ ام بلسان القلب الذي مع الله في كل شئ !

ان التعامل مع الجوارح والبدن المادي الظاهري لا يفيدنا ، لانه سوف يتحول الى تراب وسراب :

فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالما اكلوا دهراً وقد شربوا
فاصبحوا بعد طول الاكل قد أكِلوا[(١)]

اما اذا تعامل الانسان مع باطنه ، ذلك الباطن الذي سوف ينطق عنه حين لا نطق ، فانه سوف يجد اثار ذلك يوم القيامة ، أو في عالم البرزخ . قال العلامة المجلسي (قده) :

«ان مَنْ لم يصرف بصره وسمعه وسائر اعضائه في سبيل اطاعة الحق تعالى ، لم يكن له بصر ولا سمع روحاني ، وهذا البصر والسمع الملكي الجسماني لا ينتقل الى ذلك العالم ، ويكون الانسان في عالم القبر والقيامة بلا سمع ولا بصر ، والميزان في السؤال والجواب في القبر تلك الاعضاء الروحانية»[(٢)] .

---

(١) ابيات للامام الهادي عليه السلام ، راجع : اعيان الشيعة ٢ : ٣٨ وكشكول الشيخ البهائي ٣ : ٦١ .

(٢) مرآة العقول .

قال تعالى : ﴿ *حتى لا يعلموا من بعد علم شيئاً* ﴾[1] .

وفي ذلك عدة روايات سوف نتعرض لها في الابحاث الاتية :

فينبغي للانسان ان يواظب على العبادة مع الاخلاص فيها لكي تدخل الى قلبه فعندها ينطق القلب ويفيض على اللسان :

قال الامام الصادق عليه السلام : « ***من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة*** »[2] .

وبذلك يكون قد حصّل الميزان للسؤال في القبر .

فأين نحن من هؤلاء ؟! فهل ظهرت ينابيع الحكمة من قلوبنا ؟ أم انه طيلة الاربعين عاماً لم نخلص لله طرفة عين!

﴿ ***بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره*** ﴾[3] .

ان كل انسان منا يعرف نفسه فضلاً عن أعماله ، ويدرك بعده عن الله عزوجل .

ومن لم يعرف نفسه فليعرضها على الحديث المتقدم او على الحديث القدسي :

«الاولياء .. هم الذين لم يرضوا بصيام النهار ومكابدة الليل حتى مضوا على الاسنة قُدُماً ، فخضبوا اللحاء بالدماء ، ورمّلوا الوجوه بالثرى»[4] .

أو أعرض نفسك على حديث التقرب بالنوافل :

---

(١) الحج : ٥.

(٢) راجع الكافي ٢ : ١٦ باب الاخلاص ولكن بنص آخر .

(٣) القيامة : ١٥ .

(٤) المراقبات : ١٣٠ .

«ما يتقرب اليّ عبد بشئ احب اليّ مما افترضت عليه وانه ليتقرب اليّ بالنافلة حتى احبّه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ان دعاني اجبته ، وان سألني أعطيته»[(١)].

فهل تجد آثار ذلك في نفسك ؟!

فلنتفكر قليلاً في انفسنا ، ولنعطيها جزءً بسيطاً من الاهتمام الذي نعطيه لأبداننا التي سوف تبلى ولا نستفيد منها قيد أنملة :

نادهم صارخ من بعدما دفنوا
اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل[(٢)]

فلنحاول ولو بخطوة واحدة ، التقدم نحو ذلك العالم ، ولنحاول ان نعيش للحظة واحدة مع الله عزوجل ونجعله أنيسنا دون غيره ، حتى اذا سئلنا : هل أنتم من المؤمنين ؟ فاننا نستطيع ان نقول : آمن قلبنا بالله طرفة عين[(٣)].

اما مجرد الايمان باللفظ الظاهري دون الاعتقاد والتصديق بذلك ، فانه مجرد لقلقة لسان لحقن الدماء او للعادة او لشئ آخر .

ان الانسان اذا أقام الادلة على وجود الله او وحدانيته فانه لا يعد من

---

(١) اصول الكافي ٢ : ٣٥٢ باب من اذى المسلمين ح٧ .

(٢) اعيان الشيعة ٢ : ٣٨ وكشكول الشيخ البهائي ٣ : ٦١ .

(٣) والا اذا لم يؤمن الانسان بهذا فسوف يقع في حيرة فان قال إني من المؤمنين فقد كذب وان قال لا فقد كفر ، قال بعض الحكماء : اذا واجهت هذا السؤال فاسكت .

المؤمنين بذلك ، ما لم يعتقد بذلك ، ويؤمن قلبه ويعمل على طبق ايمانه .

قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام :

«الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان»[1] .

فالاقرار باللسان احد الاجزاء للايمان فاين معرفة القلب وعمل الاركان ؟!

خير الزاد «التقوى» :

ثم قال الامام زين العابدين ـ في القصّة المتقدمة ـ زادي تقواي :

امام الانسان سفر طويل لابد ان يعبره بزاد من هذه الدنيا ليتقوى على صعوباته وعقباته .

جاء في الحديث القدسي :

«يابن آدم اكثر من الزاد فان الطريق بعيد بعيد ، وجدد السفينة فان البحر عميق عميق ، وخفف الحمل فان الصراط دقيق دقيق ، وأخلص العمل فان الناقد بصير بصير ، وأخر نومك الى القبر ، وفخرك الى الميزان ، وشهوتك الى الجنة ، وراحتك الى الآخرة ، ولذتك الى حور العين ، وكن لي أكن لك ، وتقرب اليّ باستهانة الدنيا ، وتبعد عن النار ببغض الفجار وحب الابرار ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين» .

اذا كان امامنا سفر دنيوي نعرف اكثر طرقاته ، نقوم بتهيئة الزاد بأحسن وجه ممكن ، وبلا أي نقص ملحوظ ، لا من جهة الطعام ولا من جهة الشراب واللباس ، ولا من جهة النوم والراحة والرفقة .

فكيف بسفرنا المجهول ، المجهول طريقه ، والمجهول مدته ،

---

(١) نهج البلاغة [الصالح] : ٥١٢ ، حكمة ٢٢٧ .

والمجهول نوعه، الذي فيه عقبات تكفي واحدة منها لتُعِيق ذلك السفر، عقبات من أثر ما عملناه في حياتنا واكتسبناه من دنيانا، فبدل ان نتزود لهذ الطريق الصعب نقوم بزرع العوائق فيه؛ أما آن للانسان ان يتزود بزادٍ نافعٍ يسّهل له الطريق ؟!

ولو تفكر الانسان بهذا الحديث لأدرك صعوبة الطريق.

فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال [في وصف الصراط]: «هو أدقّ من الشعر وأحدُّ من السيف، فمنهم من يمر عليه مثل البرق، ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر على حبواً، ومنهم من يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار شيئاً وتترك شيئاً»[١].

التقوى وحقيقتها:

اما كيف نتزود، وبما ؟

فان خير الزاد التقوى، ومعنى التقوى: التَّقوي والتَّحرز من الدنيا وملذاتها وآفاتها، حتى يخرج الانسان منها سليماً نقيّاً، غير ملوث بقذاراتها، متزوداً لذلك السفر الطويل، بزاد هو خير الزاد.

وقد حدّد أمير المتقين عليه السلام التقوى، فقال:

«... فان من اتقى الله عزوجل قوي[٢] وشبع وروي[٣]، ورُفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه معاين الآخرة، فأطفأ بضوء قلبه ما

---

(١) تفسير القمي ١ : ٢٩.

(٢) والمراد منها القوة المعنوية.

(٣) وليس المراد ظاهرة بل رزق رزقاً من غير عمل او انه روي وشبع من العلوم الربّانية.

ابصرت عيناه من حبّ الدنيا ، فقذّر حرامها ، وجانب شبهاتها ، وأضرّ والله بالحلال الصافي الا ما لابدَّ له من كسرة [منه] يشدّ بها صلبه ، وثوب يواري به عورته ، مِنْ أغلظ ما يَجِد وأخشنه ، ولم يكن فيما لابد له منه ثقة ورجاء[1] ، فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء ، فجد واجتهد وأتعب بدنه حتى بدت الأضلاع ، وغارت العينان ، فأبدل الله له من ذلك قوة في بدنه ، وشدة في عقله ، وما ذخر له في الآخرة أكثر ...»[2] .

آثار التقوى :

وهذا الحديث الشريف وان كان يحدد التقوى ، إلّا انه أيضاً يبرز بعض الفوائد والآثار للتقوى وهي على الاجمال :

١ ـ **قوة العقل** : فان الانسان المتقي الذي ارسل قلبه الى بيته الحقيقي يصبح قلبه معاين الاخرة ، فينتج شدة العقل وعمق تفكيره في الحقائق الواقعية ، ولذا نجد أولياء الله يمتلكون من القوة الفكرية السليمة ما لا يمتلكه أحد ، فان ايمان القلب يؤثر على تفكير العقل ، ومهما اختلف في قوله عليه السلام : «العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد»[3] فانه مما لا شك انه يزيد القوة المفكرة ، انما الخلاف في انفراده بالعلوم الحقيقية .

---

(١) بمعنى ان حتى هذا القليل (الكسرة والثوب) لا يتمناه ولا يحسب له حساباً الا لانه مأمور به .

(٢) اصول الكافي ٢ : ١٣٦ ، باب ذم الدنيا والزهد فيها ح٢٣ .

(٣) بحار الانوار ١ : ٢٢٤ .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾[1] .

٢ ـ **قوة البدن** : قد يتخيل البعض ان الزهد في ملذات الدنيا ونعيمها ، والاختصار على القدر المقوّم للجسم ، يعد ضعفاً لذلك الجسم ، ظناً منهم ان الذي يقوّي البنية هو مجرد الطعام الشهي واللحم الطري ، ولكن هيهات هيهات ، فكما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، صاحب القوة العظمى وكاسر رايات الكفر :

« ***وكأني بقائلكم يقول : اذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان . إلّا وان الشجرة البرية اصلب عوداً ، والرواتع الخضرة[2] أرق جلوداً ، والنباتات العِذْية[3] أقوى وقوداً ، وأبطأ خموداً ..*** »[4] .

٣ ـ **رصيد في الآخرة** : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب أحد .

وهناك اثار اخرى تستفاد من القرآن الكريم :

٤ ـ **المخرج والرزق الغير محتسب** : قال تعالى ﴿ **ومن يتق الله يجعل**

---

(١) الانفال : ٢٩ .

(٢) الرواتع الخضرة : الاشجار والنباتات الغضة الناعمة التي تنبت في الارض الندية .

(٣) وهي النباتات التي لا تعيش إلّا على ماء المطر .

(٤) الكتاب ٤٥ من نهج البلاغة .

له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1] .

٥ ـ اصلاح الاعمال وغفران الذنوب : قال تعالى : ﴿ ***يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا . يصلح اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم***﴾[2] .

٦ ـ تقبل الاعمال : قال تعالى ﴿ ***انما يتقبل الله من المتقين***﴾[3] .

مراتب التقوى :

وترتب وتحقق هذه الاثار يختلف بالاختلاف الشخص المتقي ومرتبته ، ولعل ذلك يتضح بذكر اقسام التقوى :

وهي على ثلاث مراتب[4] :

١ ـ تقوى في الله بالله : وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة ، وهو تقوى خاص الخاص ؛ واصحاب هؤلاء القسم هم الذين لم يعبدوا الله خوفاً من عذابه ولا رغبة في ثوابه ، بل عبدوه لانه أهل لذلك ، كما في الحديث الشريف .

اضافة الى انهم داوموا على فعل المستحبات ، وترك المكروهات ،

---

(١) الطلاق : ٢ و٣ .

(٢) الاحزاب : ٧١ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) كما في رواية الامام الصادق عليه السلام : بحار الانوار ٧ : ٢٩٥ .

بل ترك كثير من المباحات ،إلّا ما لابد منه كما تقدم في الحديث الشريف ، واجتنبوا الشبهات التي فيها مظنة الحرام .

٢ ـ تقوى من الله : وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام ، وهو تقوى الخاص ، واصحابها أقل درجة من الاولى ، فهم اجتنبوا الحرام وفعلوا الواجب ، وتركوا ما فيه مظنة الحرام ، وواظبوا على بعض المستحبات كما تركوا بعض المكروهات ، وكانت عبادتهم لا لان الله أهل للعبادة ولا خوفاً من العقاب بل برزخ بينهما .

٣ ـ تقوى من خوف النار والعقاب : وهو ترك الحرام ، وهو تقوى العام» .

وأولائك الذين اجتنبوا المحرمات وفعلوا الواجبات ولكن كانت عبادتهم عبادة تجار ، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب .

الهدف من التقوى :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ ***وعباد الرحمان ، الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما*** ﴾[١] .

الهدف من التقوى تعديل القوى كل القوى السبعية والبهيمية ، المادية والمعنوية . وفي هذه الاية الشريفة انما ذكر الله سبحانه وتعالى الانفاق كمثال لتعديل القوى ، والا فالانسان لا يتصف بالانسانية الا اذا عدّل القوى ، وجعلها ملكة في نفسه يعمل على طبقها في كل وقت

---

(١) الفرقان : ٦٧ .

ومكان ، وهي المسمات بالعدالة بمعناها الاعم .

فمثلاً عند الانسان قوة شهوية ، ناشئة من النفس الشهوانية (كالسارق) ، واخرى غضببية ناشئة من الغضب ، وثالثة وهمية ناشئة من الوهم . وعمل هذه القوى متنافر متخالف لا ربط ولا تناسق فيما بينها ، فشهوة الغذاء تحث الانسان على الاكل حتى التخمة او الملل ؛ وشهوة الفرج تحثه على اشباعها بكل ما هناك من طرق شرعية او غير شرعية ، وشهوة السرقة تحثه على الاستيلاء على كل ما يوجد عند الاخرين ، وكذلك قوة الغضب تحث الانسان على ضرب الاخرين وإيذائهم ، وقوة الوهم تحثه على توهم بعض الامور الغير واقعية او المفسدة .

ومجموع هذا يؤدي الى فساد المجتمع ومحق الانسانية ـ مصداقاً ـ فكانت التقوى لتعدل تلك القوى ، وكانت الاخلاق لتحسن الخلق والفعل الفردي والجماعي

كانت التقوى هي الميزان ، والقوام الذي يجمع بين القوى ، ويهذبها من اجل انسان رسالي .

قصد المولى :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ *واقصد في مشيك ...*﴾[1] .

وقال الامام زين العابدين وخير القاصدين « **قصدي مولاي** »[2] .

لم يخلق الله سبحانه وتعالى الانسان إلّا لقصد وهدف يسعى الى

---

(١) لقمان : ١٩ .

(٢) في القصة التي نحن بصدد التعليق عليها .

تحقيقه في مسيرته التكاملية نحو الانسانية .

وفي الاية القرآنية التي بين يديك ذكر سبحانه مصداقاً من مصاديق هذا القصد ، بل لعله من أبرز المصاديق - الظاهرية - في حياة الانسان الاجتماعية ، فان المشي يرشد الانسان الى اسمى آيات الحق ، الواجبة منها والمستحبة ، الفردية والجماعية ، المادية والمعنوية ، من قبيل الحج والصلاة والزيارات للاماكن المقدسة ، وكالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكخدمة الاخرين واصلاح ذات البين ، فانها كلها متوقفة على هذا القصد الشريف الذي يتمثل في حالة المشي المعروفة .

وكذلك بواسطة هذه القوة ، يبتعد الانسان عن المفاسد والملاهي ، وما يقرب من ذلك .

هذا اذا كان المراد بالمشي الحركة المعروفة .

اما اذا فسرناه بالمسير والصراط أو التوجه نحو الحق سبحانه وتعالى ، والذي قد يتناسب مع كلمة القصد .. فان المعنى سوف يأخذ منحاً آخر ، خاصة اذا ضممناه الى قول الامام عليه السلام المتقدم : «قصدي مولاي» سوف يكون المعنى ان الله عزوجل يأمرنا بان نقصد افضل الاشياء ، واحبها اليه . يأمرنا ان نسلك أقرب الطرق الموصلة اليها .

وبنظري القاصر ، لا أراه سبحانه وتعالى يأمر إلّا بالسير نحو الحق والحقيقة ، نحو الباري نفسه عز اسمه .

واذا سلك الانسان هذا الطريق فسوف يَقْصُر نظره عما سوى الحق تعالى ، ويشبع نفسه في النظر الى هذا القصد ، ويكون قد عمل برضى الله سبحانه وتعالى ، واختار الطريق الذي اختاره الله عزوجل .

ومن عمل برضى الله ألزمه ثلاثة خصال :

«شكراً لا يخالطه الجهل ، وذكراً لا يخالطه النسيان ، ومحبةً لا يؤثر على محبته حب المخلوقين. فاذا احب الله حببه الى خلقه ، وفتح عين قلبه على جلاله سبحانه ، حتى لا يخفى عنه علم خاصة خلقه ، فيناجيه في ظلم الليل ونور النهار ، ويستغرق عقله بمعرفته سبحانه»[1].

هذا اثر قصد المولى سبحانه ، وقد جسّده الامام علي بن الحسين عليه السلام حتى انقطع عن الخلق ، واشتغل بمناجات مقصوده ، وتفرد به سرّاً وعلانية .

واية حالة كانت تعتريه عند مناجات الحق تعالى ؟!

كان يقشعر جلده ، ويصفر لونه ، وترتعد فرائصه كالسعفة . كان أكثر كلامه دعاءً ، وافضله تسبيحاً ، وأعظمه استغفاراً ، وأعلاه تكبيراً ...

كان يقول : «يا من قصده الطالبون فاصابوه مرشداً ، وأمّه الخائفون فوجدوه متفضلاً ، ولجأ اليه العابدون فوجدوه موئلاً ، متى راحة من نَصَب لغيرك بدنه ، ومتى فرج من قصد سواك بنيته ، الهي قد تقشع الظلام ولم أقض من خدمتك وطرا ، ولا من حياض مناجاتك صدرا ، صل على محمد وآله ، وافعل بي أولى الامرين ، بك يا أرحم الراحمين..»[2].

كان يقول : «... فأسألك اللهم بالمخزون من اسمائك ، وبما وارته الحجب من بهائك ، الا رَحِمْتَ هذه النفس الجزوعة ، وهذه الرمّة الهلوعة ، التي لا تستطيع حرّ شمسك ، فكيف تستطيع حرّ نارك ، والتي لا تستطيع صوت رعدك ، فكيف تستطيع غضبك ، فارحمني فاني امرؤ

---

(١) مضمون حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، راجع المراقبات : ٩٢ .

(٢) الصحيفة السجادية .

حقير، وخطري يسير، وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذرة »[1].

فمع كثرة عبادته صلوات الله عليه، ومع شدة مراقبته لله سبحانه وتعالى كان هذا حاله وقاله.

فما بالنا لا نرجوا لله وقارا، وقد كثر انصرافنا عن الله، وقلّت عبادتنا، فلنشمّر عن ذيل الهمة ثوباً، ولنحاول بقليل العمل التأسي بامامنا عليه السلام لعله يشملنا برحمته.

«اللهم هب لنا كمال الانقطاع اليك، وأنر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور، فتصل الى معدن العظمة والكبرياء، وتصير ارواحنا معلقة بعز قدسك الكريم، يا كريم».

طريقة الدعوة عند الامام زين العابدين عليه السلام :

اختص كل امام باسلوب معين في الدعوة، متناسباً مع الظروف المحيطة به، ومراعياً للحاجة الملحة الموجودة في مجتمعه. وما ذلك إلّا لان الطرق الموصلة الى الله بعدد انفاس الخلائق كما في الخبر.

تلك الطرق التي ما كان ليجمعها امام واحد، اما للظروف التي كان يعيش فيها، او لشهادته عليه السلام قبل اكمالها، او لغيبته عجل الله تعالى فرجه.

وهذا لا يعني ان الامام عليه السلام لا يمتلك كل الاساليب، بل كلهم صلوات الله عليهم في العلم والقدرة والتقوى والعبادة سواء، لا يمتاز واحد منهم عن الآخر.

---

(١) المصدر السابق.

نعم نظراً للظروف المحيطة بكل مجتمع ، والمختلفة ، كان يتطلب من المعصوم عليه السلام ان يختار الاسلوب الانسب والاصلح لذلك المجتمع ، فلذلك كانت تبرز وتحصل لإمام دون آخر بعض الطرق الخاصة المؤثرة .

وامتاز امامنا المظلوم علي بن الحسين عليهما السلام باسلوب روحي ، وهو الدعاء الذي محوره العلاقة بين العبد وربه .

وهذا الاسلوب الذي يستبطن الدعوة الى الاسلام ، والمتناسب مع مرحلة الامام زين العابدين عليه السلام ، حيث كانت تلك المرحلة قد كثرت فيها الفتوحات الاسلامية (على زمن عبدالملك بن مروان) ، ودخلت في الاسلام عناصر جديدة من مختلف الاقطار والمذاهب ، وترجمت الكثير من الكتب الى اللغة العربية ، فاصبح هناك تلاقح حضاري بين البلدان الاسلامية والغربية .

وبما ان الامام عليه السلام لم يقدر على تأسيس جامعة علمية ، كما فعل الامامان الباقر والصادق عليهما السلام ، قام بتأسيس ارضية لهذه الجامعة المستقبلية فكان الدعاء .

كان الدعاء للرد على ذوي الافكار العقلية المنحرفة ، وكان الدعاء لتهذيب النفوس وزرع الاخلاق الحسنة فيها ، كان الدعاء لاثبات وجود الله ووحدانيته عزت آلاؤه ؛ فكان دعاء عرفة دليلاً على ذلك :

«الهي ! انت الذي قصرت الاوهام عن ذاتيتك ، وعجزت الافهام عن كيفيتك ، ولم تدرك الابصار موضع عينيتك ...»

ويعتبر هذا الاسلوب من انجح الاساليب للدعوة الى الاسلام ، ذلك لانه يتعامل مع جوهر الانسان ، مع القلب الانساني ، الذي ان صَلُح صَلَح

المجتمع ، وان فَسُد فَسَد المجتمع ، قال تعالى :

﴿ ***ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقوها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها*** ﴾[1] .

اذا امتلك الداعي الى الله سبحانه وتعالى ، او الى آية حركة أخرى ، القلوب التي تحرك البشر ، امتلك كل شيء ، امتلك الاموال والاولاد والانفس ، ولذا رأينا في بطانة أهل البيت عليهم السلام ، مَن كان يبذل كل شيء في سبيل الدفاع عنهم او عن اهدافهم ، وما ذلك إلّا لانّ قلوبهم كانت بيد اصحابها ، يديرونها كيفما شاؤا عليهم السلام .

ولعل ابرز مصداق لذلك اصحاب الامام الحسين عليه السلام كما سوف نشير الى ذلك ان شاء الله تعالى .

حقيقة الدعاء :

ليس الدعاء وسيلة لنيل ما لم نعطاه[2] ، انما الدعاء وسيلة للكشف عن ما اعطيناه ، ولتطهير النفوس وتأهيلها لاستقبال الفيض الالهي المنزل من ساحة القداسة على الممكن الفقري ، في كل زمان ومكان ، وبلا انقطاع وحرمان ، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ ***وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ..*** ﴾[3] .

وقال أيضاً عز اسمه :

---

(١) الشمس : ١٠ .

(٢) ولعل هذا هو المشهور عند الاغلب من مفهوم الدعاء .

(٣) ابراهيم : ٣٤ .

﴿كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا﴾[1]

تفصيل هذا الاجمال :

عطاء الله وفيضه نوعان :

١ ـ عطاء علتي ووجودي[2]، ويسمى بالمعية القيومية الالهية، وهو العطاء المقوم للانسان والمفتقر اليه في كل آنٍ آن.

وهذا العطاء مفاض على الممكن، وباستمرار على جميع اصنافه، المؤمن منهم والكافر، ولا ينقطع إلّا بأسبابه، كانتهاء عمر الانسان او نحو ذلك. وبمجرد انتفاء هذا العطاء يعدم الانسان، كما حصل مع الرجل الذي وشا على الامام الصادق عليه السلام، قال المنصور للامام:

«.. أنت تزعم للناس انك تعلم الغيب؟

فقال الامام عليه السلام: مَن أخبرك بهذا؟

فأومأ المنصور الى شيخ قاعد بين يديه.

فقال الامام عليه السلام للشيخ: انت سمعتني أقول هذا؟

قال الشيخ: نعم.

قال الامام للمنصور: أيحلف يا أمير المؤمنين؟!

فقال له المنصور: إحلف، فلّما بدأ الشيخ في اليمين، قال الامام عليه السلام للمنصور: حدثني أبي عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين

---

(١) الاسراء: ٢٠

(٢) وهو عطاء العلة للمعلول متى انقطع انتفى المعلول من رأس.

عليهم السلام : «أن العبد اذا حلف باليمين التي يبرّه الله عز وجل فيها ، وهو كاذب امتنع الله عزوجل من عقوبته عليها في عاجلته لما برّ الله عزوجل ، ولكني أنا استحلفه .

فقال المنصور : ذلك لك .

فقال الامام عليه السلام للشيخ : قل : أبرأ الى الله من حوله وقوته ، والجأ الى حولي وقوتي ان لم أكن سمعتك تقول هذا القول .

فتلكأ الشيخ ، فرفع المنصور عموداً كان في يده وقال : والله لئن لم تحلف لأعلوَنَّك بهذا العمود ، فحلف الشيخ فما أتم اليمين حتى دلع لسانه كما يدلع الكلب [لسانه] ، ومات لوقته ، ونهض الامام عليه السلام»[1] .

ولذا يكرر الانسان اكثر من سبع عشرة مرة في صلاته قول : «بحول الله وقوته اقوم واقعد» وان كان هو الذي يختار القيام إلّا انه بحول الله وقوته عزوجل .

« ***اللهم لا تكلنا الى انفسنا طرفة عين أبدا يا أرحم الراحمين*** » .

٢ ـ وهناك عطاء آخر ، خاص بمن سعى[2] اليه ، كعطاء النِعم والرزق ونحوهما من الامور التي يدعو الانسان من أجلها ، ويسمى بالمعية الرحمانية والرحيمية ، وهذا العطاء أيضاً من الله سبحانه وتعالى وهو

---

(١) امالي الشيخ الطوسي ٢ : ٧٦ والبحار ٩٥ : ٢١٦ .

(٢) قال تعالى : ﴿ان الله مع الصابرين ، ان الله مع الذين اتقوا وكانوا محسنين﴾ فاذا لم يصبر الانسان ولم يتق الله فلا يتصف بصفة المعية الالهية .

استمراري على عباد الله تعالى ، فرحمة الله ورزقه ونعمه كلها مبثوثة ومنزّلة من الله سبحانه وتعالى .

نقرأُ جميعاً في دعاء الجوشن الكبير : « ***يا دائم الفضل*** » ، «يا دائم اللطف» «يا من فضله عميم» .

نعم هناك مانع في القابل يحجب تلك النعم الالهية ، والفيوضات الربانية من تأثير اثرها ، فيقوم الانسان بالدعاء لازالة هذه الحجب عن صحيفة القلب لتأهيله لتلقي تلك الفيوضات النورانية .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «خير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي»[1] .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : «اكثر من الدعاء ، فانه مفتاح كل رحمة»[2] .

وخير دليل على ذلك ان دعاء اوليـاء الله لا يُردُّ أبدا ، بل يقولون للشئ : كن فيكون ؛ لانهم بعد أن أزالوا الحجب والريونات عن قلوبهم ، اصبحوا ينطقون عن الله وبلسانه سبحانه وتعالى ، كما تقدم في الاحاديث الشريفة .

وعليه فأوّل شرط لاستجابة الدعاء هو ازالة الحجب عن القلوب .

و نِعْمَ ما أوصى به إمام الامة الخميني قدس سره :

« ينبغي للداعي ان يبالغ في تنزيه باطنه ، وتخلية قلبه من الارجاس والملكات الرذيلة ؛ حتى يسري دعاء قاله الى حاله ، وحاله الى

---

(١) اصول الكافي ٢ : ٢٦٨ ، باب ان الدعاء سلاح المؤمن ح٨ .

(٢) اصول الكافي ٢ : ٢٧٠ ، باب ان الدعاء يرد البلاء ح٧ .

استعداده، وعلنه الى سره، ليستجاب دعاه ويصل الى مناه ...»[1].

الدعاء والمعرفة :

ولعل الشرط الثاني للدعاء واستجابته هو الدعاء عن معرفة، قيل للامام الصادق عليه السلام : ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال عليه السلام : «لأنكم تدعون مَنْ لا تعرفونه»[2].

وقال الامام الرضا عليه السلام : «لا ديانة إلّا بعد المعرفة، ولا معرفة إلّا بعد الاخلاص»[3].

وفي رواية اخرى عن أبي حمزة قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : «انما يعبد الله من يعرف الله، فاما من لا يعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالاً.

قلت : جعلت فداك، فما معرفة الله ؟

قال عليه السلام : تصديق الله عزوجل، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة الى الله عزوجل من عدوهم، هكذا يُعرف الله عزوجل»[4].

---

(١) شرح دعاء السحر : ٢٤.

(٢) التوحيد : ٢٨٨، الباب الواحد والاربعون ح٧.

(٣) التوحيد : ٤٠، الباب الثاني ح٢.

(٤) اصول الكافي ١ : ١٨٠ باب معرفة الامام والرد عليه ح١.

وحقيقة معرفة الله كما يستفاد من عدة روايات[1] تتقوم بأمور :

١ ـ توحيد الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ اطاعة الله عن اخلاص ويقين.

٣ ـ الاعتراف والايمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ الاعتراف بولاية أهل البيت جميعاً عليهم السلام .

---

(١) والتي تقدم بعضها واليك الباقي :

فعن الامام الهادي عليه السلام معللاً استجابة دعائه : «ان الله تعالى علم منا انا لا نلجأ في المهمات الا اليه ، ولا نتوكل في الملمات الا عليه ، وعوّدنا اذا سألناه الاجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا ... ((الى ان قال)) ... الدعاء لمن يدعو به [بمعنى انه تابع لحالة الداعي] اذا أخلصت في طاعة الله تعالى ، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك» [البحار ٥٠ : ١٢٧ ، والمناقب ٤ : ٤١١ الى قوله فيعدل بنا] .

وعن أبي عبدالله عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى : ﴿ادعوني استجب لكم﴾ وانه ندعوا ولا نرى الاجابة قال عليه السلام : افترى الله عزوجل أخلف وعده ؟

قلت : لا . قال : فممَّ ذلك ؟

قلت : لا أدري ، قال : ولكني أخبرك ، من اطاع الله عزوجل فيما امره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه .

قلت : ما جهة الدعاء ؟

قال عليه السلام : «تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمته عندك ثم تشكره ، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ، ثم تستعيذ منها [تستغفر] فهذا جهة الدعاء» ، [اصول الكافي ٢ : ٤٨٦ ، باب الثناء قبل الدعاء ح٨] .

وهناك احاديث اخرى من أراد فعليه الرجوع الى المصادر التالية : الكافي ٢ : ٤٦٦ و٤٧٣ و ١ : ١٨٠ ، والبحار ٦٩ : ٣٤١ ، وميزان الحكمة ٣ : ٢٤٤ ، وتوحيد الصدوق : ٣٤ و٢٨٩ ، وجامع السعادات ٣ : ٣٦٥ .

٥ ـ الالتجاء الى الله في كل المهمات .

٦ ـ التوكل على الله عزوجل في كل الملمات .

٧ ـ حمد الله عزوجل في السراء والضراء .

٨ ـ ذكر نعم الله عزوجل التي لا تحصى .

٩ ـ شكر الله على كل حال .

١٠ ـ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله الاطهار .

١١ ـ الاقرار والاعتراف بالذنوب .

١٢ ـ التوبة عن الرجوع الى الذنوب .

١٣ ـ الاستغفار والاستعاذة من الذنوب .

فعلى الداعي ان يلاحظ هـذه الامور في نفسه ، قبل ان يقرأ قوله تعالى : ﴿ادعوني استجب لكم﴾[١] .

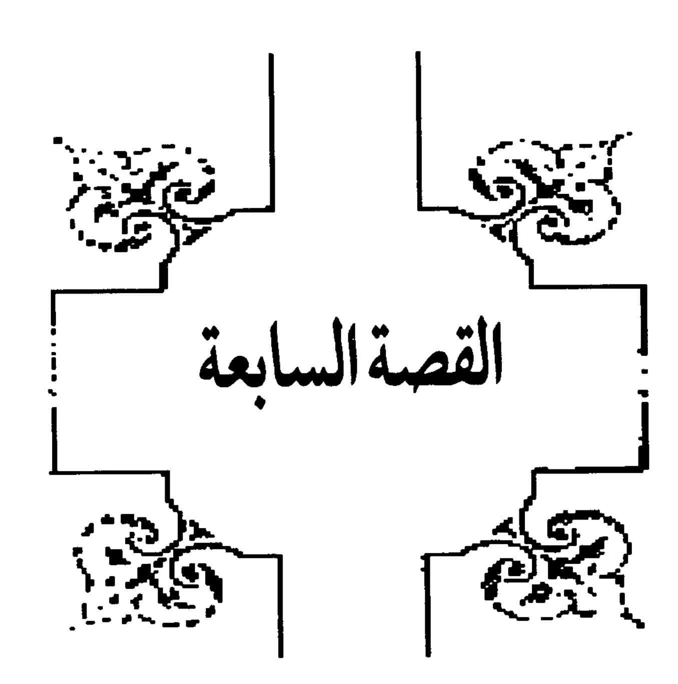
فاذا توجه الانسان الى قلبه ، وازال الحجب ، وخلّاه من الذنوب ثم حلّاه بالطاعة ، فان الله عزوجل سوف يستجيب دعاءه .

وهناك أمور اخرى منها ما يتعلق بالدعاء ومنها ما يتعلق بالداعي نرجؤها الى مناسبة اخرى ان شاء الله عزوجل .

---

(١) غافر : ٦٠ .





القصة السابعة

النور السابع

نور سيدنا ومولانا الامام
محمد الباقر عليه السلام

قال ابو بصير للباقر عليه السلام :

«ما اكثر الحجيج وأعظم الضجيج .

فقال عليه السلام : بل ما اكثر الضجيج واقل الحجيج ، أتحب ان تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً ؟

[فمسح على عينيه ودعا بدعوات فعاد بصيراً] .

فقال عليه السلام : انظر يا أبا بصير الى الحجيج .

قال : فنظرت فاذا اكثر الناس قردة وخنازير ، والمؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء .

فقال أبو بصير : صدقت يا مولاي ما أقل الحجيج وأكثر الضجيج ، ثم دعا بدعوات فعاد ضريراً . فقال أبو بصير في ذلك .

فقال عليه السلام: ما بخلنا عليك يا أبا بصير، وان كان الله تعالى ما ظلمك وانما خار[1] لك، وخشينا فتنة الناس بنا، وان يجهلوا فضل الله علينا، ويجعلونا أرباباً من دون الله، ونحن له عبيد لا نستكبر عن عبادته، ولا نسأم من طاعته، ونحن له مسلمون»[2].

وفي رواية اخرى: عن أبي بصير أيضاً:

قلت لابي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام لمّا ذهب بصري: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: نعم. قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وارث الانبياء، عُلِّمَ كلما عُلِموا؟

قال عليه السلام: نعم.

قلت: فانتم تقدرون ان تحيوا الموتى وتبرؤا الاكمه والابرص؟

قال عليه السلام: نعم بإذن الله. ثم قال: فأُدن مني يا أبا محمد، فمسح على وجهي وعلى عينيّ

(١) خار الله لك: جعل لك فيه خيراً.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٨٤.

فأبصرت الاشياء .

قال لي : أتحب ان تكون هكذا ، ولك ما للناس ، وعليك ما عليهم يوم القيامة ، او تعود كما كنت ، ولك الجنة خالصاً ؟

قلت : أعود كما كنت ، فمسح على عينيّ ، فعدت كما كنت ، فحدثت ابن ابي عمير بهذا فقال : أشهد ان هذا حق كما ان النهار حق (وقد رواه محمد بن أبي عمير)[1] .

(١) المصدر السابق .

بين معجزة الامام الباقر عليه السلام وقناعة ابي بصير[1] :

يا عروة الدين المتين وبحر علم العارفينا
يا قبلة للاولياء وكعبة للطائفينا
مِن أهل بيت لم يزالوا في البرية مُحسِنينا
التائبين العابدين الصائمين القائمينا
العالمين الحافظين الراكعين الساجدينا
يا من اذا نام الورى باتوا قياماً ساهرينا[2]

---

(١) وهو ليث البختري المرادي صاحب المناقب المشهورة ، والاحاديث المأثورة عاصر الامامين الباقر والصادق عليهما السلام وروى الكثير من آثارهم وله موقف آخر مع الامام الصادق عليه السلام في قضية التنور المشتعل وكيفية جلوسه فيه بلا أي احتراق . وسوف تأتي قصته ان شاء الله تعالى .

(٢) من ابيات لابن رزيك عن مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢١٣ .

هذه هي حقيقة اهل البيت عليهم السلام ، الذين يقدرون على تجسيد اعظم المعاجز التي قد تخرج عن طاقة البشر وعقولهم ، بل قد يجعلوهم ارباباً من دون الله عزوعلا .

فكان امامنا الباقر عليه السلام يقدر على ابقاء أبي بصير بصيراً ، انما خاف فتنة الناس بهم كما خاف جدّه صلى الله عليه وآله من قبل ولم يقل مقولته في حق علي عليه السلام[1] .

ومع ذلك ، ولشدة عطف الامام عليه السلام على شيعته ، قام عليه السلام بتخيير أبا بصير بين العمى ، وله الجنة خالصة بلا حساب ، وبين البصر ، وله ما للناس ﴿ **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون**﴾[2] .

فاختار أبو بصير ما خار له الباري عزوجل ، اختار العمى مع ما فيه من مشقة وحرج ، على البصر مع ما فيه من راحة وسعادة ، وما ذلك إلّا من أجل تَنَوْر قلبه (رحمة الله عليه) ، وقناعته التي لا مثيل لها ، والتي يصعب على من لم يمتلك مثل هذه الروحية ، لما في العمى من عزلة فعلية عن الناس ، بل هو موت دنيوي .

ومن الملاحظ في الحديث المتقدم ، ان ابا بصير بعد مسح الامام عليه السلام على وجهه ، اصبح يرى رؤية قلبية بحقيقة الايمان اضافة الى

---

(١) راجع : البحار ٤١ : ١٨١ .

(٢) الروم : ٤٤ .

الرؤية البصرية ، لقد رأى الناس على حقيقتهم بين كواكب لامعة وبين قردة مظلمة .

حقيقة العبادة بحقيقة العابد :

تنقسم العبادات الى عبادات ظاهرية صورية ، وعبادات باطنية .

ويراد بالظاهرية : تلك العبادة التى تصدر من الانسان بلا أي تفكر بأفعال العبادة او توجه الى الله سبحانه ، كالذي يأتي بفريضة الحج الظاهرية ، بلا ان يعيش الحج بمعناه الشرعي أو الحقيقي ، فهذا ما هو إلّا ضاج في هذا الموضع المقدس ، قال تعالى :

﴿ *وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً وتصدية* ﴾[1] .

وكالمصلي الذي يصلي صلاةً ، لو انّه يصليها الى بعض جيرانه لما قبلها ، فكيف وهي لربّ العالمين[2] . أو كالذي يقرأ القرآن ، والقرآن يلعنه[3] .

فعبادة هؤلاء ما هي إلّا مجرد طقوسات يقومون بها لملئ فراغاتهم ،

---

(١) الانفال : ٣٥ . والمكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

(٢) مضمون رواية ، راجع البحار ٨٤ : ٢٦١ .

(٣) كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنـه» . راجع : البحار ٩٢ : ١٨٥ .

او لكونها عادة عندهم ، او جهلاً ، على حسب مرتبة العابد .

وهؤلاء اذا إطلع الانسان الى سرائرهم ، لما وجدهم أناساً ، بل إما خنازير أو قردة او خلقاً يشبه ذلك . وسوف نبحث ذلك في القصة السابعة من الجزء الثاني تحت عنوان (تجسد الاعمال و تشخص النيات) فارتقب .

اما العبادة الباطنية ، والتي يوسم صاحبها بالعابد الباطني ، فهي تلك العبادة التي يقوم بها الانسان عن عقيدة وايمان عمليين ، توجّه وتفكّر بافعال العبادة ، على كون المخاطب بها رب العزة سبحانه وتعالى .

تلك العبادة التي يراعى فيها الشروط الباطنية ، والتي أهمها حضور القلب ، والتوجه به نحو الحق سبحانه ، اضافة الى الشروط الفقهية .

وبذلك يتصف العابد بأنه نور لاهل الارض يستضاء به ، قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾**[1] . وقال عز من قائل : **﴿ او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**[2] .

فلابد للعابد من التفكر بحاله ، والرجوع الى روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام ، ليعرف ان هذه المناسك العبادية وخصوصاً الصلاة ، سبب للسعادة الحقيقية والحياة الابدية ، ومنبع لجميع الكمالات النورانية في الدنيا والآخرة ، ترضي امامنا الباقر عليه السلام لكونها عبادة

---

(١) الحديد : ٢٨ .

(٢) الانعام : ١٢٢ .

لا ضجيجاً .

وحسبك هذا الحديث : «*اذا استقبلت القبلة فانْسَ الدنيا وما فيها ، والخلق وما هم فيه ، واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله ، وعاين بسرك عظمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا الى الله مولاهم الحق ، وقف على قدم الخوف والرجاء . فاذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه ، فان الله تعالى اذا اطّلع على قلب العبد ، وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : ياكاذب أتخدعني ، وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي*»[1] .

أقسام البلاءات والآفات :

كثيراً ما يطرح هذا التساؤل : ما سبب البلاءات النازلة على الانسان ؟ لماذا ذهب بصر ولدي ؟ وما سبب خلقته مشوهاً ؟ وهل ذلك من الله عز وعلا ام من الانسان ؟ وهو خير ام شر ؟

وللاجابة عن هذه الاسئلة لابد من تقسيم البلاءات ، وهي على قسمين:

فمنها ما ينسب الى الله عزوجل لامتحان العبد ، والذي فيه مصلحة

(١) بحار الانوار ٨٤: ٢٣٠ ، باب آداب الصلاة ح٣.

للانسان .

ومنها ما ينسب الى العبد لتقصير منه ، او من اهله وبني جنسه ، وهذا قد يكون فيه مصلحة وقد يكون شراً وقد لا يكون .

وبما أن مصاديق ذلك مشتركة فلابد من التفصيل فيها :

١ ـ الفقر والمرض :

قد يكون الفقر بلاء وامتحان للانسان من الله عزوجل ، لمعرفة مدى صبره وايمانه ، وهذا مما لا شك فيه انّه مصلحة محضة للانسان ، إما في الدنيا واما في الآخرة ، وكذلك المرض فقد يكون بلاء للانسان .

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزوجل : «ان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلّا بالفقر ، ولو أغنيته لافسده ذلك ، وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا بالغَنَاء ، ولو أفقرته لافسده ذلك ، وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلّا بالسقم ، ولو صححت جسمه لافسده ذلك ، وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلّا بالصحة ، ولو اسقمته لافسده ذلك ، إني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم ، فإني عليم خبير»[١] .

والشواهد التاريخية على صحة ذلك كثيرة ، بل كل منا يعيش هذه

---

(١) توحيد الصدوق : ٣٩٨ ، باب ان الله لا يفعل بعباده إلّا الاصلح ح١ . ورووي مثله في الكافي ٢ : ٣٥٢ ، باب من آذى المسلمين ح٨ إلّا انه لم يذكر ذيل الحديث .

الحالة، وعلى سبيل المثال نذكر قصة ثعلبة بن حاطب مع رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال ثعلبة [وكان من الانصار المواظبين على الصلاة خلف الرسول صلى الله عليه وآله يومياً] للنبي صلى الله عليه وآله: أدع الله ان يرزقني مالاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تُطيقُه، أما لك في رسول الله اسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهباً وفضه لسارتْ.

ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأُعطي كل ذي حق حقه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ارزق ثعلبة مالاً.

قال [الرواي]: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها [وقلل الصلاة خلف النبي]، ثم كثرت نموّاً حتى تباعد عن المدينة فإشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله اليه المصدق ليأخذ الصدقة [الزكاة] فأبى وبخل وقال: ما هذه إلّا أخت الجزية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة[1].

---

(١) مجمع البيان ٥: ٨١.

فأنزل الله تعالى فيه : ﴿*ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه*﴾[1] .

وقد يكون الفقر نتيجة التقصير من العبد في السعي الى رزقه ، كأن يجلس في بيته بلا عمل ، او يعمل بعض الاعمال التي خسارتها اكثر من ربحها .

وقد يكون نتيجة عدم اعطاء الناس حقوقهم ، من زكاة وخمس وما شابه ذلك ، وفي القصة المتقدمة ما يدل عليه .

وهذا بلا شك ليس فيه مصلحة للانسان ، لانه ناتج عن سوء التدبير ، وقد يكون خيراً له كما اذا أدى شكره ، وقد يكون شراً كما اذا لم يؤدّ شكره ، أو كفر بالنعمة . واذا كان الله عزوجل قد وجد ان العبد يصلحه الفقر فقدّر له ذلك ، فانه مهما بالغ في السعي فلن يصبح غنياً ، لان رزقه مقدر في السماء .

قال تعالى : ﴿*وفي السماء رزقكم وما توعدون*﴾[2] .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : «كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول : إعلموا علماً يقيناً ، ان الله عزوجل لم يجعل للعبد ، وان

---

(١) التوبة : ٧٥ . ووري انه ندم وجاء يحث التراب على خده الى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقبل توبته وأخرجه وهكذا في عهد الاول والثاني ومات في عهد الثالث .
(٢) الذاريات : ٢٢ .

إشتد جهده، وعظمت حيلته، وكثرت مكابدته، أن يسبق ما سمي له في الذكر الحكيم؛ ولم يحل من العبد في ضعفه، وقلة حيلته، ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم، ايها الناس انه لن يزداد امرء نقيراً بِحَذَقِه، ولم ينتقص امرء نقيراً لحمقه[1]..»[2].

وفي هذا الكلام شفاء لما في الصدور وراحة لجميع الناس، فالله عز وجل قد قدّر الارزاق، وينزّل على كل انسان رزقه بلا زيادة او نقيصة[3].

٢ ـ ذهاب البصر:

وأيضاً ذهاب البصر قد يكون من الله عزوجل، لإمتحان المؤمن او إبتلائه او لرفع درجته، وفي رواية ابي بصير ما يغني عن التفصيل.

وقد يكون من العبد كما لو قصّر في عمل ما وفقأ عينيه، او كما اذا عمل بعض الاعمال التي تُضَعّف البصر. وهذا قد يكون فيه مصلحة للعبد، كما لو كان مقدّر له انه لو كان بصيراً لسرق أو زنا، وقد يكون فيه مفسدة كما لو عكس الامر.

ثم ان العمى قد يكون من تقصير الاهل، او الاقارب كما لو نظر الزوج في فرج زوجته فانه يؤدي الى عماء الطفل. او أن احداً من الناس

---

(١) النقير: النكتة على ظهر النواة، والحذق: مقابل الحمق اي الذكاء والحنكة.

(٢) فروع الكافي ٥: ٨١، باب الاجمال في الطب ح ٩.

(٣) وسوف نتعرض الى تفصيل ذلك عند الكلام عن حقيقة الرزق.

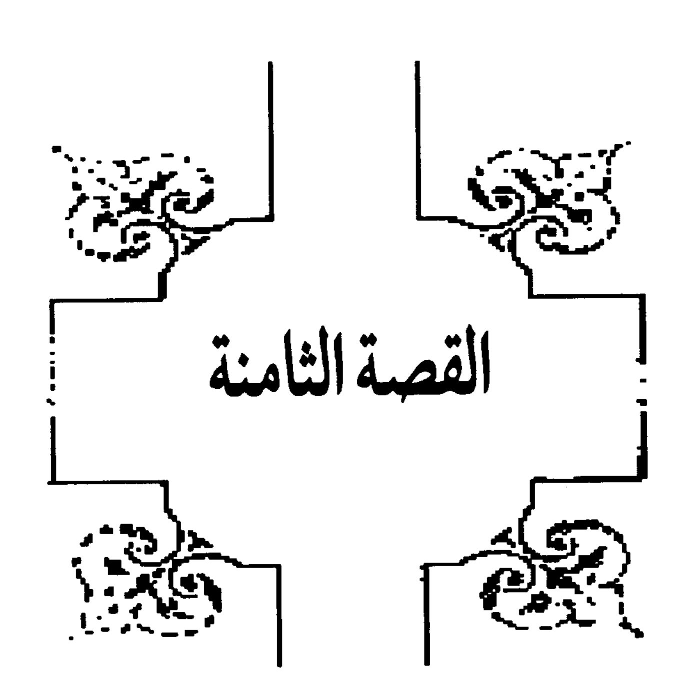
فقأ عين الاخر فانه بالتالي من فعل العبيد .

٣ ـ ذهاب الصوت :

ويجري فيه ما جرى في البصر تماماً .

والقاعدة العامة لكل المصاديق ، ان الآفة اذا كانت من الله عزوجل فهي بلاء وامتحان للعبد ، وفيه مصلحة مسلّمة ، وان كان العبد قد لا يراها او لا يحس بها .

وان كان من العبد فقد يكون فيه مصلحة وقد يكون فيه مفسدة .


القصة الثامنة

النور الثامن

نور سيدنا ومولانا الامام جعفر الصادق عليه السلام

عن امالي أبي المفضل ، قال أبو حازم عبدالغفار بن الحسن : «قدم ابراهيم بن أدهم الكوفة وانا معه ، وقدمها جعفر بن محمد العلوي عليه السلام ، فخرج جعفر عليه السلام يريد الرجوع الى المدينة ، فشيّعه العلماء وأهل الفضل من أهل الكوفة ، فتقدم المشيعون له فاذا هم باسد على الطريق ، فقال لهم ابراهيم بن ادهم : قفوا حتى يأتي جعفر عليه السلام فننظر ما يصنع ، فجاء الامام الصادق عليه السلام ، فذكروا له الاسد ، فأقبل حتى دنا منه ، فأخذ بأُذنه فنحّاه عن الطريق ثم أقبل عليهم ، فقال :

اما إن الناس لو أطاعوا الله حق طاعته لحملّوا عليه أثقالهم»[1] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٦٦ ، والبحار ٤٧ : ١٣٩ .

معجزة   للعالم   الرباني   الصادق اللهجة واللسان[1]

تسخير الاشياء لأهل البيت عليهم السلام :

سخر الله سبحانه وتعالى كل ما في السماوات والارض لخدمة أهل البيت عليهم السلام ، بل أكثر ممّا أعطي آل داود عليهم السلام .

كما روى مولى ابي الحسن قال : قال أبو الحسن عليه السلام :

«لم يعطَ آل داود شئ إلّا وقد أعطي محمد وآل محمد أفضل منه»[2] .

وفي رواية ابن ابي حمزة البطائني قال : كنت مع أبي الحسن عليه السلام في طريق ، إذ استقبلنا اسد ووضع يده على كفل بغلته ، فوقف له أبو الحسن عليه السلام ، كالمُصغي الى همهمته ، ثم تنحى الاسد الى جانب الطريق ، وحوّل ابو الحسن عليه السلام وجهه الى القبلة وجعل يدعو بما لم أفهمه ، ثم أومأ الى الاسد بيده أن إمضِ ، فهمهم الاسد همهمة طويلة وابو الحسن عليه السلام يقول : آمين ، آمين ، وانصرف

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٠٠ ، للسوسي .

(٢) بحار الانوار ٢٧ : ٢٧٠ نقلاً عن الاختصاص : ٢٩٨ .

الاسد .

فقلت له : جعلت فداك عجبت من شأن هذا الاسد معك !

فقال : انه خرج اليَّ يشكو عسر الولادة على لبوته ، وسألني أن أسال الله ان يفرّج عنها ، ففعلت ذلك ، وأُلقي في روعي انها تلد ذكراً ، فاخبرته ،

فقال لي : امضِ في حفظ الله فلا سلط الله عليك ولا على ذريتك ولا على احد من شيعتك شيئاً من السباع .

فقلت آمين»[1] .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انه انتهى الى نخلة خاوية فقال : ايتها النخلة السامعة الطيّبة المطيعة لربّها اطعمينا مما جعل الله فيك . قال : فتساقط علينا رطب مختلف ألوانه ، فأكلنا حتى تضلعنا ، فقال عليه السلام اليكم سُنَّة كسُنَّة مريم عليها السلام»[2] .

الى غير ذلك من الروايات التي تشير الى تسخير الاشياء لاهل البيت عليهم السلام ، ولعل وجه هذا التسخير ان للاشياء احساس وشعور فأدركت فضل أهل البيت عليهم السلام من قبل الله سبحانه وتعالى .

وليس هذا بالشيء الغريب بعد قول الله عزوجل :

﴿ ***تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهنَّ ، وان من شيء إلّا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم*** ﴾[3] .

وفي آية اخرى قال تعالى : ﴿ ***والنجم والشجر يسجدان*** ﴾[4] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٩٨ .

(٢) البصائر : ٢٥٧ ، باب الشجر يطيعهم بإذن الله عزوجل ح ١١ .

(٣) الاسراء : ٤٤ .

(٤) الرحمان : ٦ .

وقال عز اسمه : ﴿ *الم تر ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ..*﴾ [1].

نعم تصور ذلك قد يكون في غاية الصعوبة ، في أنّه كيف للجمادات شعور وتكليف ؟ إلّا ان ذلك لا يمنع من صحته ، ولذا قال تعالى : ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ .

وأما كيفية تسبيحهم فأمر موكل الى أهله ..[2].

ولكن اذا الانسان لم يستطع ان يتصور ذلك ، فان غيره قد استطاع تصوره ، فلا ينبغي انكاره ولا تكفير من يقول به .

حقيقة الطاعة :

الهدف من إيجاد الخلق في هذه الدنيا هو طاعة الله سبحانه وتعالى ، قال تبارك وتعالى : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون**﴾ [3].

---

(١) النور : ٤١ .

(٢) وليس هذا شيئاً غريباً ، فقد آمن به كثير من العلماء والفلاسفة فنظرية الفيلسوف صدر المتألهين معروفة في ثبوت الشعور للجمادات ، والعلامة المجلسي عند تفسير قوله تعالى : ﴿يا جبال أوبي معه﴾ ، قال : ان الجمادات لها شعور بدليل هذه الاية ، وكذلك الشيخ الطبرسي عند تفسير الاية قال : ومعنى ذلك انهم مكلفون . وهناك قصة منقولة عن العلامة الطباطبائي (قده) سمعتها من تلميذ تلميذه : «ان السيد كان يقول : لي صديق في هذا الزمان لا يستطيع ان ينام من تسبيح الاشجار والسماء وكل شئ» وتلميذ السيد يحتمل ان ذلك الصديق هو نفسه العلامة السيد (قده) ولكن لا يصرح بذلك .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

وهناك عدة أمور ينبغي ان تتوفر في الطاعة، حتى تكون مقبولة عند الله تعالى منها:

١ ـ ان تكون خالصة لله تبارك وتعالى لا يشوبها شئ:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ ***وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين*** ﴾[١].

والاخلاص في العمل كما عن الامام الصادق عليه السلام:

«هو العمل الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد إلّا الله عزوجل»[٢].

وفي رواية اخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «هو ان نقول ربّي الله ثم تستقيم كما امرت، تعمل لله، لا تحب أن تحمد عليه، أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلاّ ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت»[٣].

فكل شيء يقصد دون الله عز وجل فهو داخل تحت الشرك في العبادة، باستثناء الموارد التي ورد فيها ترخيص من الشارع، كأن يأتي بصلاة الليل من أجل الرزق، او يتصد بداعي زوال البلاء، او الصلاة من أجل السلامة من بعض الامراض.

نعم عند اولياء الله عزوجل حتى هذا النوع من التشريك في داعي القربة يرفضونه، لانه ينافي التوكل على الله واخلاص العبادة له، لانهم ـ وكما تقدم مراراً ـ يعبدون الله عزوجل لا لأجل المثوبة ولا لأجل زوال عقوبة، بل لانه أهل للعبادة.

ولذا تراهم يعبدون الله تبارك وتعالى لمدة قصيرة على هذا النوع من

---

(١) البينة: ٥.

(٢) اصول الكافي ٢: ١٦، باب الاخلاص ح ٤.

(٣) جامع السعادات ٢: ٤١٤.

الاخلاص ، فتترتب عندهم آثار الاخلاص ، مع اننا نعبد الله سبحانه اضعاف هذه المدة ، ومع ذلك لا نشعر بأيّ أثر او تحسن معنوي .

قال الامام الصادق عليه السلام : «من اخلص لله اربعين صباحاً [يوماً] جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1] .

٢ ـ ومنها : إتيان الطاعة بداعي القرب :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «مع كل شئ لا بمقارنة»[2] .

القرب من الله عزوجل لا يقاس بالزمان والمكان ، ولا بالتقدم والتأخر ، بل هو قرب معنوي بواسطة العبادة ، يصعد به العابد الى مرتبة حميدة عند الله تبارك وتعالى ، متخلياً عن مراتبة المادية المعدومة الكمال[3] . والقرب من الله عزوجل على عدة مراتب ، فقد يطلق ليراد به المصاحبة[4] ، فالمصاحب لله سبحانه دون غيره ، يوصف بأنه اقرب الناس اليه سبحانه وتعالى على ما تقدم .

وقد يطلق ليراد به التشبه بالاخلاق ، فالذي تخلق بأخلاق الله سبحانه يوصف بانه اقرب الخلق اليه ، وهو أقل المراتب .

---

(١) في جامع السعادات ٢ : ٤١٦ : ما من عبد يخلص العمل اربعين يوماً إلّا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة الاولى .

(٣) لان الانسان في قبال الحق تعالى معدوم الكمال وكلما تقرب العبد منه زال عنه نقص بمقدار التقرب ، واتصف بالكمال المفاض من الحق تبارك وتعالى بقدر ما زال عنه من النقص .

(٤) كما تقدم تفصيلها في القصة السادسة عند الكلام عن صحبة الله تبارك وتعالى .

وقد يطلق القرب ويراد به الفناء في الحق تعالى ، وهو أرقى المراتب وغايته كما روي في الحديث القدسي :

«ما يتقرب اليّ عبد من عبادي بشئ احب اليّ مما افترضت عليه ، وانه ليتقرب اليّ بالنافلة حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وان سألني أعطيته»[1] .

٣ـ ومنها : إتيان الطاعة بداعي الحب :

قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها ، وأحبها بقلبه ، وباشرها بجسده ، وتفرّغ لها ، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا ، على عسر ام على يسر»[2] .

وهذه المرحلة تعتبر آخر مرحلة من مراحل الطاعة لله سبحانه وتعالى ، وما مرحلة القرب التي تقدمت ـ وبجميع مراتبها ـ إلّا مقدمة لها ، كما يستفاد من قوله تعالى المتقدم «.. وانه ليتقرب اليّ بالنافلة حتى احبه» فما التقرب إلّا وسيلة لنيل الحب والعشق الالهي[3] .

ومرتبة الحب اعلى مراتب العبادة ، والتي اعتبرت في الاحاديث الشريفة بعبادة الاحرار ، الذين يعبدون الله حباً به ولكونه اهلاً للعبادة لا

---

(١) اصول الكافي ٢ : ٣٥٢ ، باب من آذى المسلمين ح٨ .

(٢) اصول الكافي ٢ : ٨٢ ، باب العبادة ح٣ .

(٣) وسوف يكون لنا لقاء مع حقيقة العشق ومراتبه ان شاء الله فارتقب .

خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته[1].

عبادة عن تفكر واخلاص، عبادة بعد تَفْرِيغ القلب من كل ما يشغله عن محبوبه، وتطهيره من القذورات حتى يصبح عرش الله ومكانه[2]، الذي نقاه من غير الحق تعالى.

هذه هي اهم شروط الطاعة، ولعلك تسميها بمراتب الطاعة وسوف يوافيك مزيد كلام عن ذلك في القصص الاتية ان شاء الله تبارك وتعالى.

عود على بدء:

وبعد هذا البيان يتضح قول الامام الصادق عليه السلام: «.. اما ان الناس لو اطاعوا الله حق طاعته لحمّلوا عليه [الاسد] اثقالهم»

فان مجرد التلبس بالطاعة الظاهرية الخالية عن حب الله والقرب منه والخالصة لوجهه الكريم، لا تحقق الاثار المطلوبة، ولا يوصف صاحبها بانه ادى حق الطاعة لله عزوجل.

اما الذي يؤدي حق الطاعة من خلال الشروط الثلاثة التي ذكرناها،

---

(١) كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام: «ان العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى لطلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزوجل حباً له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة»، [الكافي ٢: ٨٤].

(٢) جاء في بعض الاحاديث القدسية: «يا موسى لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». راجع شرح دعاء السحر: ٤٢. وفي حديث آخر: «قلب المؤمن عرش الله». راجع مفاتيح الغيب: ٥٦٧.

فان الله عزوجل يمنحه طاعة كل شئ ، كما جاء في الحديث الشريف : «عبدي طعني تكن مثلي» ، ويخيف منه كل شئ ، حتى الحيوانات ، فان الناس انما خافوا من الاسد لانهم لم يخافوا الله عزوجل ، أما من خاف الله حق مخافته ، فان الله يخيف منه كل شئ كما في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال :

«من خاف الله عزوجل أخاف الله عزوجل منه كل شئ ومن لم يخف الله عزوجل أخافه الله عزوجل من كل شئ»[1] .

هذا بالنسبة لطاعة الله عزوجل :

اما طاعة ما سوى الله عزوجل فهي محرمة إلّا اذا رجعت الى طاعة الله سبحانه وتعالى كطاعة الرسول صلى الله عليه وآله ، قال تعالى : ﴿ *ومن يطع الرسول فقد اطاع الله* ﴾[2] .

اما اذا لم ترجع الى طاعة الله عزوجل ، فهي طاعة لما سوى الله ، وبالتالي طاعة للطاغوت ، كما ورد في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام ، قال :

«من أصغى الى ناطق فقد عبده ، فان كان الناطق عن الله تبارك وتعالى فقد عبد الله ، وان كان الناطق عن ابليس فقد عبد ابليس»[3] .

وقال تعالى : ﴿ *ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان*

---

(١) الكافي ٢ : ٦٨ .

(٢) النساء : ٨٠ .

(٣) بحار الانوار ٧٢ : ٢٦٤ .

أمره فرطا﴾[1].

والطاعات التي ترجع الى طاعة الله تبارك وتعالى هي كل طاعة أمر بها سبحانه وتعالى، وهي على خمسة أقسام نوردها تباعاً:

١ ـ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله:

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿ومن يطع الرسول فقد اطاع الله﴾[2]. وقال عز اسمه:

﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله﴾[3].

٢ ـ طاعة الائمة عليهم افضل الصلاة والسلام:

قال تعالى: *﴿وأطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾*[4].

٣ ـ طاعة الفقهاء:

ويأتي بعد طاعة أهل البيت عليهم السلام في عصر غياب الامام الثاني عشر ارواح العالمين له الفدى، طاعة الفقهاء، ونوّاب الأئمة عليهم السلام.

قال تعالى: *﴿واذا جاءهم أمر من الأمن او الخوف اذاعوا به ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل*

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) النساء: ٦٤.

(٤) النساء: ٥٩.

الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلّا قليلاً﴾[1].

وفي التوقيع المروي عن الامام المهدي ارواح العالمين له الفدى وعجل الله تعالى فرجه، قال: «اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله»[2].

وفي موثقة عمر بن حنظلة، قال: «سألت ابا عبدالله عن رجلين بينهما منازعة في دَين او ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاء أيحل ذلك؟

قال عليه السلام: «من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فانما يأخذ سحتاً، وان كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد امر الله أن يكفر به.

قلت: فكيف يصنعان؟

قال عليه السلام: انظروا الى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف احكامنا فارضوا به حَكماً، فاني قد جعلته عليكم حاكماً، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه، فانما بحكم الله قد استخف وعلينا ردّ، والراد علينا كالرادّ على الله، وهو على حد الشرك بالله[3]».

الى غير ذلك من الروايات التي تشير الى تولي السلطة الدينية والسياسية من قبل العلماء الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم[4].

---

(١) النساء: ٨٣، والمستنبطون هم الذين يدركون حقيقة الامور ويحفظون الناس من الوقوع بيد الشيطان واتباعه وهم بالدرجة الاولى أهل البيت عليهم السلام وفي حالة غيابهم نوابهم الفقهاء ويستفاد ذلك من الروايات الآتية.

(٢) كتاب الغيبة: ١٧٧، والوسائل باب ١١ من ابواب صفات القاضي.

(٣) الكافي ٧: ٤١٢، ح٥.

(٤) راجع: من لا يحضره الفقيه ٣: ٦٣، و٤: ٣٠٢، والكافي ١: ١٦ و٣٨ و١٧٨ وعيون

٤ـ طاعة الوالدين :

قال تبارك وتعالى : ﴿ *وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا*﴾[١] .

والاية تشير الى استثناء طاعة الوالدين من الطاعات المحرمة وإلحاقها بطاعة الله عزوجل ، إلّا اذا بلغت حد الشرك بالله ، قال تعالى : ﴿ *وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا*﴾[٢] .

وروى في الكافي رواية تفسر الايات الآنفة الذكر عن أبي ولّاد الخياط ، قال :

«سألت أبا عبدالله عن قوله تعالى : ﴿ *وبالوالدين احسانا*﴾ ما هذا الاحسان ؟

فقال عليه السلام : ان تحسن صحبتهما ، وان لا تكلفهما ان يسألاك شيئاً مما يحتاجان اليه ، وان كانا مستغنيين[٣] ، أليس يقول الله عزوجل :

اخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٣ ، والوسائل ١٨ : ١٠٠ .

(١) الاسراء : ٢٣ .

(٢) لقمان : ١٥ .

(٣) اي حتي لو كانا يقدران على تحصيله من غيرك لابد من اعطائهما وبلا اذ يطلبا منك شيئاً بل تعطيهما ابتداءً .

﴿ *لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون* ﴾[١] .

ثم قال ابو عبدالله عليه السلام : اما قول الله عزوجل : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما** ﴾ .

قال عليه السلام : ان أضجراك فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ان ضرباك ، اما قوله عزوجل : ﴿ *وقل لهما قولاً كريماً* ﴾ .

قال عليه السلام : ان ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما فذلك منك قول كريم ، واما قوله تعالى : ﴿ *واخفض لهما جناح الذل من الرحمة* ﴾ .

قال عليه السلام : لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلّا برحمة ورقة[٢] ، ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ، ولا يدك فوق ايديهما ، ولا تقدَّم قدامهما»[٣] .

ومن الملاحظ في الاية الكريمة والرواية الشريفة تقديم الاحسان الى الوالدين على اطاعتهما المفترضة ، لما في الاحسان من الأجر الجزيل اكثر منه في الواجب ، من جهة ان الواجب ملزم به ، اما الاحسان والذي هو شيئ مستحب ، فأمر زائد على التكليف لا إلزام من ناحيته[٤] .

هذا اجمال عن طاعة الوالدين ، وسوف يوافيك في القصة السادسة عشرة بحث وافٍ شافٍ عن كيفية الطاعة والاحترام لهما ، وقول العلماء في

---

(١) آل عمران : ٩٢ .

(٢) قال الامام الصادق عليه السلام : «من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة» [الكافي ٢ : ٣٤٩ ، باب العقوق] .

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٥٧ ، باب برّ الوالدين ح١ .

(٤) وفي تفصيل المستحب عن الواجب تفصيل وكلام بين العلماء لعلنا نتعرض له في ابحاث آتية .

ذلك ، وعن الاثار التي تحصل من برّهما فارتقب .

٥ـ طاعة الزوج وحقيقة الزواج :

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ ***الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض*** ﴾ (١) .

خلق الله تبارك وتعالى الانسان في أحسن تكوين ، وجهّزه بكل ما يحتاجه في هذه الحياة ، منها ما هو موجود بالفعل ، ومنها ما هو موجود بالقوة ، فيحتاج في إيجاده الى بعض الوسائط .

والسكن الانساني من القوى المودعة في الانسان ولا تتم إلّا اذا قام الفرد بالاتصال مع زوجته التي من جنسه بل لعلها منه .

هذا وان كان يعد نقصاً او قل عدم كمال ـ وكل شخص يشتاق الى كماله ـ إلّا انه نقص يمكن تداركه بالسعي الى تحصيل السكن الانساني .

وأشار سبحانه وتعالى بنوع من الاشارة ، الى هذه الحقيقة بقوله : ﴿ ***ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون*** ﴾ (٢) .

حقاً انّ فيها ما هو مدعاة للتفكر ، فانها تعطي ـ وبفهمي القاصر ـ برنامجاً متكاملاً للحياة الزوجية ، وذلك من خلال مفهومين أساسيين:

١ ـ السكن الانساني .　　　　٢ ـ المودة والرحمة .

فالزوجة بلا زوجها لا سكون لها ولا استقرار ، وكذلك الزوج لا سكون له ولا استقرار ، بل يبقيا في اضطراب وتزلزل دائمين ما داما لم

---

(١) النساء : ٣٤.

(٢) الروم : ٢١.

الشمس رُدّت عليه بعد ما غربت
من ذا يطيق لعين الشمس تطيّينا[1]
مهما تمسك بالاخبار طائفة
فقوله «وال من والاه» يكفينا[2]

ولعل اوّل من حاج في الولاية ـ متعنتاً ـ هو الخليفة الثاني في حوار شجي مع ابن عباس (رض) يكشف عن وضوح الخلافة مفهوماً بل مصداقا، عندما كان عمر يسأل حضوره عن أشعر العرب، دخل ابن عباس، فقال عمر: لقد جاءكم ابن بجدتها! فسأله عمر، فقال ابن عباس، الذى يقول:

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لقد كان يقعد من الشمس من احد قوم باحسابهم ومجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا امنوا مرزقون بهاليل اذا قصدوا

فقال عمر: هذه للنابغة الذبياني، فهو اشعر العرب اذن، ثم قال:

يا ابن عباس اني لا أرى هذا المدح يليق باحد الاّ لبني هاشم، ولكن أتعلم ما منع قومكم من اعطائكم الخلافة.؟

قال: لا.

قال عمر: كره قومكم ان تجتمع النبوة والخلافة فتجفخوا على الناس جفخاً، وتنفخوا نفخاً، فاختارت قريش لأنفسها فوفقت واصابت.

سم قاتل وبغض عميق ينبع من احقاد بدرية وأُحدية.

---

(١) والمراد ان الانسان لا يمكنه ستر عين الشمس اذا بزغت.

(٢) كشكول الشيخ الاجل البهائى ١ : ٢٦٥.

فيبقى باب التعامل مفتوحاً على مصراعيه تحكمه المودة والرحمة لزيادة السكن الانساني ، فصحيح انه لا يجب على المرأة غسل ثياب الرجل ، ولكن هذا لا يمنع من قيامها بهذا العمل لكي يبادلها الزوج بشئ ليس واجباً عليه أيضاً ، كأنْ يكثر من ادخال السرور عليها ببعض المسائل ، الشئ الذي ليس واجباً عليه ايضاً ، وبذلك تتكامل الحياة الزوجية ، امّا اذا اقتصرا على بعض الحقوق الاتية ، والتي لم يضعها الاسلام لنقتصر عليها ، فان الحياة الزوجية سوف تتهدم او تتزلزل .

وهذه القوانين والحقوق على نوعين : فمنها ما يرجع الى الزوجة ، ومنها ما يرجع الى الزوج :

١ ـ حقوق الزوجة :

اما بالنسبة لحقوق الزوجة ، فيجب على الزوج احترام زوجته بما أصبح متعارفاً بين الناس ، وعدم ضربها ، كما ويجب عليه النفقة المالية .

قال شهاب بن عبد ربه : «قلت لأبي عبدالله عليه السلام ، ما حق المرأة على زوجها ؟

قال عليه السلام : يسدّ جوعتها ، ويستر عورتها[1] ، ولا يقبّح لها

بمبادلتها بنفس الاسلوب ليشتري لها مثلاً ثوبين آخرين ، وبذلك تتكامل الحياة الزوجية ، وصفوة القول أن تحديد الحقوق الزوجية الواجبة لا يعني حرمة الزيادة على هذه الحقوق لما فيه مصلحة للزواج ضمن الضوابط الشرعية الاخرى ، هذا ما يخطر بالبال عند مراجعة هذه القصة والله العالم .

(١) والمراد الامور التي تخطئ بها المرأة كمساوئ الاخلاق فهي عيوب معنوية .

وجهاً ، فاذا فعل ذلك فقد والله ادّى حقّها .

قلت : فالدهن ؟

قال عليه السلام : غبّاً يوم ويوم لا .

قلت : فاللّحم ؟

قال عليه السلام : في كلّ ثلاثة فيكون في الشهر عشرة مرات ، لا اكثر من ذلك[١] .

قلت : فالصبغ[٢] ؟

قال عليه السلام : والصبغ في كل ستة اشهر ، ويكسوها في كلّ سنة أربعة أثواب ، ثوبين للشتاء وثوبين للصيف ، ولا ينبغي أن يُفَقِّر بيته من ثلاث أشياء : دهن الرأس[٣] ، والخل ، والزيت ، ويقوتهن بالمد ، فاني أقوت به نفسي وعيالي ، وليقدّر لكل انسان منهم قوته ، فان شاء أكله ، وان شاء وهبه ، وان شاء تصدق به ، ولا تكن فاكهة عامة إلّا أطعم عياله منها ، ولا يدع ان يكون للعيد عندهم فضل في الطعام ان يُسَنِّي من ذلك شيئاً لا يسنّي[٤] لهم في سائر الايام[٥]» .

---

(١) وليس المراد حرمة الزائد بل لعله مستحب انما المراد تحديد الواجب .

(٢) قيل هو الادام وقيل هو الثوب المصبوغ او الحناء ، وفي بعض النسخ البضع اي الجماع .

(٣) وهو بمثابة العطر في زماننا .

(٤) اي يزيد لهم في الاعياد ما لا يزيد لهم في سائر الايام .

(٥) الكافي ٥ : ٥١١ ، باب حق المرأة على الزوج ح ٥ .

٢ ـ حقوق الزوج :

قال أبو جعفر عليه السلام : جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله ، فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟

فقال لها صلى الله عليه وآله : أن تطيعه ولا تعصيه ، ولا تصدق من بيته إلّا باذنه ، ولا تصوم تطوعاً إلّا باذنه ، ولا تمنعه نفسها ، وان كانت على ظهر قتب[1] ، ولا تخرج من بيتها إلّا باذنه ، وان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الارض ، وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها .

فقالت : يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل ؟

فقال صلى الله عليه وآله : والده .

فقالت : يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة ؟

قال صلى الله عليه وآله : زوجها .

فقالت : فما لي عليه من الحق مثل ما له عليّ ؟!

قال صلى الله عليه وآله : لا ولا من كل مائة واحدة .

فقالت : والذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتي رجلاً أبدا»[2] .

وحدود هذه الطاعة المذكورة في الرواية مختصة بالامور الزوجية ، فلا يجوز لها السفر لمندوب او مباح[3] إلّا باذنه ، اما السفر الواجب فهو

---

(١) القتب : الامعاء المشوية وتطلق على ما يوضع على ظهر البعير .

(٢) فروع الكافي ٥ : ٥٠٦ ، باب حق الزوج على المرأة ح١ ، والوسائل ٧ : ١١١ .

(٣) السفر المندوب كزيارة المراقد المقدسة غير الحج ، والمباحة كالسفر للتنزه .

جائز كالسفر الى الحج[1].

وكذلك يجب عليها التمكين[2]، وازالة المنفرات، وعدم الاعراض عن زوجها، وعدم تغيير عادتها مع زوجها في أدبها قولاً وفعلاً[3].

اما الامور الخارجة عن الحياة الزوجية، كالعمل في بيتها اثناء خروج زوجها بأنواع الاعمال كالخياطة ونحوها، فلا سبيل للزوج عليها، نعم ذلك مشروط بعدم الضرر على نفسها او اولادها وتربيتهم.

أهم المشاكل الزوجية وعلاجها :

وفي الرواية الشريفة المتقدمة: إشارة الى مسألة مهمة في الحياة الزوجية، وهي أهل الزوج واهل الزوجة، وهذه المسألة من أهم العوامل التي تؤدي الى خراب الحياة الزوجية او اصلاحها.

فالمرأة في الرواية سألت عن أعظم الناس حقاً على الرجل والمرأة، فأجابها رسول الله صلى الله عليه وآله على السؤال الاول بانه والد الزوج، وعلى الثاني بانه نفس الزوج.

اما بالنسبة للسؤال الاول، فاراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبيّن أن والد الزوج أقرب الناس اليه، فاذا أردت ان تتقربي الى زوجك فما عليكِ الا التقرب الى والده، او والدته، لان الرسول صلى الله عليه وآله ذكر الوالد، لانه اكثر الناس اهتماماً بحياة ولده الزوجية، اما الام فان اكثر

---

(١) راجع الينابيع الفقهية ١٩ : ٥١٩، نقلاً عن الشرائع.

(٢) التمكين هو التخلية بين الزوج والزوجة بحيث لا تخص موضعاً ولا وقتاً.

(٣) راجع اللمعة الدمشقية ٥ : ٤٢٨.

اهتمامها يكون باتجاه إبنتها ، او ان العاطفة قد تقلل من الاهتمامات الزوجية الهادفة ، وان كان للعاطفة دوراً آخر ايجابياً في حياة الزوجين[1].

وعلى كل حال ، أراد رسول الله صلى الله عليه وآله عدم فصل الولد عن أهله ، وان الاب له التدخل في الحياة الزوجية لابنه ، ولذا كان الجد له حق الولاية على الحفيد ، بل هي أقوى منها عند الاب ، كما هو مذكور في الفقه .

ويهدف الرسول صلى الله عليه وآله من وراء ذلك ، ان على المرأة ان تحترم عمّها ، وتتقرب اليه لكي لا يتدخل سلبياً في الحياة الزوجية . اضافة الى ان الاب يعتبر أباً لها أيضاً .

أما بالنسبة للسؤال الثاني : ولعله الاهم في الحياة الزوجية ، بل اكثر المشاكل من ورائه ، ذلك ان المرأة عندما أجابها الرسول صلى الله عليه وآله بما فيه جنبة تفضل للرجل وللأهله ، خطر ببالها أن أحق الناس عند للزوج لابد ان يكون والدها او والدتها[2] ، فقامت بسؤال النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك .

إلّا أن النبي صلى الله عليه وآله أجابها بما يخالف توهمها ، بل وما يخالف توهم اكثر النساء ، أجابها بما فيه استقامة الحياة الزوجية ، وأنّ أحق الناس على المرأة هو زوجها ، لا والدها وامها .

وهذا لا يعني عدم احترام اهل المرأة من قبل الرجل ، بل لهم الاحترام والتودد كما هو لاهل الرجل ، انما اراد الرسول صلى الله عليه

---

(١) من قبل الام .

(٢) بل لعل ذلك التوهم عند كل النساء الذين لم يدركوا معنى الحياة الزوجية ولم يقفوا على حقيقة الزواج وانها سكن بين الزوجين لا اكثر .

وآله ان يحدد مسار الحياة الزوجية ، وأراد أيضاً ان يقلل من المشاكل الزوجية ، لان المشاكل التي تحصل من طرف اهل المرأة اكثر ، وخاصة من طرف الام .

وليس هذا يعني ان اهل الاب اكثر اهتماماً من اهل الام في سعادة الزوجين ، ونجاح الحياة بينهما ، بل لعل أهل المرأة اكثر اهتماماً ، مما يجعل التدخل في هذه الحياة الزوجية اكثر ، فيسبب المشاكل من هذه الناحية ، وليس كل تدخل من قبل أهل الزوجة سبباً للمشاكل ، بل ما نقصده ذلك التدخل الذي يكون من قبلهم لخصوص الزوجة .

توضيح ذلك :

ان تدخل اهل المرأة تارة يكون مع الزوج والزوجة معاً ، وأخرى يكون مع خصوص الزوجة .

فاذا كان معهما ، فهذا غالباً لا يسبب المشاكل ، لانه يكون إنتقاداً بنّاءً لحياتهما الزوجية ، عند الاهل الذين يريدون سعادة إبنتهم ونجاح حياتها الزوجية[1] .

اما اذا كان التدخل مع خصوص الزوجة ، فغالباً يسبب المشاكل[2] ،

---

(١) لان بعض الاهل لا يدركون ذلك ، فهذه تكون مشكلة من ناحيتهم وما نتكلم عنه هو المشكلة من ناحية نفس التدخل .

(٢) وليس مرادنا من ذلك ان في كل العائلات توجد هذه المشاكل بل ما نقصده ان العوائل التي فيها مشاكل سببها اهل الزوجة اذا كان لهم دوراً في حياة ابنتهم وتدخل من هذا القبيل .

وذلك أن الام (أو الاب) عندما تتدخل مع ابنتها في مسألة معينة، لم يكن الزوج ليطّلع عليها - والمفروض انها مسألة مفقودة من البيت، او الزوج غافل عنها - فانه عندما تطلع الزوجة على هذه المسألة الخفية عنها تعتبرها - ان لم تكن في المستوى المطلوب والوعي الكامل - حقاً سلب منها، اعتماداً على قول أمها، التي تعتبر بالنسبة لها كل شئ في الحياة. فعندها تقوم بمطالبة الزوج بهذا الشئ.

فهنا ان كان الزوج مغفلاً، تنتهي المسألة بتحقيق مطلوبها. وان لم يكن مغفلاً، واراد ان يستوعب المشكلة - ان كانت بتلك الاهمية - فايضاً تنتهي المسألة، إلّا اذا تكررت المسألة اكثر من مرة [لان الام والزوجة عندما ترى ان الزوج اعطاهما ما تريدان، تتوهمان ان ذلك حقاً للزوجة فيقومان بمزيد من المطالبة].

اما اذا اراد الزوج التحقيق في المسألة، ولو لنتيجة تكرارها، فانه عندها تحصل المشكلة، خاصة اذا علم ان الام وراء تلك المسألة، بل تلك الطامة الكبرى.

ولذا وصيتي لكل الامهات اللاتي يردن سعادة بناتهن في حياتهن الزوجية - واني لا اشك ان هذا هو قصدهم في التدخل - اني اوصيهن بان لا يتدخلن في الحياة الزوجية مع خصوص الزوجة وبعيداً عن الزوج، او ان يتدخلن بما فيه زيادة ربط ومودة ورحمة وسكن بين الزوجين.

وفي الختام أود التنبيه على مسألة:

ان هذه المشاكل التي قد تحصل ليس غالباً سببها أهل الزوجة، انما ما كان فيها تدخل غير واعٍ ومدروس، واني، وان كنت لا أعيش هذه

المشكلة ـ ولله الحمد ـ ولكني استفدتها من بعض الحالات العائلية المحدودة ، ولذا قد يكون بعض ما ذكرته في النقطة الاخيرة (السؤال الثاني) ، محل تأمل ونظر ، خاصة بالنسبة الى كون هذه الحالات عامة لجميع المشاكل الزوجية .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، والحمد لله رب العالمين .



القصة التاسعة

النور التاسع

نور سيدنا ومولانا الامام موسى الكاظم عليه السلام

عن كتاب الانوار، قال العامري: ان هارون الرشيد أنفذ الى موسى بن جعفر جارية خصيفة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن.

فقال عليه السلام: قل له ﴿*بل انتم بهديتكم تفرحون*﴾، لا حاجة لي في هذه، ولا في امثالها.

قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع اليه وقل له: ليس برضاك أحبسناك، ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف. قال: فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم اليه ليتفحص عن حالها، فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها، تقول: «قدوس سبحانك سبحانك».

فقال هارون : سحرها والله موسى بن جعفر ، عليّ بها ، فأُتي بها وهي ترعد شاخصة نحو السماء بصرها ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : شأني الشأن البديع ، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليله ونهاره ، فلما انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدسه ، قلت : يا سيدي هل لك حاجة أعطيكها ؟

قال عليه السلام : وما حاجتي اليك ؟ قلت : إني أُدخلت عليك لحوائجك .

قال عليه السلام : فما بال هؤلاء ؟

قالت : فإلتفتُ فاذا روضة مُزَهرة لا أبلغ أخرها من أولها بنظري ، ولا اولها من أخرها ، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج ، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجوههم حسناً ، ولا مثل لباسهم لباساً (الى ان قالت) : فخررت ساجدة ... الخ[1] .

---

(١) البحار ٤٨ : ٢٣٨ ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٤١٤ .

تأثير الموعظة :

نور من نور النبوة يشرق على الظلام فيجعله منيراً ، موعظة من مواعظ الامام الكاظم صلوات الله عليه لجارية أُدخلت عليه لتغويه فهداها عليه السلام وجعلها موعظة وعبرة لمن اعتبر .

حتى ان هارون الرشيد لم يصدق ما رأى ، إعتبر ذلك سحراً ، اذ كيف تتحول امرأة بغية الى عابدة ساجدة .

نعم بحساباته المادية ذلك سحر ، اما بالحسابات الالـٰهية فان ذلك يعتبر معجزة من معاجز امامنا المظلوم ، وليبين للناس انّ همّنا أهل البيت هو هداية الناس ، واننا منزهون عن تلك الملذات الدنيوية ، حتى في الاماكن التي هي خارج اختيارنا .

فاذا كان يوسف على نبينا وعليه السلام اختار السجن على ما يدعونه اليه ، فان امامنا عليه السلام اختار هدايتها على ما يدعونه اليه ، حفظاً لوصية جده رسول الله صلى الله عليه وآله : «*يا علي لئن يهدي الله*

بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ، ولك ولاؤه»[1] .

وليست هذه بأول موعظة لإمامنا المظلوم عليه السلام تؤثر ومن مجرد صدورها ، بل هو الذي مرّ من امام بيت بشر ، فسمع الغناء والفجور ، فوجد جارية على باب الدار فسألها لمن هذه الدار ؟

اجابت قائلة : لسيدي .

فقال عليه السلام : سيدك هذا حر أم عبد ؟!

فقالت : بل حر !!

فقال عليه السلام : صدقتِ ، لو كان عبداً لاستحى من الله عزوجل .

فعندما رجعت الى سيدها أخبرته بمقالته ، فقال : صفيه .

فقالت : رجل تميله الريح اذا مر بها ، لباسه الرقيق ...

فقال : موسى الكاظم ورب الكعبة .. فرجع الى نفسه ، وتاب عن اعماله ، من كلمة واحدة «لو كان عبداً لاستحى من الله» .

فعبيد نحن ام احرار ؟! فان كنا عبيداً فاين العبودية وآثاراها ؟ وان كنا احراراً فويل لنا ثم ويل .

فلنتأمل في مواعظ الاخرين لعلنا نتعظ !.

تأمل في توبة مالك بن دينار ، شارب الخمر ومرتكب الفجور ، وانظر فانه لسماع قوله تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، فكثير منهم فاسقون**﴾[2] . انقلب راساً على عقب ، تاركاً شرب الخمر .

---

(١) الكافي ٥ : ٣٦ ، باب الدعاء الى الاسلام قبل القتال .

(٢) الحديد : ١٦ .

انظر كيف أثرت به هذه الاية مع كونه مبتلياً بالفجور !.

فما بالنا نسمع هذه الاية بل نقرأها دون أي تأثير ، فطال علينا الامد ام قست قلوبنا ، أم غطاها الرين من كثرة الذنوب ، حتى اصبحت سيّان بين الموعظة وعدمها ، ونعم ما قال امير الواعظين عليه السلام : «ما اكثر العبر واقل الاعتبار[1]» .

مع الامام الكاظم عليه السلام في السجن :

يا ساجداً غدوة لله مبتهلاً
الى الزوال بضيق السجن مرهونا
طالت لطول سجودٍ منه ثفنته
فقرحت جبهة منه وعرنينا
رأى فراغته في السجن منيته
ونعمة شكر الباري بها حينا[2]

« ***اللهم انك تعلم انني كنت اسألك ان تفرّغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد***[3]» .

هذه امنية امامنا الكاظم عليه السلام ، فرغم كثرة عبادته ، حتى روي انه كان يصلُ نوافل الليل بصلاة الصبح ، ثم يعقب حتى طلوع الشمس ، ثم يخر ساجداً حتى يقرب الزوال ، وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل

---

(١) نهج البلاغة : ٥٢٨ .

(٢) الانوار البهية : ١٦٢ .

(٣) راجع البحار ٤٨ : ١٠٧ .

لحيته بالدموع[1].

فرغم ذلك، كان يدعو الله ليفرغ له وقتاً يعبده فيه، بعيداً عن الناس ومشاغلهم، لان المحب لو خليّ ونفسه لما فارق محبوبه طرفة عين ابدا، والى ذلك اشار الامام زين العابدين عليه السلام في معرض وصف عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تُرمَّ قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه[2]، فقيل له يا رسول الله: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فيقول صلى الله عليه وآله: «***أفلا أكون عبداً شكوراً. الحمد لله على ما اولى وابلى، وله الحمد في الآخرة والاولى، والله لا يشغلني شئ عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، وسر ولا علانية، ولولا لأهلي عليّ حقاً، ولسائر الناس في خاصهم وعامهم عليّ حقوقاً، لا يسعني الا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى اؤديها اليهم، لرميتُ بطرفي الى السماء وبقلبي الى الله ثم لم اردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين***»[3].

وهذا ما قاله امامنا الصادق عليه السلام: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه... وقد غنَّي عن الخلق، والمراد، والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق، ولا إشارة، ولا نفس الا بالله لله من الله مع الله»[4].

من أجل ذلك تمنى امامنا الكاظم عليه السلام السجن، من اجل ان

---

(١) راجع الارشاد: ٣١٦، واعلام الورى: ٢٩٦.

(٢) عصب الشئ: شده ويستعمل باليبوسة.

(٣) الآداب المعنوية للصلاة: ٣١٣.

(٤) بحار الانوار ٣: ١٤.

يتفرد بالله سرّاً وعلانية[1]، ويعبده ليلاً نهاراً، وليكون عبداً شكوراً ...

حقيقة العزلة:

وقد يفهم مما تقدم ان إعتزال الناس مطلوب لعبادة الله، وانه يؤدي الى معرفة الله عزوجل وطاعته بما أمر به.

إلا ان الانصاف عدم صحة ذلك لا عقلاً ولا شرعاً، ذلك ان عبادة الله ليست متوقفة على ذلك، وصلاح الفرد بصلاح نفسه، سواء اعتزل الناس ام لم يعتزلهم، وكم هم الذين اهتدوا عن غير طريق العزلة، وكم هم الذين ضلوا عن طريقها.

إلا ان بعض فرق المسلمين ـ وهم المتصوفة ـ ذهبوا الى ان العزلة توصل الى معرفة الله عزوجل ورضاه، متمسكين بظاهر بعض الاخبار، منها:

ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان الله يحب العبد التقي الخفي»[2].

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب»[3].

ومنها ما عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صاحب العزلة متحصن

---

(١) روي عن الامام الصادق عليه السلام: «فيا طوبى لمن تفرد به سراً وعلانية»، راجع جامع السعادات ٣: ١٩٥.

(٢) جامع السعادات ٣: ١٩٦.

(٣) نفس المصدر السابق.

بحصن الله تعالى ومتحرس بحراسته ، فيا طوبى لمن تفرد به سراً وعلانية»[1] .

وفي المقابل تمسك البعض ببعض أخبار اخرى ذامة للعزلة منها :

ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد»[2] .

ومنها قوله ايضاً صلى الله عليه وآله : «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[3] .

والصحيح امكان الجمع بين هذه الروايات بواحد من وجوه الجمع التالية :

الوجه الاول :

بان تحمل الروايات المادحة للعزلة التامة على عزلة الصفات المذمومة والقبيحة ، او على عزلة الافراد الذين يُبعِدُون عن معرفة الله وعبادته .

ووجهه ان العزلة ليست من الامور المطلوبة لنفسها ، بل هي مطلوبة لغيرها ، مطلوبة للتفرغ الى عبادة الله ، والقرب منه تعالى ، والى ذكره عزت الآؤه ، وهذه المسائل كما تتم في العزلة التامة ، تتم في العشرة ضمن برنامج خاص يتكيف مع طبيعة الشخص كما سوف نبيّن.

اما من يدعي العزلة وانها طاعة لله ، فانه يوقع نفسه في مغالطة ،

---

(١) البحار ٧٠ : ١١٠ ، باب العزلة عن شرار الخلق ح ٩.

(٢) جامع السعادات ٣ : ١٩٦ .

(٣) المصدر السابق .

فكيف يعبد الله عز وعلا ، وقد ترك كثيراً من الواجبات والمستحبات ؟ كيف يعتبر نفسه مطيعاً ، وقد تخلى عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعن الجهاد ، وعن تعطيل الحدود ، وترك خدمة الاخوان والاهـل ؟

وكل هذه الامور تؤدي الى الافساد في الارض ، والتي سببها العزلة في كثير من الاحيان ، فكيف يدعي الطاعة ؟!

ولذا يجب ان تفسر العزلة الى جانب هذه الامور ، كما تشير اليه الرواية الشريفة المتقدمة : «***افضل الناس مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب***» .

فالى جانب الجهاد في سبيل الله ، والى جانب قيام الجماعات واحياء المساجد ، ينعزل الانسان عن الناس لمدة تكفيه لعبادته الخاصة ، وهذا أمر بسيط عند ذوي العقول ، فيستطيع الانسان ان ينظم وقته ليجمع بين العزلة والعشرة ، بين عبادة الله وذكره وبين معاشرة الناس والقيام بحقوقهم المفترضة عليه .

وفي مجتمعاتنا الكثير من هؤلاء ، ولعل أبرز مصلح في عصرنا كان يمشي على هذه الطريقة ، الا وهو روح الله الموسوي الخميني (قده) .

فانه كان فقيهاً ، عارفاً ، عابداً ، مسبحاً لله أناء الليل واطراف النهار ، مع كونه مجاهداً ، مصلحاً ، بكل ما للكلمة من معنى .

استطاع ومن خلال جهاده ووعيه وتدبيره ، ان ينقذ شعباً ، بل امة من الضلالة الى الهدى ، ومن الكفر الى الاسلام .

استطاع ومن خلال عيشه مع الناس ، تأسيّاً باجداده الطاهرين عليهم السلام ، ان يقيم حدود الله ، ودولة القرآن ، ولأول مرة في تاريخ التشيع

بعد عصر أهل البيت عليهم السلام .

فلو أنه اعتزل الناس وقال مثلما قال غيره ، ماذا كان حصل ؟

كان الظلم والكفر غطّيا الكثير من بقاع المعمورة .. ولكانت قد عطلت الكثير من الواجبات ، والتي اهمها هداية الناس ، أليس رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي علياً عليه السلام بقوله : «يا علي ايم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه»[1] .

فاذا اعتزلنا الناس وما يعبدون فاين هذه الوصية .

هذا بالنسبة الى الوجه الاول ولعله افضل الوجوه .

الوجه الثاني :

أن تحمل الروايات الذامة للعزلة ، على من يقدر على اصلاح نفسه عن طريق العشرة ، وتحمل الروايات المادحة للعزلة على من تنحصر هدايته وصلاحه بالعزلة التامة عن الناس»[2] .

وهذا المضمون مما لاشك في شرعيته ، لان الذي تتوقف هدايته على العزلة ، يجب عليه الابتعاد عن الناس ، كالذي يعلم من نفسه انه متى ما ذهب الى المكان الفلاني ارتكب محرماً ، فانه يجب عليه عدم الذهاب ،

---

(١) الكافي ٥ : ٣٦ ، باب الدعاء الى الاسلام قبل القتال .

(٢) وقد يكون الاعتدال في العزلة ـ ما يسمى بالعزلة الناقصة ـ طريقاً لاصلاح بعض الناس وهذه تختلف باختلاف الاشخاص ، وبطبيعة المجتمع الذين يعيشون فيه وافضل حل لذلك ان يرجع كل شخص الى استاذه ومربيه الذي يكون غالباً أدرى بحاله .

وكالذي يعلم من نفسه انه اذا جلس مع الشخص الفلاني ، فانه سوف يرتكب محرماً معيّناً (كالغيبة) فيجب عليه عدم الجلوس معه .

نعم المشكلة في تحديد ذلك وهي مختلفة من شخص لآخر ومن ظرف لظرف ، وانه متى تكون العشرة واجبة عليه ، ومتى تكون العزلة عليه واجبة .

فعلى كل من يواجه هذه المشكلة ان يرجع الى اساتذة هذا الفن ألا وهم عرفاء الله تبارك وتعالى ، الذين لا تخلو منهم ارض .

الوجه الثالث :

ان تحمل الروايات المادحة للعزلة على بعض الاشخاص الذين تتوقف عليهم بعض المهمات المستقبلية او الآنية[(١)] ، كالعزلة من أجل التأليف ، او الرد على بعض المذاهب .

وهذا المضمون أيضا مما لا شك في شرعيته ، نعم وجوبه اذا كان التأليف واجباً منحصر باشخاص معينين.

ومن ذلك عزلة بعض أهل البيت عليهم السلام ، كعزلة الامام زين العابدين من أجل الدعاء[(٢)] ، وتحديد ذلك أيضاً لابد ان يرجع الى ذوي الخبرة .

---

(١) والروايات الذامة للعزلة تحمل على بقية وعامة الناس .

(٢) ولم تكن عزلته صلوات الله عليه من اجل الدعاء طيلة حياته بل ضمن فترة محددة ، وفي الواقع ليس ذلك من العزلة بل هو اسلوب روحي الى الدعوة للاسلام فرضتها الظروف المحيطة بالامام عليه السلام ، وقد تقدم الكلام في ذلك في القصة السادسة عند الكلام عن اسلوب الامام زين العابدين عليه السلام في الدعوة .

الوجه الرابع :

ان تحمل الروايات المادحة للعزلة على العزلة غير التامة ، والروايات الذامة على العزلة التامة .

وهذا الوجه يمكن إرجاعه الى الوجه الاول المتقدم ، وان الانسان يستطيع ان يوازن بين العزلة والعشرة ضمن برنامج معين يتناسب مع الشخص ومجتمعه .

الوجه الخامس :

ان تحمل الروايات المادحة للعزلة على من يواجه مشاكل اجتماعية ، فتكون عزلتهم من باب الضرورة .

وهذا المضمون مما لا شك فيه شرعيته وهو ما حصل لأصحاب الكهف والرقيم ، الذين اعتزلوا الناس حفاظاً على دينهم وتعاليمه .

قال تعالى : ﴿*واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته*﴾[1] .

او كعزلة بعض الائمة عليهم السلام كما حصل للامام الكاظم في السجن ، او غيره من الائمة عليهم السلام ، فانها كانت من باب الضرورة ، للخوف على الاسلام والمسلمين ، او على نفس الامام المعصوم عليه السلام .

وضرورة امامنا الكاظم عليه السلام كانت اكبر الضرورات ، وهي العزلة التامة عن الناس ، وهي الظلم الواقعي له صلوات الله عليه ، ولكن مع

---

(١) الكهف : ١٦ .

ذلك ومع شدة المراقبة التي كان يعيش تحتها ، كان صلوات الله عليه يُوصل الى الناس ما يحتاجون اليه، سواء من خلال بعض الزائرين ، او الرُّقع او بخروج نفس الامام سراً من السجن لبعض الاهداف الخاصة[1].

«اللهم صل على محمد وأهل بيته ، وصل على موسى بن جعفر وصي الابرار ، وامام الاخيار ، وعيبة الانوار ، ووراث السكينة والوقار ، والحِكَم والآثار ، الذي كان يحيي الليل بالسهر الى السحر ، بمواصلة الاستغفار ، حليف السجدة الطويلة ، والدموع الغزيرة ، والمناجاة الكثيرة والضراعات المتصلة ، ومقرّ النهي والعدل ، والخير والفضل ، والندى والبذل ، ومألف البلوى والصبر ، والمضطهد بالظلم ، والمقبور بالجور ، والمعذّب في قعر السجون ، وظلم المطامير[2] ، ذي الساق المرضوض بحلق القيود[3] ، والجنازة المنادى عليها بذل الاستخفاف ، الوارد على جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه سيدة النساء بإرث مغصوب ، وولاء مسلوب ، وأمر مغلوب ، ودم مطلوب ، وسم مشروب .

اللهم وكما صبر على غليظ المحن ، وتجرّع غُصص الكرب ، واستسلم لرضاك ، وأخلص الطاعة لك ، ومحض الخشوع ، واستشعر الخضوع ، وعادى البدعة وأهلها ، ولم يلحقه في شئ من أوامرك ونواهيك لومة لائم .

صل عليه صلاة نامية منيفة زاكية ، توجب بها شفاعة أمم من خلقك ، وقرون من براياك ، وبلّغه منا تحيةً وسلاماً ، وآتنا من لدنك في موالاته

---

(١) رجع بحار الانوار ٤٨ : ٢٢٤ .

(٢) المطامير : الحفرة تحت الارض وتستعمل في الحبس .

(٣) المرضوض : المدقوق والمضروب .

فضلاً واحساناً ، ومغفرة ورضواناً، إنك ذو الفضل العميم ، والتجاوز العظيم برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

(١) الانوار البهية : ١٧٤ نقلاً عن ابن طاووس (رحمه الله).



القصة العاشرة

النور العاشر

نور سيدنا ومولانا الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

عن أبي الصلت الهروي قال : إن المأمون قال للرضا علي بن موسى عليه السلام : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عرفت فضلك ، وعلمك ، وزهدك ، وورعك ، وعبادتك ، وأراك أحق بالخلافة مني .

فقال [الامام] الرضا عليه السلام : بالعبودية لله عزوجل أفتخر ، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا ، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم ، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزوجل .

فقال له المأمون : فاني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة ، وأجعلها لك وأبايعك .

فقال له [الامام] الرضا عليه السلام : ان كانت هذه الخلافة لك ، وجعلها الله لك ، فلا يجوز ان تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك .

وان كانت الخلافة ليست لك ، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك .

فقال المأمون : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لابد لك من قبول هذا الامر .

فقال عليه السلام : لست أفعل ذلك طائعاً أبداً .

فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله ، فقال المأمون له : فان لم تقبل الخلافة ، ولم تحب مبايعتي لك فكن، ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي .

فقال [الامام] الرضا عليه السلام : والله حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله : أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً .

فقال المأمون : فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد والا أجبرتك على ذلك فان فعلت والا ضربت

عنقك .

فقال [الامام] الرضا عليه السلام : قد نهاني الله عزوجل أن ألقي بيدي الى التهلكة ، فان كان الامر على هذا ، فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أني لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا انقض رسماً ولا سنة ، واكون في الأمر من بعيد مشيراً .

فرضي منه بذلك ، وجعله وليّ عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك»[1] .

(١) علل الشرايع ١ : ٢٢٦ وعيون اخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٢٩ وامالي الصدوق : ٦٨ .

عزّ الربوبية وذلّ العبودية :

قال الامام الرضا عليه السلام : «بالعبودية لله عزوجل أفتخر» ..

إعلم وفقنا الله واياك لعبادته ، ان اول شرط للسير الى الله تبارك وتعالى هو تحطيم الانيّة والانانية ، وازالة رؤية النفس ، وعندها يتلبس الانسان بالوسام الالهي ، وهو ذل العبودية ، وينفتح أمامه وسام رباني وهو عز الربوبية .

وتفصيل هذا الاجمال :

قال الامام الصادق عليه السلام : «العبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فما فُقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية»[1] .

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام مبيناً حقيقة العبودية عن عنوان البصري قال : قلت : «يا أبا عبدالله ما حقيقة العبودية ؟

قال عليه السلام : ثلاثة اشياء :

١ ـ ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً ، لان العبيد لا يكون

---

(١) مصباح الشريعة المروي عن الامام الصادق عليه السلام .

لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به .

٢ ـ ولا يدبر العبد لنفسه تدبيرا .

٣ ـ وجملة اشتغاله فيما أمره الله به ونهاه عنه .

فاذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكاً ، هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه .

واذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدّبره هان عليه مصائب الدنيا .

واذا اشتغل العبد بما امره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما الى المراء والمباهاة مع الناس .

فاذا اكزم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وابليس الخلق ، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلواً ، ولا يدع أيامه باطلاً .

فهذا اول درجة التقى ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ *تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين* ﴾»[1] .

الاخلاص بين الربوبية والعبودية :

الاخلاص تارة يتعلق في الربوبية ، ويراد منه تنزيه الخالق عن كل عيب ونقص ، والاعتقاد بانه الخالق الوحيد الحاوي على كل كمال وفيض دائمين .

قال الامام الصادق صلوات الله عليه : « **[الله] هو مثبت موجود لا مبطل ولا معدوم ، ولا في شئ من صفة المخلوقين ... والله نور لا ظلام فيه ،**

---

(١) بحار الانوار ١ : ٢٢٤ ، باب آداب طلب العلم واحكامه ح١٧ .

وحي لا موت فيه ، وعالم لا جهل فيه ، وصمد لا مَدْخَل فيه . ربنا نوري الذات ، حي الذات ، عالم الذات ، صمديّ الذات»[١] .

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال :

«لم يزل الله جل وعز ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الاشياء ، وكان المعلوم ، وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور»[٢] .

وهذه الصفات لا يمكن للمخلوق ان يدرك كنه ذاتها[٣] ، بل كمال الممكن عجزه عن معرفة ذات الله تعالى .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ***وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول ، فتكون في مهب فِكرها مُكيّفاً ، ولا في رويّات خواطرها ، فتكون محدوداً مُصرَّفا»***[٤] .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « ... وكل ما ميزتموه بأوهامكم ، في أدق معانيه ، مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود اليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ، ومقدر الموت ، ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله زبانيتين كما لها ، ويتصور ان عدمها نقصان لمن لا يكونان له . هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله به واليه المفزع»[٥] .

---

(١) بحار الانوار ٤ : ٦٨ .

(٢) بحار الانوار ٤ : ٧١ .

(٣) لأن صفات الله عين ذاته .

(٤) نهج البلاغة : ١٢٧ خ٩١ .

(٥) كشكول الشيخ البهائي ٣ : ٢٨٣ .

وقد يتعلق الاخلاص في العبودية ، وذلك ان لا يكون للعبد تعلقاً وتذللاً لسوى الله تبارك وتعالى ، بل عليه ان ينقطع الى الحق المتعالي بكل جوارحه المادية والمعنوية .

«*الهي هب لي كمال الانقطاع اليك*»[1] .

ووجهه ان كل مخلوق محض الربط والفقر والفاقة ، ومطبوع على ناحية كل ممكن (ذل العبودية) . فلا يستقيم التعلق بغير مَن هو عز مطلق ، وكبرياء محض .

قال الامام الصادق عليه السلام : «العز رداء الله والكبرياء ازاره ، فمن تناول شيئاً منه اكبه الله في جهنم»[2] .

وكل من تشبث برؤية النفس فقد وقع في الحجاب الاكبر ـ عز العبودية ـ ونازع الله في كبرياء عظمته ، واستحق العذاب الالـٰهي .

ولذا كان اول شرط للسلوك الى الحق ـ او اول درجة التقى بحسب قول الامام الصادق عليه السلام ـ هو تحطيم النفس والانيّة وخرق هذا الحجاب ، حتى يتسنّى للسالك السير نحو عز الربوبية والاخلاص بها ، حتى تنفتح عليه المعارف الالهية ، ويقذف في قلبه نور الحقيقية ، وقد اشار الى ذلك امامنا الصادق عليه السلام في مطلع رواية عنوان البصري المتقدمة بقوله :

«يا أبا عبدالله[3] ليس العلم بالتعلم ، انما هو نور يقع في قلب من يريد

---

(١) المناجاة الشعبانية .

(٢) اصول الكافي ٢ : ٣٠٩ ، باب الكبر ح ٣ .

(٣) كنية عنوان البصري .

الله تبارك وتعالى ان يهديه ...»[1] .

فمن اراد الحق والحقيقة ، ورغب في آثارهما ، عليه ان يتوجه الى المقصد الحقيقي - تحطيم الانيّة - والاّ فمن ادار ظهراً الى تحطيم النفس وحجابه واتجه مع ذلك الى الحق تعالى ، فانه ممن أضل الطريق وتردى :

قال تعالى : ﴿ *قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً* ﴾[2] .

حقيقة العبودية :

ولخصها الامام الصادق عليه السلام بثلاثة أمور :

١ - ان لا يرى العبد لنفسه ملكاً .

٢ - ان لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً .

٣ - ان يشتغل العبد بأوامر الله ونواهيه .

وتفصيل ذلك في ثلاثة مقامات :

المقام الاول : المالك الحقيقي

قال تعالى : ﴿ *قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء* ﴾[3]. وقال سبحانه : ﴿ *ولم يكن له شريك في الملك* ﴾[4] .

---

(١) البحار ١ : ٢٢٥ .

(٢) الكهف : ١٠٣ .

(٣) آل عمران : ٢٦ .

المتصرف المطلق لكل الموجودات ، والمالك الحقيقي لها هو الله تبارك وتعالى «لا منازع له في ملكه ولا مشارك له في امره» .

وما الانسان الا وكيل من قبل الله تعالى ، وما ملكيته الا ملكية اعتبارية غير مستقلة عن الله سبحانه وتعالى .

قال الامام الصادق عليه السلام :

« المال مال الله عزوجل جعله ودائع عند خلقه ، وأمرهم ان يأكلوا منه قصداً ، ويشربوا منه قصداً ، ويلبسوا منه قصداً ، وينكحوا منه قصداً ، ويركبوا منه قصداً ، ويعودوا بما سوى ذلك على الفقراء المؤمنين ، فمن تعدى ذلك كان ما اكله حراماً وما ... الخ»[5] .

فكل مالٍ يصل الى يد الانسان في هذه الدنيا ، فهو من الله عزوجل يسّره له ورزقه اياه[6] ، سواء من اسباب متوقعة او غير متوقعة ، عَلِمَ الانسان ام لم يعلم ، وما الاسباب التي تأتي منها الاموال ، الا اسباب ظاهرية اعتبارية ، أجرى الله تبارك وتعالى على أيديها هذه النِعم .

وتعتبر هذه الاموال أمانة في يد الانسان يطالب فيها يوم القيامة اذا فرّط بها ، او لم يصرفها في اماكنها المناسبة والمشروعة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« انّا لا نملك مع الله تبارك وتعالى شيئاً ، ولا نملك الا ما ملّكنا ، فمتى

---

(٤) الفرقان : ٢ .

(٥) البحار ١٠٣ : ١٦ والمستند ٢ : ٤٢٣ .

(٦) وسوف يأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن حقيقة الرزق ان شاء المولى تبارك وتعالى .

ملكّنا ما هو أملك به منّا كلفنا ، ومتى اخذه منّا وضع تكليفه عنّا»[1] .

وان كنا نتحدث عن المال ، فلانه المصداق الأبرز للملك ، والا فكل ما يملك الانسان ، فهو ملك حقيقي لله تبارك وتعالى ، ومالكية الانسان اعتبارية له .

والاثر المترتب على هذا المقام الاول ، هو سهولة الانفاق لما في أيدي الناس ، وهون الدنيا عليه ، وعدم طلبها الا لما هو فيه اخرة ، لان الانسان اذا أيقن ان المالك الحقيقي هو الله عزّت آلاؤه ، وما هو الا وكيل عنه فانه سوف يعمل على طبق الوكالة ، وسوف يَسْهُل عليه إنفاقه في سبيل الله لانه لله عزوجل .

اما اذا اعتبر ان المال ماله ، وهو المتصرف الوحيد به ، فانه سوف يَصْعب عليه انفاقه في سبيل الله بل يبقى يردد : انا أعمل وغيري يأكل ! أنا أجني وغيري يصرف ، ويكون قد حُرم من أوّل مقام للعبودية ، وبقي في ذل الانيّة ، ورؤية النفس ، لتقديمه المصلحة الشخصية على المصلحة الالٰهية .

المقام الثاني : المدبّر الحقيقي

قال الامام الصادق عليه السلام : « ***وان لا يدبر العبد لنفسه تدبيرا»*** .

المدبر الحقيقي لكل افعال الانسان هو الله عزوجل ، وهذا لا يعني ان الانسان لا يملك من التدبير شيئاً ، بل المراد ان الله عزوجل هو المدبر الحقيقي لكل الامور ، والمسدد لأعمال الانسان ضمن القانون الالهي

---

(١) نهج البلاغة : ٥٤٧ حكمة ٤٠٤ .

الذي وضعه الله عزوجل لهذه الدنيا .

اما الانسان فهو المدبر الظاهري ، فهو الذي يجب عليه ان يسعى لتأمين العمل او المال ، وهو الذي يتصدى لكل عمل ويباشره بنفسه ، اما الله تبارك وتعالى فهو المسدد والموفّق له في هذا العمل ، الله هو المبارك له في هذا العمل .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **قد تكفّل لكم بالرزق ، وأمرتم بالعمل ، فلا يكونَنَّ المضمون لكم أولى بكم من المفروض عليكم عمله**»[1] .

يشير عليه السلام الى ان الله قد قدّر لكل انسان رزقه ، لا ينقص منه ذرة ولا يزيد[2] ، قال تعالى : ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾[3] ، اما الناس فقد فرض عليهم العمل لتحصيل هذا الرزق ، وقد تقدم ما يوضح ذلك في القصة السابعة .

ومن العجيب ان نجعل رزقنا بيد غير المدبر الحقيقي ، لنذهب الى من رزقه بيد الله ، فنتوسل بهم لتحصيل مالٍ او جاه ، مع أننا لو توجهنا به الى الله لكان اقل حياءً وأقرب اجابةً .

جاء في بعض الاحاديث القدسية : « **وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي ، لأقطعنَّ أمل كل مؤمل [من الناس] غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولأُنحينَّه من قربي ، ولابعدنَّه من فضلي ، أيؤمل غيري في الشدائد ؟ والشدائد بيدي ، ويرجو غيري ويقرع بالفكر**

---

(١) نهج البلاغة : ١٧١ خطبة ١١٤ .

(٢) وقد تقدمت رواية مفصلة عن ذلك راجع القصة السابعة .

(٣) الذاريات : ٢٢ .

باب غيري ؟! وبيدي مفاتيح الابواب ، وهي مغلقة ، وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها ؟! ومن ذا الذي رجاني لعظيمةٍ فقطعت رجاءه مني ؟! جُعِلتْ آمال عبادي عندي محفوظة ، فلم يرضـوا بحفظي ، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي ، وأمرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي ، فلم يثقوا بقولي ، ألم يعلم مَن طَرَقَتْهُ نائبة من نوائبي ، أنه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد أذني ، فمالي أراه لاهياً عنّي أعطيته بجودي ما لم يسألني ، ثم إنتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري ، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسأل فلا أجيب سائلي ؟! أبخيل انا فيبخلني عبدي ؟! أوليس الجود والكرم لي ؟! أوليس العفو والرحمة بيدي ؟! أوليس أنا محل الآمال ؟! فمن يقطعها دوني ؟

أفلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري ، فلو أنّ اهّل سماواتي واهل أرضي ، أمّلوا جميعاً ، ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرَّة ، وكيف ينقص ملك انا قيّمه ، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[1] .

ومن اثار هذا المقام هون مصائب الدنيا ، لان المفوض أمره الى الله تعالى ، تُصبح الدنيا وما فيها غير مأنوسة له ، فسواء أقبلت أم أدبرت فهو في عيشة راضية ، قد اكتفى بما قدّر الله له ، وتفرغ لعبادته سبحانه وتعالى .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها ، وأحبها بقلبه ، وباشرها بجسده ، وتفرغ لها ، فهو لا يبالي على ما اصبح من الدنيا ، على عسر ام على

---

(١) اصول الكافي ٢ : ٦٦ ، باب التفويض الى الله والتوكل عليه ح٧.

يسر»[1].

المقام الثالث: اطاعة الله

المقام الثالث الموصل الى العبودية، هو تنفيذ أوامر الله والانتهاء عن نواهيه، فان العبد لا يكون عبداً الا اذا أطاع مولاه فيما امره ونهاه، أمّا اذا عصى الله فقد وقع في الحجاب الاكبر، وادعى عزّ العبودية، وتجاسر على مقام عزّ الربوبية، وبذلك يكون قد ابتعد عن الحق المتعالي، واصبح موضع نقمته.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «***ان للطاعة اعلاماً واضحة، وسبلاً نيّرة، ومحجّة نَهْجة***[2]***، وغاية مُطَّلبة، يَردُها الاكياس، ويخالفها الانكاس، من نَكَبَ***[3] ***جارَ عن الحق وَخَبَط***[4] ***في اَلتيّه***[5]***، وغيّر الله نعمته واحل به نقمته»***[6].

وآثار هذا المقام هو حصول اوّل درجة التقى، والفوز بالوسام الالهي، قال تعالى: ﴿ ***تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في***

(١) اصول الكافي ٢: ٨٣، باب العبادة ح٣.
(٢) النهجة: الواضحة.
(٣) نكب: عدل.
(٤) خبط: مشى على غير هدى.
(٥) التيه: الضلال.
(٦) نهج البلاغة: ٣٩٠ الكتاب ٣٠.

الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1] .

فالدار الاخرة لمن لا يريد العلو في الحياة الدنيا ، ولمن عمل على ان الملك ملك لله ، والتدبير بيده ، واطاعته فيما أمره به ، وانتهى عن ما نهاه عنه تبارك الله احسن الخالقين.

آثار عز العبودية وذل العبودية :

الانسان اذا تلبس بعز العبودية ، ورأى ان لنفسه الحق في كل شئ حُرم من الوصول الى الشهود الحقيقي ، حتى لو كان طالباً لرؤية الله .

« إنك لا تحتجب عن خلقك ، الا ان تحجبهم الاعمال دونك»[2] .

مع انه «ما اخلص العبد الايمان بالله عزوجل اربعين يوماً الا زهّده الله عزوجل في الدنيا وبصّره داءها ودواءها ، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه..»[3] .

ولكن عندما نرجع الى انفسنا ، وطيلة اربعين عاماً ، نراها لا تتغير بأداء الفرائض . وما ذلك الاّ لأننا ما زلنا نعيش رؤية النفس ، وعز العبودية «الأنا» ، وفي كل يوم نلعن ابليس اكثر من مرة ، ولا أدري مَن الذي لابد ان يُلعن ، لان الدنيا وما فيها ملك له لعنة الله عليه ، ويحق ان يحارب الانسان عليها ، فاذا قام الانسان بتملك الدنيا فقد غصب حق ابليس ، وتعدّى على

---

(١) القصص : ٨٣.

(٢) من دعاء ابي حمزة الثمالي .

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٦ ، باب الاخلاص . وفي نص آخر : «من اخلص لله أربعين صباحاً ظهرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة» راجع مفاتيح الغيب : ٢٧٧ .

حقوق الاخرين، فعندها يحق لابليس ان يدافع عن نفسه، ويكون حينئذ الانسان هو الغاصب والمتعدي، فهو أحق باللّعن[1]».

ونقصد بتملك الدنيا الذي هو ملك لابليس، ذلك التملك الذي ينسي الآخرة، والاّ فاذا كان التملك من أجل الآخرة، فليس هو خارج عن حق الانسان، بل ليس ذلك تملك الدنيا، بل هو تملك لما في الاخرة، وأخذ من الدنيا للآخرة كما تقدم عن الامام الصادق عليه السلام.

وعلى كل حال، إبليس عبد الله ستة آلاف سنة، لا أربعين عاماً! ولا يُعلم أهي من سني الارض ام السماء، ولكنه طيلة هذه العبادة لم يتخلّ عن الأنا والانانية، حتى أدّى به الحال الى الوقوف في قبال الحق المتعالي، لان الذي يرى عز العبودية ورؤية النفس، يرى ذل الربوبية والعياذ بالله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

فقال لعائن الله والخلق أجمعين عليه: «أنا خير منه ..»[2].

وفي المقابل من تلبس بذل العبودية، واستقام على عز الربوبية، فانه يصل الى القرب الحقيقي والشهود الواقعي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عزوجل: «***لا يزال العبد يتنفّل لي حتى أحبه، ومتى أحببته كنت له سمعاً وبصرا ويدا ومؤيدا، ان دعاني اجبته، وان سألني اعطيته***»[3].

---

(١) وهذا المضمون مأخوذ من رواية تحكي قصة عبد مع إبليس في حوار شجي مع أحد الانبياء الا أني لم أجد نص هذه الرواية عند التبييض فأدرجت المضمون، وجل من لا ينسى.

(٢) ص: ٧٦.

(٣) توحيد الصدوق: ٤٠٠.

يصبح قلبه بيت الله ، يتصرف به كما يشاء ، كتصرف صاحب الدار في داره[1] .

ومن هنا يتضح الفرق بين الربوبية والعبودية ، واستحالة اجتماعهما «لان الدنيا والاخرة متقابلان» وحب الله وحب النفس لا يتحدان في قلب واحد ، فاما ان يتجه الانسان للاخرة وحب الله وينخلع عن الدنيا وحب النفس ، واما ان يتجه الانسان الى الدنيا وحب النفس ، فيحرم من الاخرة ولقاء الله وبذلك يكون قد خسر الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران المبين.

اسلوب الامام الرضا عليه السلام في الدعوة :

بعد الفراغ عن عصمة أهل بيت النبوة عليهم السلام ، لا يبقى مجال للريب في تصرفات[2] الامام الرضا عليه السلام ، فلابد من حمل قبوله لولاية العهد على المحامل المناسبة والمشروعة ، ان لم نقل انه هو الذي

---

(١) مضمون رواية راجع مفاتيح الغيب : ١٩١ .

(٢) ومن راجع تاريخ امامنا الرضا عليه السلام أدرك ان جميع تصرفاته عليه السلام متناسبة مع الظروف المحيطة ، حتى وصفه عبدالله بن المبارك بقوله :

هذا علي والهدى يقوده　　　من خير فتيان قريش عوده

المناقب ٤ : ٣٦٢ .

وقال في النجوم الزاهرة ٢ : ٧٤ ، «سيد بني هاشم في زمانه وأجلهم ، وكان المأمون يعظمه ويجله ويخضع له ويتفانى فيه» .

ويصفه الجاحظ في آثاره : ٢٣٥ بانه ، «عالم ، زاهد ، ناسك ، شجاع ، جواد ، طاهر ، زاك» .

يحدد المشروعية، ونحاول في هذه العجالة استعراض اهم النقاط المثارة حول هذا الموضوع راجين من المولى التسديد:

قد يتصور بعض المتحمسين ان الاسلوب الذي اتبعه امامنا الرضا عليه السلام، خارج عن الاسس الصحيحة والقواعد المشروعة للدعوة الى الاسلام، وان الجهاد هو الاسلوب المشروع الذي كان يتناسب مع الظروف المحيطة بالامام الرضا عليه السلام. مستشهداً ببعض الاحاديث الشريفة نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس الا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار»[1].

ومؤيداً قوله بكثير من آيات الجهاد، وبقلة آيات الصلح والسلم[2].

وبعبارة اخرى يقول: ان آيات الجهاد تتنافى مع الدعوة الى الاسلام بغير طريق الجهاد، بل قد يقول ان آيات الجهاد ناسخة لتلك الاساليب السلمية.

وحل هذه المسألة لا يكون إلا باستعراض أنواع الجهاد، لنرى هل يتنافى شيء منها مع الدعوة إلى الدين بتلك الاساليب.

وهناك ثلاثة أقسام رئيسية للجهاد:

١ ـ الجهاد الدفاعي:

قال تعالى: ﴿ ***فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى***

---

(١) فروع الكافي ٥: ٢، باب فضل الجهاد.

(٢) حيث تبلغ آيات الجهاد والحرب اكثر من خمسة وثلاثين آية بينما آيات الصلح والسلم حوالي تسعة آيات.

عليكم﴾[1]. والمراد بالجهاد الدفاعي: كل قتال يفرض على المدافع من قبل الطرف المهاجم، سواء كان فرداً واحداً او دولة او عصابة.

وهذا القسم لا يتنافى مع الدعوة، لانه انما يُفرض على المعتدي الذي يحاول الاستيلاء على بعض الممتلكات، او الحريات عدواناً وبلا أيّ حق مشروع، فالى جانب الدعوة الى الاسلام بالحكمة والكلمة الحسنة، نقارع المفسدين في الارض، لمنعهم من الاعمال الضارة بالمجتمع وبانفسهم من دون شعور بذلك.

والاسلام لم يطلق العنـان في هذا القتال بل وضع له شروطاً وأسباب:

قال الصّهرشتي في إصباح الشيعة: «كيفية الجهاد: ان يقدم قبل الحرب الاعذار، والانذار، والاجتهاد في الدعاء الى الحق، وان يمسك عن الحرب بعد ذلك حتى يبدأ بها العدو، لتحقق الحجة عليه ويتقلد بذلك البغي»[2].

٢ ـ الجهاد الداخلي:

قال تعالى في محكم كتابه: ***﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتّلوا﴾***[3].

والمراد به محاربة الخارجين عن الدولة الاسلامية ـ المعارضة ـ وجواز قتالهم مما لا شك فيه.

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) الينابيع الفقهية ٩: ١٦٩.

(٣) المائدة: ٣٣.

قال ابن زهرة : «يجب جهاد مَن بغى على الامام العادل [أو على بعض المؤمنين][1] وخرج عن طاعته ، او قصد الى أخذ مال المسلم ، وما هو في حكمه من مال الذمي ، وأشهر السلاح في بر ، او بحر ، او سفر ، او حضر بلا خلاف»[2].

وقال الراوندي في فقه القرآن : «المحاربون جزاؤهم على قدر الاستحقاق ان قَتل قُتل ، وان اخذ المال وقَتل قُتل وصُلب ، هذا مذهبنا ، وهو قول ابن عباس ، وابن مجلز ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة ، والربيع ، والجبائي ، والطبري»[3].

وهذا ايضاً لا يتنافى مع الدعوة الى الدين بالكلمة الحسنة ، لانه قتال لفئة خاصة تريد افساد المجتمع .

ومع ذلك وضع له الاسلام شروطاً كما تقدم عن اصباح الشيعة . وقال الراوندي في فقه الشيعة : «لا يقاتل البغاة الا بعد دعوتهم كما فعل امير المؤمنين بالخوارج»[4].

٣ ـ الجهاد الابتدائي :

وهو ان يأمر الامام عليه السلام او نائبه بابتداء قتال الكفار وفتح الاراضي الغير اسلامية ، وهذا محرم في عصر الغيبة ـ غيبة الامام المهدي

---

(١) هذه الزيادة لابن البراج في المهذب ، راجع الينابيع ٩ : ١٠١ .

(٢) الغنية عن الينابيع الفقهية ٩ : ١٥١ .

(٣) الينابيع الفقهية ٩ : ١٣٨ .

(٤) الينابيع الفقهية ٩ : ١٣٧ .

عجل الله تعالى فرجه ـ كما هو المشهور[1] . وعليه فلا كلام من هذه الناحية .

اما في عصر الظهور المبارك لامامنا إلمفدى المنتظر عجل الله فرجه ، فايضاً لا يتنافى مع التعاليم الاسلامية الصحيحة لان الجهاد الابتدائي له شروط وقوانين لابد من مراعاتها . منها :

انذار الكفار والقاء الحجة عليهم : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ***لما وجهني رسول الله صلى الله عليه وآله الى اليمن قال : يا علي لا تقاتل احداً حتى تدعوه الى الاسلام ، وايّم الله لئن يهدي الله عزوجل على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه*** »[2] .

وقال الشيخ الطوسي في النهارية وابن ادريس في السرائر : «لا يجوز قتال احد من الكفار الا بعد دعائهم الى الاسلام»[3] .

وقال ابن البرّاج في المهذب : «من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتاله الا بعد الانذار والتعريف بما تتضمنه الدعوة»[4] .

وفصّل ذلك الامام زين العابدين عليه السلام ، عندما سئل عن كيفية الدعوة الى الدين:

«قال : تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ادعوكم الى الله عزوجل والى دينه ، وجماعه امران :

احداهما : معرفة الله عزوجل .

---

(١) باستثناء الاراضي التي كانت اسلامية كالاندلس وفلسطين .

(٢) فروع الكافي ٥ : ٣٦ ، باب الدعاء الى الاسلام قبل القتال .

(٣) الينابيع الفقهية ٩ : ١٧٧ .

(٤) الينابيع الفقهية ٩ : ٨٥ .

والاخرى : العمل برضوانه .

وان معرفة الله ان يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة والعزة ، والعلم والقدرة ، والعلو على كل شئ ، وانه النافع الضار ، القاهر لكل شئ ، الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان ما جاء به هو الحق من عند الله عزوجل ، وما سواه هو الباطل ، فإذا اجابوا الى ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»[1] .

ومنها : انه انما يتوجب قتال الكفار اذا لم يدخلوا تحت حكم الاسلام ، ولم يرضوا باحكام الذمة ، والا فهم كالمسلمين من هذه الناحية»[2] .

ومنها : سدّ الحوار الفكري والدعوة السلمية الى الاسلام باسلوب هادي بعيد عن العصبية والاكراه ، قال تعالى : ﴿ ***لا اكراه في الدين*** ﴾[3] .

وبعد هذا يتبين ان الاسلام انما يفرض الحرب في ظروف معينة وضمن ضوابط محددة ومدروسة ، والا فحقيقة الدعوة الى الاسلام هي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ومن راجع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ادرك صحة ذلك .

قال تعالى : ﴿ ***وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة***

---

(١) فروع الكافي ٥ : ٣٦ ، باب الدعاء الى الاسلام قبل القتال .

(٢) واحكام الذمة كأن يدفع اهل الكتاب الجزية ، وان لا يقتلوا ولا ياكلوا لحم الخنزير ولا الربا ولا ينكحوا الاخوات ونحو ذلك .. راجع تهذيب الاحكام ٦ : ١٥٨ ، باب شرائط اهل الذمة .

(٣) البقرة : ٢٥٦.

وجادلهم بالتي هي احسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

عود على بدء :

ومن هنا نريد ان ندخل الى عصر الامام الرضا عليه السلام ، لنرى هل كان موافقاً لتلك الاسس التي تقدمت ام لا ؟

والذي يدرس الظروف التي كان يعيش بها الامام الرضا عليه السلام يدرك صحة موقفه الشريف ، ذلك ان الامام الرضا عليه السلام وفي بداية تحركِّه ، وقبل ان تعرض عليه ولاية العهد من قبل المأمون ، كان يعمل باسلوب الدعوة الى الاسلام عبر الطرق الفكرية الهادئة ، والتي ظهرت آثارها في المدينة كما اشار عليه السلام الى ذلك في رسالته الى المأمون : «وما زادني هذا الامر الذي دخلت فيه (يقصد ولاية العهد) في النعمة عندي شيئاً ، ولقد كنت بالمدينة ، وكتابي يَنفَذ في المشرق والمغرب ، ولقد كنت اركب حماري وأمرُّ في سكك المدينة ، وما بها أعز منّي ، وما كان بها احد منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له الاّ قضيتها له»[2].

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على ان الظروف التي كانت محيطة بالامام عليه السلام لا تتناسب مع الثورة ، بل كان العمل الفكري فيها أنجح .

واستمر الامام في العمل على هذه الدعوة الفكرية الى أن أكره على

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الكافي ٨ : ١٣٢ وعيون اخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٦٧ .

قبول ولاية العهد من قبل المأمون العباسي .

تلك الولاية التي كان يهدف المأمون منها جلب العلويين واخماد ثورتهم ، وخاصة في الكوفة(١) ، وتقوية أمره بهم على خصومه من العباسيين وغيرهم(٢) .

ولم يجد أفضل من الامام الرضا عليه السلام لهذه المهمة فأخذ يتظاهر بالصلاح والايمان والتودد الى الشيعة ، حتى انه أمر الفضل بن سهل باشاعة التدين عنه(٣) ، حتى وصفه في النجوم الزاهرة بانه مبالغ في التشيع حيث قام بتفضيل الامام علي عليه السلام على بقية الخلفاء(٤) .

وزاد تقربه بالامام الرضا عليه السلام ثم عرض عليه ولاية العهد ، الاّ ان الامام عليه السلام رفض ذلك ، واستمرت المناقشة في ذلك اكثر من شهرين(٥) ، حتى وصفها ذو الرئاستين (الفضل بن سهل) بانها الخلافة الضائعة(٦) .

---

(١) ولذا نجده أرسل لهم العباس أخا الامام الرضا عليه السلام ليطلب منهم البيعة له ، راجع الكامل لابن كثير ٥ : ١٩٠ .

(٢) وليست هذه كل اهداف المأمون ، بل هناك اهداف اخرى كوضع الامام تحت المراقبة الحقيقية ودعَّم ذلك بتزويج الامام من إبنته ، وفعلاً نجح المأمون بذلك فكانت كل الاخبار تصله [راجع البحار ٤٩ : ١٣٩ و٢٩٠] . ومن اهدافه عزل الامام عن الناس واشغاله بأمور الحكم وتوهينه امام الناس الا ان الامام عليه السلام فهم ذلك واستطاع التخلص منه كما يأتي .

(٣) راجع : الفخري في الآداب السلطانية : ٢١٢ وتاريخ الخلفاء : ٣٠٦ .

(٤) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠١ .

(٥) راجع البحار ٤٩ : ١٣٩ .

(٦) حيث قال : «واعجباً ! المأمون يفوض الخلافة الى الرضا والرضا يقول : لا طاقة لي

وعند اصرار المأمون على ذلك وتوعده بقتل الامام عليه السلام اضطر عليه السلام الى قبول الولاية على كراهية من أمره .

نعم بعد أن أصبح الامام ، ولياً للعهد ، وفي داخل المشكلة ، كان لابد ان يضع دروعاً وقائية لمخططات المأمون وأهدافه ، ليقلل من الضغوطات على شيعته وعليه ، وفعلاً استطاع الامام عليه السلام بحكمته ان يواجه بعض تلك الاهداف ، وأهم موقف إتخذه الامام هو عدم الاعتراف بشرعية الدولة الحاكمة ، ذلك الموقف الذي سجّله من خلال رفضه للولاية مدة الشهرين ، ليفهم الناس انه مكره على هذا الامر . ومن خلال حديثه في نيشابور امام مئات الالوف من الناس ، والذي كان منهم الامامان الحافظان للاحاديث النبوية : أبو زرعة ومحمد بن اسلم الطوسي ، حيث قال عليه السلام : «حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله انه قال : كلمة لا إله الا الله حصني ، فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امِن من عذابي . وتابع سيره ، ثم استوقف الناقة وأخرج وجهه الشريف من الظلة وقال : بشرطها وشروطها وانا من شروطها»[1] .

بهذه الكلمات افشل مخطط المأمون ، وأفهم الناس وباسلوب متدرج ملفت للانظار ، ان لا شرعية للدولة الحاكمة ، انما الخلافة الحقيقية لنا ، وهي شرط من شروط التوحيد .

ومن تلك الدروع ما اثبته في نص وثيقة العهد : «ان امير المؤمنين... عرف من حقنا ما جهله غيره ..» .

بذلك . فما رأيت خلافة قط أضيع منها» . راجع : الحياة السياسية للامام الرضا : ٢٧٨ .

(١) عيون اخبار الرضا ٢ : ١٤٦ .

فهذه العبارة ، وان كان ظاهرها المدح للمأمون ، الا انها تثبت ان الخلافة حق لاهل البيت عليهم السلام غصبها الخلفاء السابقون .

وفي الختام لابد ان نشير الى مسألة وهي : انّه مهما كانت ولاية العهد فانها تركت بعض الآثار الايجابية على الشيعة والتشيع ، اشار الى بعضها الامام عليه السلام بقوله : «الحمد لله الذي حفظ منّا ما ضيّع الناس ، ورفع منّا ما وضعوه ، حتى قد لُعنّا على منابر الكفر ثمانين عاماً ، وكتمت فضائلنا ، وبذلت الاموال في الكذب علينا ، والله عزوجل يأبى لنا الا ان يعلي ذكرنا ويبين فضلنا»[١] .

وبذلك يتبين ان الامام عليه السلام غيّر سياسة الحكم التي كان قد رسمها المأمون ، من دون ان يتدخل في السياسة الداخلية ، ومن دون ان ينعزل عن الناس ، ومن دون ان يخرج عن الاسس المشروعة للاسلام .

نعم . هذا كله كان على حساب حياة امامنا الرضا عليه السلام ، فعندما فشلت خطة المأمون ، رجع الى اصله الخبيث ، تاركاً التعبد والصلاح وراء ظهره ، ليغتال قطب الوجود وحجة المعبود ، تأسياً بابائه واجداده .

ولله درّ ابن أبي عبدالخوافي لقوله :

يا أرض طوس سقاك الله رحمته
ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيبها
شخص ثوى بسنا آباد مرموس

---

(١) عيون اخبار الرضا ٢ : ١٦٤ .

يا قبره انت قبر قد تضمنه

حلم وعلم وتطهير وتقديس

فافخر بأنك مغبوط بجثته

وبالملائكة الابرار محروس

أمست نجوم سماء الدين آفلة

وظل أسدالشرى قد ضمها الخيس

حتى متى يظهر الحق المنير بكم

فالحق في غيركم داج ومطموس [1]

---

(١) البحار ٤٩ : ٣١٧ وأعيان الشيعة ٢ : ٣٢ .





القصة الحادية عشرة

النور الحادي عشر

نور سيدنا ومولانا الإمام.
محمد بن علي الجواد عليه السلام

« عن محمد بن الحسن بن عمار قال : كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة ، وكنت أقمت عنده سنتين اكتب عنه ما سمع من أخيه ، يعنى أبا الحسن الكاظم عليه السلام .

اذ دخل عليه ابو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد ، مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ، ولا رداء فقبل يده وعظمه .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : يا عم اجلس رحمك الله .

فقال : يا سيدي كيف اجلس وانت قائم ، فلما رجع علي بن جعفر الى مجلسه ، جعل أصحابه

يوبخونه ويقولون : انت عم ابيه ، وانت تفعل به هذا الفعل ؟

فقال : اسكتوا ، اذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة ، وأَهلَ هذا الفتى ووضعه حيث وضعه ، أُنْكِر فضله ؟

نعوذ بالله مما تقولون ، بل أنا له عبد»[1] .

(١) اصول الكافي ١ : ٣٢٢ . باب النص على ابن جعفر الثاني عليه السلام ، ح١٢ .

وفي هذه الرواية عدة دروس وعبر نشير الى أهمها :

الميزان في اختيار الامام :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة**﴾[1] .

وقال لابراهيم عليه السلام ﴿**انّي جاعلك للناس اماما**﴾[2] .

وقال في حق موسى عليه السلام : ﴿ **وجاعلوه من المرسلين**﴾[3] .

الخلافة والولاية مقام نسام يترتب عليها صلاح الامة واستقامتها ، فلا يمكن أن تكون بيد انسان قابل للإنحراف ، تجرّه المصالح الشخصية من مكان الى مكان وتغويه الشياطين في زمان بعد زمان .

بل هي في يد الله وتحت اختياره ، يمنحها لمن يشاء ممن ارتضى وكان اهلاً لذلك ، ضمن موازين علمها عند ربي ﴿ **في كتاب لا يضل رب ولا ينسى**﴾ .

نص من الله العزيز الحكيم من الكتاب المحفوظ :

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) القصص : ٧ .

قال الامام الصادق عليه السلام : «إنّ الوصيّة نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وآله كتابا ، ولم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم الاّ الوصية ، فقال جبرائيل: يا محمد صلى الله عليه وآله هذه وصيتك في أُمتك عند اهل بيتك»[1].

أمّا تلك المقاييس التى ما أنزل الله بها من سلطان ، كإختيار الامة ، أو اختيار علمائها ، أو الشورى ، أو سعة المال[2] ، أو القرابة والصحابة[3] ، فما هى الا مقاييس فرضها البعض لمصالحه الشخصية ، او لأهوائه النفسيّة ، أو لإستغلال وضع اجتماعي ، أو سياسي .

والاّ فانّ الولاية واضحة المفهوم بيّنة المصداق ، حددّها تبارك وتعالى وبلغها نبيّه الاكرم صلى الله عليه وآله .

قال تعالى : ﴿ ***يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين*** ﴾[4].

لله دركم يا آل ياسينا
يا أنجم الحق أعلام الهدى فينا
ساء ابنُ آكلة الاكباد منقلباً
اذ جرّ حربَ ابيكم يوم صفّينا

---

(١) اصول الكافي ١ : ٢٧٩ باب ان الائمة لم يفعلوا شيئا ولا يفعلون الا بعهد من الله .

(٢) كما قال قوم طالوت : ﴿ **أنّى يكون له الملك علينا . ولم يوت سعه من المال** ﴾ ، البقرة : ٢٤٧ .

(٣) وهذا أسخف الموازين وابسطها والمثير للتعجب : قال امير المؤمنين عليه السلام : «واعجباه !! أتكون الخلافة بالصعابة والقرابة» ؟ نهج البلاغه : ٥٠٣ ، الحكمة : ١٩٠ .

(٤) المائدة : ٦٧ .

الشمس رُدّت عليه بعد ما غربت

من ذا يطيق لعين الشمس تطيّينا[1]

مهما تمسك بالاخبار طائفة

فقوله «وال من والاه» يكفينا[2]

ولعل اوّل من حاج في الولاية ـ متعنتاً ـ هو الخليفة الثاني في حوار شجي مع ابن عباس (رض) يكشف عن وضوح الخلافة مفهوماً بل مصداقا ، عندما كان عمر يسأل حضوره عن أشعر العرب ، دخل ابن عباس ، فقال عمر : لقد جاءكم ابن بجدتها ! فسأله عمر ، فقال ابن عباس ، الذى يقول :

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم   طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

لقد كان يقعد من الشمس من احد   قوم باحسابهم ومجدهم قعدوا

جن اذا فزعوا انس اذا امنوا   مرزقون بهاليل اذا قصدوا

فقال عمر : هذه للنابغة الذبياني ، فهو اشعر العرب اذن ، ثم قال :

يا ابن عباس اني لا أرى هذا المدح يليق باحد الاّ لبني هاشم ، ولكن أتعلم ما منع قومكم من اعطائكم الخلافة .؟

قال : لا .

قال عمر : كره قومكم ان تجتمع النبوة والخلافة فتجفخوا على الناس جفخاً ، وتنفخوا نفخاً ، فاختارت قريش لأنفسها فوفقت واصابت .

سم قاتل وبغض عميق ينبع من احقاد بدرية وأُحدية .

---

(١) والمراد ان الانسان لا يمكنه ستر عين الشمس اذا بزغت .

(٢) كشكول الشيخ الاجل البهائى ١ : ٢٦٥ .

فقال ابن عباس : اصلح الله الخليفة : تميط عني غضبك ؟

فقال عمر : بلى .

فقال ابن عباس : تقول كره قومكم ، أو كل شيء تكرهه قريش فهو صواب ؟

أو لم تكره قريش النبوة !؟ فما قيمة كراهة قريش .

تقول : ـ وما قولك بضارّي ـ فتجفخوا على الناس جفخاً .

إنّا قوم لا يُعرف للتكبر في أنفسنا مكانا ، تبعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وتقول : ـ غير متفكر ـ إنّ قريش اختارت .

وهل يحقّ لقريش أن تختار امراً قضى الله ورسوله به أمرا !! .

لم توفق قريش لأنها اختارت عكس ما اختار الله .

يا ابن عباس ما هذا قصدنا ، ولا هو مبلغنا» مضمون الحديث .

وحقه أن يُفحم ، وحقه أن لا يفقه معناً للولاية فما عرف من الاسلام الا إسمه ومن الدين الا رسمه ، وحق كل متعنت ان يُفحم اذا حاجج في الولاية لانّ أدلتها محكمة مبرمة ، لا تأويل فيها ، واضحة لمن أراد الطريق وقصد السبيل .

الميزان في الاحترام :

لا يخلو ميزان قيمة كل امرء إما أن يكون مادياً ، أو معنوياً ، مادياً لما يملك من مال ، أو قرابة ، أو صحبة .

ومعنوياً لما يملك من طاقات علمية ، أو أعمال صالحة ، أو أخلاق

حسنة .

ومن الناس من يتبنى الميزان الاول تأسياً بالجاهلية الاولى .

ومنهم من يتبنى الثاني تمشياً مع فطرته وتحكيماً لوجدانه ، وتبعاً لإسلامه قال تعالى : ﴿**وقال لهم نبيهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنّى يكون له الملك علينا ، ونحن أحقّ بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟! قال : إنّ الله إصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء**﴾[1] .

فقدّم قوم طالوت الميزان المادي وكثرة المال ، على الميزان المعنوي .

وقسم كبير من المجتمع يؤمن بهذه النظرية ، يحترم الناس بقدر ما يمتلكون من مسؤوليات أو أموال، تاركاً وراء ظهره أصحاب الثروة المعنوية .

بل بعض المجتمعات بلغت بها الحال أنها اذا أرادت أن تنمي مجتمعها وتُنْشىء به المؤسسات ، فانّها أوّل ما تطرح هذا المشروع على اصحاب الوجاهة والمال ، بلا أن تدرس المشروع من الناحية العلمية أو التقنية .

فحاول الاسلام ، ومنذ بدء الدعوة ، أن يغير هذا المفهوم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بين الحين والآخر ، يعالج المشاكل الاجتماعية التى من هذا القبيل ، والتي منها ما جرى مع ثابت بن قيس عندما دخل المسجد والنّبي صلى الله عليه وآله يتحدث ، والناس ملتفة حوله الاقرب فالاقرب ، فتخطى الرقاب ظناً منه أن الناس تفسح له

---

(١) البقرة : ٢٤٧ .

المجال لوجاهته وغناه ، فوقف على رجل فقير ، فلم يقم له الرجل من موضعه .

فقال له ثابت : يا ابن فلانة أقف على راسك ولا تقوم !

فتألم النّبي صلى الله عليه وآله لذلك ، واستبقاهما بعد انتهاء المجلس ، وقال مخاطباً ثابت :

يا ثابت أترى الجالسين ؟ إنك لا تفضل عليهم الا بالتقوى ، والله لئن عدت الى مثل ذلك لا وجعت ظهرك ! فاعتذر ثابت وعرض نصف أمواله على الفقير الاّ أنّ الفقير رفض مخافة أن يدخله ما دخل ثابت قائلاً :

إنّ لي خلقاً أعتز به»[1] .

إن الاسلام يركز على قاعدة ﴿ *إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم* ﴾[2] .

وأن « العلماء ورثة الانبياء» .

وما هذا التركيز الاّ لخدمة المجتمع وتكامله تكاملاً طبيعياً .

فالمجتمع الذي يريد أن يترقى الى الانسانية ، والذى يريد أن يتكامل مع بني جنسه ، ما عليه الا تقدير الطاقات العلمية ، لكي لا تنعزل جانباً ، أولكي تبقى تخدم المجتمع خدمة نابعة من موقع المسؤولية ، لا خدمة قائمة على التعامل المادي المتبادل ـ على أساس أن من يؤمن لي مصالحي أُؤمن له مصالحه ـ وقد رأينا الكثير من اصحاب الطاقات العلمية قد انعزلوا جانباً ، أو بدلوا مهنهم الى مهن مادية محضة، جرّاء ما لقوه من التعامل الجاف ، وعدم التقدير لعلمهم .

---

(١) مضمون الرواية .

(٢) الحجرات : ١٣ .

فعلى كل صاحب مسؤولية ، وعلى كل صاحب ضمير حي ، أن يقوم باحترام وتقدير اصحاب الطاقات المعنوية والعلمية ، لكي نبني مجتمعاً ذا بنية علمية قوية .

وليس هذا يعني هدراً للطاقات المادية والمالية ، بل ما نقصده تقديم العلمية عليها ، أو لا أقل التوازن بين الطبقتين ، لانّ احداهما ليست كفيلة بنجاح المجتمع ورقيه .

والوجه في تقديم الامور المعنوية على المادية عدة امور :

١ ـ أن العلم من الفضائل النفسانية والكمالات الحقيقية ، امّا المال فهو من الفضائل الجسمانية والمادية .

٢ ـ أن الفضائل الجسمانية مسخّرة للفضائل المعنوية النفسية ، كالمال فانه يبذل من أجل تحصيل العلم ، والعمل الصالح ، والاخلاق الحسنة ، دون العكس ، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال »[1] .

٣ـ ان الامور المادية سريعة الزوال والفناء ، فما أسرع فناء الدنيا وما فيها :

ستنقطع اللُذَاذَة عن اناس ... من الدنيا وتنقطع الهموم
سهوت عن الفناء وانت تفنى ... فما شيء من الدنيا يدوم[2] .

أما الفضائل النفسيّة والمعنوية فلا سبيل للفناء اليها ، قال تعالى :

---

(١) نهج البلاغة الحكمة : ١٤٧ : ٤٩٦ .

(٢) ابيات منسوبة لامير المؤمنين عليه السلام ، مجاني الادب في حدائق العرب ٣ : ٢٥ .

﴿ *والعمل الصالح يرفعه*﴾[1] ، وقال عز اسمه : ﴿ *والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير املا*﴾[2] .

وقال امير المؤمنين عليه السلام :.

« هلك خزّان الاموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وامثالهم في القلوب موجودة»[3] .

هل الدنيا وما فيها جميعاً
سوى ضل يزول مع النهار
تفكر أين أصحاب السرايا
وارباب الصوافن والعشار[4]
كأن لم يُخلقوا أو لم يكونوا
وهل حي يصان عن البوار
أفي السبخات يا مغبون تبنى
وما يُبقي السباخ[5] على الاساس[6]

٤ ـ إن الفضائل النفسانيّة أضبط الاشياء ، وأنفعها لحفظ المصالح الاجتماعية والسياسية ، الفردية منها ام الجماعية ، قال امير المؤمنين عليه السلام :

---

(١) فاطر : ١٠ .

(٢) الكهف : ٤٦ .

(٣) نهج البلاغة : ٤٩٦ ، الحكمة : ١٤٧ .

(٤) الصوافن والعشار : الفرس والابل .

(٥) السباخ من الارض : ما لم يحرث ، ولا يُعَمَّرُ .

(٦) كشكول الشيخ البهائي ٣ : ١٣ .

«معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه»[1] .

وشواهد ذلك كثيرة في مختلف المجتمعات ، فانظر الى الدول التي تحكمها الفضائل النفسية والطاقات العلمية ، تجدها في تقدم دائم ونمو زاهر . اما المجتمعات التي تحكمها الطاقات المادية والمالية فهى في نقصان دائم .

وكذلك اذا جئنا الى العوائل التى يحكمها صاحبها بالعلم والاخلاق والتربية الحسنة ، فانها تنتج افرادا مصلحين ، بينما تلك العوائل التي تتحكم بها العصبية والمال تنتج افرادا فاسدين مفسدين لمجتمعهم . ومن هنا تبرز اهمية التربية عن علم لبناء الفرد فالعائلة فالمجتمع .

قال امير المؤمنين عليه السلام :

«ليتأس صغيركم بكبيركم ، وليرأف كبيركم بصغيركم ، ولا تكونوا كحجفاة الجاهلة لا في الدين يتفقهون ، ولا عن الله يعقلون ، كَقَيْضِ بَيْضٍ في أداحٍ[2] يكون كَسْرها وِزْراً ويُخرج حِضَانها شراً»[3] .

٥ـ ان العلم كمال حقيقي حاصل لذات الانسان ، ولا يمكن سلبه عنه لانه نور يقذف في الصدور لينير الدروب امام السائرين ، أما المال فانه إن لم يرجع الى الفضائل النفسية[4] ، فانه ظلامٌ يُظلم القلوب و الدروب .

٦ ـ إن العلم كفضيلة نفسانية تزداد بالنفقة ،قال أمير المؤمنين عليه

---

(١) نهج البلاغه : ٤٩٦ ، الحكمة : ١٤٧ .

(٢) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة .

(٣) نهج البلغه (صبحى) ٢٤٠ الحكمة : ١٦٦ .

(٤) اى استعماله في خدمة العلم والدين .

السلام : «العلم يزكو على الانفاق»[1] . أما المال كفضيلة مادية فهو في نقص دائم ، قال الامام عليه السلام ايضاً «المال تنفقه النفقة»[2] اذا لم يكن في سبيل الفضائل النفسانية والربانية .

والخلاصة :

فضيلة الفضائل النفسانية جليّة وواضحة في قبال الفضائل الجسمانية الجامدة .

الناس من جهة التمثال أكفاء ابوهم آدم والأُمّ حواء
فان يكن لهمُ في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لأهل العلم إنهمُ على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىءٍ ما كان يُحسِنُهُ والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففز بعلم تعيش حياً به ابدا الناس موتى وأهل العلم أحياء[3]

حقيقة علم الامام المعصوم عليه السلام :

ونتناول في هذا البحث تحقيق ثلاثة جوانب من علم الامام عليه السلام :

١ ـ أقسام علم الامام عليه السلام .

٢ ـ كيفية علمه عليه السلام .

---

(١) نهج البلاغة : ٤٩٦ الحكمة : ١٤٧ (ط الصالح) .

(٢) نهج البلاغة : ٤٩٦ الحكمة : ١٤٧ (ط الصالح) .

(٣) مجاني الارب في حدائق العرب ٣: ١٣١ .

٣ـ سعة علمه عليه السلام.

ذلك العلم الذي يمتازون به على بقية البشر آدم فمن دونه، حتى بلغ من المدى أن يقول فيه أمير المؤمنين وسيد العالمين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«*بل إنْدَمَجْتُ على مكنون علم، لو بُحْتُ به لاضطربتم إضطراب الأَرْشِية في الطّويّ البعيدة*[1]»[2].

ويصفه الامام الصادق عليه السلام لأبي بصير بقوله: «يا أبا محمد انّ عندنا والله سّرا من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن قلبه للايمان، والله ما كلّف الله ذلك أحدا غيرنا، ولا استعبد بذلك احداً غيرنا، وانّ عندنا سرّا من سرّ الله وعلماً من علم الله أمرنا بتبليغه فبلغناه عن الله عزوجل ما أمرنا بتبليغه ... الخ»[3].

وتعتبر هذه الرواية من إحدى وجوه الجمع بين طائفتين من الروايات:

الطائفة ألاولى التي تقول: «إن حديثنا صعب مستصعب لا يعرفه ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان»[4].

والطائفة الثانية التي تقول: «انّ حديثنا صعب مستصعب لا يعرفه الاّ

---

(١) الأرشية: الحبال والطوي البئر.

(٢) نهج البلاغة: ٥٢، الخطبة: ٥.

(٣) اصول الكافي ١: ٤٠٢ باب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب ح ٥.

(٤) راجع الكافي ١: ٤٠١ والبصائر: ٢٢، باب ان حديثهم صعب مستصعب ح ١٠.

ملك مقربٌ، أو نبيٌ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان»[1].

تفصيل ذلك:

أقسام علم أهل البيت عليهم السلام:

ذلك ان هناك علمين: علم لا يعلمه احد سوى أهل البيت عليهم السلام، ولم يؤمروا بتبليغه، كما نصت عليه الرواية، والذي يتناسب مع الطائفة الاولى من الروايات.

وهذا العلم من أعلى وأشرف مراتب العلم، والذي قد يسمى بالعلم اللدني، الذى كان بعضه لدى الخضر عليه السلام: قال تعالى: ﴿***فوجدا عبدا من عبادنا، آتيناه رحمة من عندنا، وعلّمناه من لدنّا علما***﴾[2].

وهو موجود عند اهل البيت عليهم السلام بأجمعه كما تدل عليه عدة روايات.

منها:

ما قاله ابو عبدالله عليه السلام: «وربّ الكعبة وربّ البنيّة [البيت] ثلاث مرات، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولانبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام اعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون، وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة»[3].

---

(١) راجع الكافي ١: ٤٠١ ح ١ والبصائر ٢١ باب ان حديثهم صعب مستصعب ح ١.
(٢) الكهف: ٦٥.
(٣) اصول الكافي ١: ٢٦١، باب ان الائمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح ١=

أقول : قد يقال : بوجود منافاة بين ذيل الحديث وبين صدره ، لأنّه في ذيل الحديث قيل : ان العلم وراثي ، أما في صدره فقيل : بأنّه لدنّي -كما هو محل الشاهد -، والصحيح عدم وجود ذلك لما سوف نبحثه مفصلاً حول كيفية علم الائمة عليهم السلام ، فارتقب .

ومنها : ما روي في أحاديث اسم الله الاعظم : قال ابو عبدالله عليه السلام : انّ عيسى بن مريم اعطي حرفين وكان يعمل بهما ، واعطي موسى بن عمران اربعة احرف ، واعطي ابراهيم ثمانية أحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، واعطي آدم خمسة وعشرون حرفا ، وإنّه جمع الله ذلك لمحمد واهل بيته صلوات الله عليهم ، وإنّ اسم الله الاعظم ثلاثة وسبعون حرفا ، أعْطى الله محمداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً ، وحَجب عنه حرفاً واحدا»[1] .

وهذا العلم لم يُؤمر أهل البيت عليهم السلام بتبليغه ، لعدم وجود من يتحمله كما تقدم في بعض الروايات .

نعم وجدت رواية تشير الى أن الامام الحسين عليه السلام فَتَح من باب هذا العلم شيئا لاصحابه ، وهذا يكشف عن مدى قوة ايمان اصحاب الامام عليه السلام ، واليك نص الرواية :

قال ابو بصير : قلت لابي عبدالله عليه السلام : من اين اصاب اصحاب عليّ ما اصابهم مع علمهم بمناياهم وبلاياهم ؟

قال : فأجابني -شبه المغضب -: ممّن ذلك الا منهم ؟!

=والبصائر : ١٢٩ ، باب انهم اعطوا علم ما مضى .

(١) البصائر : ٢٠٨ باب ان الائمة اعطوا الاسم الاعظم ح ٢ .

قلت : ما يمنعك جعلت فداك[1] ؟

قال عليه السلام : ذلك باب اغلق الاّ انّ الحسين بن علي صلوات الله عليهما فتح منه شيئاً يسيراً .

ثم قال : يا أبا محمد ، ان اولئك كانت على افواههم أوكية»[2] .

ويؤيد ذلك ما رواه إبن عمارة عن أبيه عن ابي عبدالله عليه السلام : قال قلت له : اخبرني عن اصحاب الحسين عليه السلام ، واقدامهم على الموت ؟

فقال عليه السلام : انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة ، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر الى حوراء يعانقها ، والى مكانه من الجنة»[3] .

وعلم أُمِرَ اهل البيت عليهم السلام بتبليغه للناس ، كما اشارات الى ذلك الرواية المتقدمة[4] .

وهو يتناسب مع الطائفة الثانية للروايات .

وهذا العلم على قسمين :

أ ـ قسم أُمِرَ أهل البيت عليهم السلام أن يبلغوه لجميع الناس ، وهو

---

(١) اى ما يمنعك من التصريح الى بذلك والتفصيل ، الا أن الامام أجمل له وما ذلك الا لعدم وجود اوكية على لسان اصحاب اهل البيت كما روى ابو جعفر فى نفس املصدر : «لو كان لألسنتكم اوكية لحدثت كل امرىء بما له وما عليه» .

(٢) اصول الكافي ١ : ٢٦٤ باب ان الائمة لو ستر عليهم لاخبروا كل امرىء بما له وعليه ح١ أو ٢ .

(٣) علل الشرائع ١ : ٢١٨ باب ١٦٢ ح ١ .

(٤) في اول البعث .

هذه العلوم المنتشرة لدى عامة شيعة أهل البيت عليهم السلام .

ب ـ وقسم أُمِرَ اهل البيت عليهم السلام أن يبلغوه لبعض الناس وهو العلم الذى لا يقدر عليه عامة الناس ، بل لابدّ أن يكون الحامل مؤمناً إمتحن الله قلبه للايمان ، والمتتبع لأحاديث اهل البيت عليهم السلام يدرك معنى ذلك ، وكيف أن الامام عليه السلام يعطي جوابين على سؤال واحد ، وما ذلك الاّ لإختلاف عقول وايمان الناس ، وقدرتهم على تحمل العلوم .

ومن ذلك : ما جرى مع أمير المؤمنين عليه السلام عند ما سُئل عن وجه الله فأجاب : «أنا وجه الله»[1] .

بينما نجده عليه السلام أجاب بعض الناس بغير هذا الجواب إذْ عندما سألوه قال عليه السلام : أوقدوا لي ناراً ، فلمّا اوقدوها ، قال لهم قولوا لي أين وجه النار ؟ فقالوا كل النار وجه النار !

فقال عليه السلام كل شيء وجه الله ! .

ومنها : ما جرى مع ابي عبدالله عليه السلام عندما قال : «إني لأعلم ما في السموات ، وما في الارض ، وأعلم ما في الجنّة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون .

قال : ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كَبُرَ على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله ، ان الله عزوجل يقول :

﴿*فيه تبيان كل شيء*﴾[2] .

---

(١) راجع البصائر ص ٦١ باب ان الائمة حجه الله وباب الله وولاة امره .

(٢) اصول الكافي ١ : ٢٦١ والبصائر : ١٢٨ ، باب في علم الأئمة عليهم السلام بما في السماوات والارض .

وفي رواية أخرى عن حمّاد اللّحام عند ما قال ذلك الامام قال حمّاد فبهّتُ أنظر اليه ، فقال عليه السلام : يا حماد ، ان ذلك من كتاب الله ، ثلاث مرات»[1].

فيتضح من مثل هذه الروايات أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يلاحظون المستوى الموجود عند المخاطبين فيعطوهم على حسب مراتبهم[2].

عود على بدء :

كنّا في صدد الجمع بين طائفتين من الروايات ، طائفة تنفي امكان معرفة أحاديث أهل البيت عليهم السلام لكل شخص حتى النبيّ المرسل ، وطائفة اخرى تثبت المعرفة للنبي المرسل ، والمؤمن الممتحن ، والملك المقرب .

وخلصنا الى القول بأنّ وجه الجمع هو حَمْل الطائفة الاولى النافية ، على العلوم التي لا يقدر على فهمها الناس ، وحمل الطائفة الثانية على

---

(١) البصائر : ١٢٨ . باب علم الائمة عليهم السلام بما في الموات والارض .

(٢) قد يقال فى الرواية الاخيرة وكأن الامام لم يعرف مستوى المخاطب حتى عدل عن كلامه الاول ، الا ان هذا صحيح ، ولكن فعل الامام هذا لا يكشف عن عدم صحة ما قلناه ، بل لابد أن نفسر سبب فعل الامام ولعله كان في الحاضرين من هو في مستوى الكلام الاول وكان فيهم من هو في المستوى الاقل من ذلك ، فجمع الامام بينهما فكل منهم يأخذ ضالّته . او يقال سبب ذلك الاشارة الى اقسام العلم الذى نحن بصددِ الكلام عنه فلاحظ .

العلوم التي يمكن للناس معرفتها أو احتمالها .

الاّ أنّ هناك وجوهاً اخرى تخطر على البال القاصر لا بأس بذكرها :

الوجه الاول : ان تحمل الطائفة الاولى [لا يحتمله نبيّ مرسل] على عدم الايمان به إيماناً حقيقياً ، او على عدم الإعتقاد به .

وتحمل الطائفة الثانية [لا يحتمله الا نبيّ مرسل]على مجرد العلم به بلا ايمان ، او اعتقاد به .

ويساعد على هذا الوجه إختلافِ النفي في الروايات فبعضها يعبّر «بأنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب»(١) . وبعضها يعبّر بأنّه «صعب مستصعب لا يؤمن به نبيّ مرسل»(٢) ، ومنها ما يعبّر بانه «صعب لا يعرفه»(٣) ، ومنها ما يعبّر «بتشمئز منه القلوب»(٤) ، وفي بعض الروايات : «لا يُقرّ به»(٥) ، وفي بعضها : «لا يعمل به»(٦) ، وفي أُخرى : «لا يُصبر عليه»(٧) .

فبعد ملاحظة هذه الروايات يتبين أن النفي من أجل عدم الاقرار به وان كان قد يحتمله ، أو يعلم به بلا إقرار .

---

(١) اصول الكافي ١ : ٤٠١ باب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب ح ٣ .

(٢) المصدر السابق . والبصائر : ٤٧٨ و ٢٢ .

(٣) البصائر : ٢٧ تتمة باب ان امرهم صعب مستصعب .

(٤) البصائر : ٢٣ح ١٢ .

(٥) المصدر السابق : ٢٧ .

(٦) المصدر السابق : ٢٩ باب نادر في ان علمهم سر مستتر .

(٧) المصدر السابق .

الوجه الثاني : أن تحمل الطائفة الاولى على عدم معرفة باطن أحاديثهم ، وتحمل الطائفة الثانية على معرفة ظاهر أحاديثهم .

ويدلّ على هذا الوجه ما رواه أبان عن ابي عبدالله عليه السلام قال : «انّ امرنا هذا مستور ومقنّع بالميثاق ومن هتكه اذلّه الله»[1] .

وفي رواية آخرى : «*انّ أمرنا هو الحقّ ، وحق الحقّ ، وهو الظاهر ، وباطن الباطن ، وهو السرّ ، وسرّ السرّ ، وسرُّ المستتر ، وسرّ مقنع بالسرّ*»[2] .

اضافة الى الروايات التي تقول «انّ لحديثنا ظهراً وبطناً» وما شابه ذلك .

الوجه الثالث : أن تحمل الطائفة الأولى [لا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ] على أمْرِ آل محمد صلى الله عليه وآله ، وتحمل الطائفة الثانية على أحاديثهم عليهم السلام .

ووجه ذلك أنّ الروايات تارة تعبّر انّ أمرنا صعب مستصعب ، واخرى تعبّر أنّ حديثنا صعب مستصعب ، ونحن اذا راجعنا مضامين الروايات التي تعبّر بانّ أمرهم صعب مستصعب وجدناها تصفه بأنّه لا يطاق ولا يستطاع ذكره ، واليك بعض تلك النصوص :

فعن أبي جعفر عليه السلام قال : «***إنّ أمرنا هذا* مستور مقنّع بالميثاق من هتكه *أذلّه الله*»[3] .

---

(١) المصدر السابق ح ٣ و ٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) بصائر الدرجات : ٢٨ من باب نادر في أن علمهم عليهم السلام سرّ مستتر ح ٢ .

وفي رواية آخري : «انّ أمر آل محمد أمر جسيم مقنع لا يستطاع ذكره ، ولو قد قام قائمنا لتكلّم به وصدَّقه القرآن»[1] .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : «*انّ أمرنا هو الحق ، وحقّ الحقّ وهو الظاهر ، وباطن الباطن ، وهو السرّ ، وسرّ السرّ ، وسرّ المستترّ ، وسرّ مقنّع بالسرّ*»[2] .

امّا إذا راجعنا مضامين الروايات التي تعبّر عن علمهم عليهم السلام بانّه حديث صعب مستصعب ، فانّ نجد أكثرها يقول أنّ حديثنا صعب لا يحتمله الاّ مؤمن امتحن الله قلبه للايمان او ملك مقرب ، واليك بعضها :

فعن أبي جعفر عليه السلام قال : « حديثنا صعب مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه الاّ مُمْتَحَنٌ قلبه للايمان»[3] .

وفي رواية آخرى عنه عليه السلام قال : «انّ حديث آل محمد صعب مستصعب ، ثقيل مقنع أجرد ذكوان ، لا يحتمله الاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ، او مدينة حصينة ، فاذا قام قائمنا نطق وصدّقه القرآن»[4] .

الوجه الرابع : أن تحمل الطائفة الاولى على عدم إمكان احتمال الناس لكامل الوجوه في أحاديث اهل البيت عليهم السلام .

وتحمل الطائفة الثانية على إمكان إحتمال بعض الوجوه المحتملة

---

(١) بصائر الدرجات : ٢٨ باب أن امرهم صعب مستصعب ح ٨ .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٩ ـ ح ٤

(٣) بصائر الدرجات : ٢٩ ـ ح ٥ .

(٤) البصائر : ٢١ باب أن حديثهم صعب مستصعب ح ٣ .

من أحاديثهم .

ووجه أن في أحاديثهم وجوها لا يمكن تصورها حتى من قبل كبار العلماء «قدس الله اسرارهم» لذا عندما يتعرض العلماء والمحدثون لمثل هذه الاحاديث يقولون : وهذه نردُ علمها الى أهلها .

الوجه الخامس : أن تحمل الطائفة الأُولى على إخفاء علم آل محمد عن عامة الناس لكي لا يكفروا به لصعوبته ، او لعدم كتمه .

وتحمل الطائفة الثانية على عدم إخفائه عن بعض الناس الذين يقدرون على تحمله ، او على كتمه عن الناس .

الوجه السادس : أن تحمل الطائفة الاولى على عدم امكان كتمه في جوفه ، وتحمل الطائفة الاخرى على إظهاره الى مثله .

ويؤيد ذلك ما ورد عن أبي محمد عليه السلام في تفسير الطائفة الاولى قال عليه السلام : « انما معناه ان الملك لا يحتمله في جوفه حتى يخرجه الى ملك مثله ، ولا يحتمله نبيٌ حتى يخرجه الى نبي مثله ، ولا يحتمله مؤمن حتى يخرجه الى مؤمن مثله» وانّما معناه ان لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتى يخرجه الى غيره.»[1] . .

ومن خلال هذه الوجوه تتضح الروايات التي وردت في مراتب العلم عند أصحاب الائمة عليهم السلام ، نحو ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام « والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخا رسول الله بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق ؟!إن علم العلماء صعب مستصعب ، لا

---

(١) بحار الانوار ٢ : ١٨٤ باب ان حديثهم صعب مستصعب ح ٦ .

يحتمله الا نبيّ مرسل ، او ملك مقرب ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، فقال : وانما صار سلمان من العلماء لأنه امرء منّا اهل البيت .

فلذلك نسبته الى العلماء [إلينا]»[1] .

فانّ مثل هذه الأحاديث يمكن حملها على بعض الوجوه المتقدمة ، وأنّ ما عند سلمان علم باطني وعند ابي ذر ظاهري ، ولو اطلع ابوذر على الباطني لما تحمله ولكفر ، او لأفشاه الى الناس فقاموا بقتله .

نعم رجح السيد المرتضى «قده» أن يكون الحديث مدحاً لسلمان وابي ذر معاً وذلك بتأويله لما يناسب حالهما رضوان الله عليهما ، ولحرمة استحلال الدّم ، فقال : نحمل قوله «فقتله» اي كاد أن يقتله من شدّة الحب له لما عرف من باطنه ، كما يقال انه قد قتله حبّه[2] . ويؤيد ذلك ذيل الحديث : ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما .

أقول : ويحتمل ان يراد بالمؤاخات بينهما ، أنّه مع كون علم سلمان باطنياً وعلم أبي ذر ظاهرياً (بناء على احد وجوه الجمع المتقدمة) فانهما مأمورين بالتعامل الظاهري لأحوالهما .

البحث الثاني : علم أهل البيت عليهم السلام وكيفيته

في ماهية علم الائمة وكيفية حصوله خلاف ظاهر بين الروايات ، ويمكن تقسيمه الى ثلاثة مقامات :

المقام الاول : في ماهية هذا العلم ، وهو مردد بين ثلاثة احتمالات :

---

(١) اصول الكافي ١ : ٤٠١ باب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب .

(٢) راجع غرر الفوائد : ٤١٩ (طبعة ايران) .

الاحتمال الاول : أن يكون كسبيّاً .

الاحتمال الثاني : أن يكون لدنياً .

الاحتمال الثالث : أن يكون برزخاً بينهما ، بمعنى أنهم متى أرادوا أن يعلموا علموا .

المقام الثاني : في مصدر حلول علمهم عليهم السلام ، وهو مردد بين أربعة احتمالات :

الاحتمال الاول : أن يكون حصوله بواسطة المحدث والوحي .

الاحتمال الثاني : أن يكون حصوله بواسطة الالهام والقذف في القلوب .

الاحتمال الثالث : أن يكون حصوله بواسطة ملك اعظم من الوحي (الروح) .

الاحتمال الرابع : أن يكون حصوله بواسطة القرآن .

المقام الثالث : في كيفية حصوله ، وهو مردد بين احتمالين:

الاحتمال الاول : أن يكون تدريجياً .

الاحتمال الثاني : أن يكون دفعة واحدة .

تفصيل ذلك :

المقام الاول : ماهية علم أهل البيت عليهم السلام

وقلنا انّ فية ثلاثة احتمالات كما يستفاد من الروايات الشريفة :

الاحتمال الاول : أن يكون علم أهل البيت كسبيّاً وتحصيلياً من معلّم ، ويراد بذلك ان أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا يمتلكون ايّاً من

العلوم انّما حصّلوا ذلك بالتعلم ، إما من الله سبحانه وتعالى ، أو من الرسول صلى الله عليه وآله[1].

ويدل على هذا الاحتمال عدة روايات :

منها قول أمير المؤمنين عليه السلام : «***علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب***» او نحو ذلك من الروايات[2].

ومنها ما روي عنهم عليهم السلام في الازدياد كل ليلة جمعة او كل ساعة نحو قول الامام الصادق عليه السلام :

«ما من ليلة جمعة الاّ ولأولياء الله فيها سرور ، قلت : كيف ذلك ؟

قال اذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله ، العرش ووافى الائمة عليهم السلام ، ووافيت معهم فما أرجع الاّ بعلم مستفاد ، ولولا ذلك لنفذ ما عندي»[3].

وهذا الاحتمال لا يفسّر لنا ماهية علم كلّ الائمة عليهم السلام ، لإختلاف أعمار الائمة عند تسلمهم الامامة ، ممّا يجعل لأحدهم الأزدياد من العلم اكثر من الآخر ، مع أنّ علمهم سواء ، خاصة عند ملاحظة سنّ الامام المهدي عجل الله فرجه ، فمتى تعلم العلوم التي قضى

---

(١) وسوف ياتي تفصيل ذلك في المقام الثاني عند الكلام عن المعلّم والمحدّث لأهل البيت عليهم السلام .

(٢) والروايات في ذلك متضافرة راجع البصائر : ٣٠٩ باب فيه الكلمة التي علم رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام .

(٣) اصول الكافي ١ : ٢٥٤ ج ٣ ، والروايات في ذلك كثيرة راجع الكافي ١ باب ان الائمة يزدادون : ٢٥٢ وراجع البصائر ١٢٠ باب ما يزاد الائمة في ليلة جمعة من العلم المستفاد .

في تعلمها أمير المؤمنين عليه السلام السنوات، اضافة الى اعمار الامام الحسن والحسين عليهما السلام، فانهما على زمن رسول الله صلى الله عليه وآله كانا يعلمان علم ما كان وما يكون، مع صغر سنّهما وقلّة المدة التي قضوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

الاحتمال الثاني: أنّ يكون علم الائمة عليهم السلام لدنيّاً كائناً في صدورهم، بمعنى حضوره عندهم في كل آن آن، أرادوا أم لم يريدوا.

وادلة هذا الاحتمال سوف تأتي عند تمحيص الاحتمالات الثلاثة.

وهذا الاحتمال يفسّر ماهية علم الائمة عليهم السلام جميعاً، فكما يتناسب مع أمير المؤمنين عليه السلام، كذلك يتناسب مع الامام الحسين عليه السلام والامام المهدي عجل الله فرجه، لأنّه لا يخضع للقوانين العلمية المادية (الكسبية) بل هو نور قذف في صدور الائمة عليهم السلام من قبل الله سبحانه وتعالى.

أمّا كيفية هذا القذف فهل هو الهام، او نكت، او بواسطة الوحي، فياتي الكلام عنه في المقام الثاني ان شاء المولى تعالى.

---

(١) وهذا مبني على ان الحسن والحسين (عليهما السلام) تعلّما من رسول الله (ص) ومبني على ما ورد من انهما كانا يعلمان كلّ شيء في حياة النبي صلى الله عليه وآله نحو ما روىَ في كتاب (دلائل الامامة) باسناده عن حذيفة قال: سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول: والله ليجتمعن على قتلي طغاة بني امية، ويقدمهم عمر بن سعد، وذلك في حياة النّبي صلى الله عليه وآله، فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: لا، فقال: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: علمي علمه وعلمه علمي لأنّا نعلم الكائن قبل كينونته.» البحار ٤٤: ١٨٦.

الفرق بين العلوم الكسبية والعلوم اللدنية .

أنّ العلوم الكسبية هى علوم نظرية أو تصورية :

أمّا النظرية : فهى العلوم الحاصلة في النفس ، أو العقل من غير كسب وطلب في التحصيل المادي ، بل يكفي في حصولها مجرّد ارادة تصورها ، كتصورنا الألم واللّذة ، او كتصور الوجود والعدم ، وهي العلوم الذي قد يسميها البعض بالعلوم الحضورية .

اما التصورية : فهي العلوم المتوقف حصولها على كسب وطلب في التحصيل ، سواء كان الكسب من قبيل التدبر والتفكر ، أو التأمل والاستدلال ، أو السعي والحركة ، والعلوم الكسبية بكلا قسميها تحتاج الى واسطة لحصولها في الذهن.

أمّا العلوم اللّدنية فان كانت لغير المعصومين عليهم السلام ، فهي علوم تحصل من جرّاء مجاهدات نفسيّة بلا توسط شيء ، حتى تصبح القوى الخيالية ضعيفة فتقوى القوى العقلية ، وتشرق الأنوار الالهية في جوهر العقل فتحصل العلوم اللّدنية ، وهذا مذهب المتصوفة والعرفاء .

وهو كما ترى يحتاج الى نوع من الكسب ولذا ففي تسميته باللّدني تجوزاً ، نعم هو كسب من نوع خاص .

اما العلوم اللّدنية بالنسبة للمعصومين عليهم السلام فهي من العلوم التى تكون بلا واسطة ، ولا إرادة ، ولا رياضة ، بل تحصل في قلوبهم من عند الله عزوجل مباشرة ، إمّا قذفاً ، أو نكتاً ، على ما يأتي في المقام الثاني .

وتسمى هذه العلوم اللّدنية بالعلوم الباطنية .

والعلوم الكسبية تسمى بالعلوم الظاهرية .

الاحتمال الثالث : أن يكون علم الائمة عليهم السلام برزخاً بين العلم اللدني والعلم الكسبي ، بمعنى أنهم متى أرادوا أن يعلموا عَلِمُوا أو أُعْلِمُوا وهذا لا يحتاج الى معلم ظاهري يلقنهم العلوم بواسطة التكسب ، بل يتناسب أيضاً مع حال الائمة عليهم السلام ، فقد يكون قذفاً في القلوب ، وقد يكون نكتاً على ما يأتي . نعم يفرق عن العلم اللّدني بأنّه يحتاج الى إرادة ، فليس العلم حاضراً في كل آن آن عند صاحبه ، بل متوقف على إرادة او تصور الشخص للمعلوم .

ويدل عليه عدة روايات :

منها : ما رواه الامام الصادق عليه السلام : أن الامام عليه السلام اذا شاء ان يعلم أُعْلِمَ»[1] .

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام : أنّ الامام عليه السلام اذا شاء ان يعلم عَلِمَ»[2] .

ومنها ما رواه عمار الساباطي عنه عليه السلام قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الامام أيعلم الغيب .

قال عليه السلام : لا ولكن اذا أراد ان يعلم الشّيء علّمه الله ذلك»[3] .

امّا كيفية حصول ذلك فسوف يأتي في المقام الثاني .

---

(١) اصول الكافي ١ : ٢٥٨ . باب ان الائمة اذا شاؤوا ان يعلموا أُعلموا ح ٢ .

(٢) بصائر الدرجات : ٣١٥ باب ان الامام ان شاء انّه يعلم علم ح ٢ .

(٣) المصدر السابق ح ٤ .

تمحيص الاحتمالات :

والاحتمال الثاني والثالث أوجه من الاحتمال الاول ، لأنّهما يفسران ماهية علم الائمة عليهم السلام جميعاً ، وعندها لابدّ من تاويل روايات الاحتمال الأول ، وذلك إمّا بملاحظة ظرف الحديث أو ظرف الامام القائل له ، حيث كان أهل البيت عليهم السلام يراعون هذه المسألة خاصة مقولة أمير المؤمنين عليه السلام :

« علّمني رسول الله الف باب من العلم » فكان يهدف من وراء ذلك أنّه احق بالخلافة من غيره ، لان علمه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإمّا بملاحظة المخاطبين فلعلّ المخاطب كان لا يقدر على تحمّل اكثر من ذلك ، ويرى أن اهل البيت عليهم السلام بشر مثل الناس[١] ، وسوف يأتي توضيح ذلك في الروايات الاتية .

اما الاحتمال الثاني والثالث ، فالروايات منها ما يدلّ على الثاني ومنها ما يدلّ على الثالث ، مع تساويهم في تفسير ماهية العلم لجميع الائمة عليهم السلام .

الاّ انه يمكن ترجيح الاحتمال الثاني وذلك بملاحظة عدة روايات :

الاولى : ما رواه الحرث بن المغيرة ، قال : « قلت أخبرني عن علم عالمكم .

قال عليه السلام : وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن

---

(١) لذا في بعض الروايات كان يقول الامام : إني كأحدكم الاّ ان الله يطلعنا على بعض العلوم (مضمون الرواية) .

علي بن ابي طالب عليه السلام .

قلت : أنا نتحدث انه يقذف في قلوبهم وينكت في آذانهم ؟

قال : ذاك أو ذاك»[1] .

الثانية : ما رواه سَدير قال : «كنت أنا وابو بصير ، ويحيى البزاز ، وداود بن كثير الرّقي في مجلس أبي عبدالله عليه السلام اذ خرج الينا وهو [شبه] مغضب فلمّا أخذ مجلسه قال : يا عجباه لا قوام يزعمون أنّا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب الاّ الله ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمتُ في أيّ بيوت الّدار هي .

قال سدير : فلمّا أن قام عن مجلسه صار في منزله وأعلمت ، دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له : جعلنا الله فداك سمعناك انت تقول كذا وكذا في أمر خادمتك ، ونحن نزعم انك تعلم علماً كثيرا ، ولا ننسبك الى علم الغيب .

فقال لي عليه السلام : يا سدير الم تقرأ القرآن ؟

قلت : بلى .

قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله : ﴿ ***قال الّذي عنده علم من الكتاب انا أتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك*** ﴾[2] .

قلت : جعلت فداك قد قرأت .

قال عليه السلام : فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان عنده علم من الكتاب ؟

---

(١) بصائر الدرجات : ٣٢٦ باب ان الائمة ورثوا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله ح ٣.

(٢) النمل : ٤٠.

قلت : أخبرني أفهم .

قال عليه السلام : قدر قطرة الثلج في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟!

قلت : جعلت فداك ما أقل هذا .

فقال لي : يا سدير ما اكثر من هذا لمن ينسبه الله الى العلم الذي أُخبرك به يا سدير ، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل : ﴿ *قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب* ﴾[1] .

قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال : فمن عنده علم من الكتاب أفهم ام [من] عنده علم الكتاب ؟

قلت : بل من عنده علم الكتاب كلّه .

قال [سدير] فأومى بيده الى صدره وقال :

وعلم الكتاب والله كلّه عندنا علم الكتاب والله كلّه عندنا»[2] .

الثالثة : قول الامام الصادق عليه السلام : «وربّ هذه البنيّة وربّ هذه الكعبة ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي اعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما»[3] .

ومن خلال هذه النصوص الثلاثة يتبيّن حقيقة علم اهل البيت عليهم السلام ، وأنّه أفضل من علم الخضر عليه السلام الذي كان عِلْمُه لدنيّاً كما قال تعالى :

---

(١) الرعد : ٤٣ .

(٢) البصائر : ٢٣٠ باب في الائمة افضل من موسى والخضر عليهما السلام ح ٥ .

(٣) البصائر : ٢٣٠ ح ٣ .

﴿ *وعلّمناه من لدُنّا علما* ﴾[1] .

ويتبين أن أهل البيت عليهم السلام لا يصرحون بكلّ شيء لجميع الناس ، بل يلاحظون المخاطبين ، والمستوى العلمي ، والايماني الذي عندهم ، والاّ فعلم اهل البيت عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرّب ، او نبي مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان[2] .

كلام أهل البيت عليهم السلام يحمل على سبعين وجهاً ، ولكلّ وجه مخرج[3] ، الاّ انّ القليل هم الذين يفهمون هذه الوجوه .

ولا ينبغي التشكيك بهذه الحقائق بل اذا لم يفهمها الانسان فليرد علمها الى أهلها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« اذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفون فردّوه إلينا وقفوا عنده وسلّموا حتى يتبيّن لكم الحقّ ، ولا تكونوا مذاييع عجلي »[4] .

المقام الثاني : مصدر علم أهل البيت عليهم السلام

والمتصور من الروايات أربع احتمالات :

الاحتمال الاول : أن يكون وصول العلم إليهم عليهم السلام بواسطة ألوحي والمحدِّث ، وتشير اليه عدة روايات :

منها : ما ذكره عبدالله بن أبي يعفور قال : قلت لأبي عبدالله عليه

---

(١) الكهف : ٦٥ .

(٢) مضمون روايه راجع اصول الكافي ١ : ٤٠١ والبصائر : ٢٢ .

(٣) مضمون روايه راجع البحار ٢ : ١٩٨ .

(٤) البحار ج ٢ : ١٨٩ .

السلام : إنّا نقول إنّ علياً ليُنْكَتُ في قلبه ، أو يُنْقَرُ في صدره وأُذنه ؟
قال عليه السلام : إنّ علياً كان محدَّثاً .
قال : فلمّا أكثرتُ عليه ، قال عليه السلام : إنّ عليّاً يوم بني قريظة وبني النضير كان جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره يحدّثانه»[1] .
ومنها : ما رواه معتب قال : توجهت مع أبي عبدالله عليه السلام الى ضيعة له يقال لها طيبة فدخلها فصلى ركعتين فصّليت معه ، فقال : يا معتب ، إنّي صلّيت الى صنيعة له مع أبي فجر ذات يوم فجلس أبي يسبّح الله فبينما هو يسبّح ، اذ أقبل شيخ طويل جميل أبيض الراس واللحية ، فسلّم على أبي ، وشاب مقبل في أثره فجاء الى الشيخ فسلم على أبي ، وأخذ بيد الشيخ وقال : قم فانك لم تؤمر بهذا ، فلمّا ذهبا من عند أبي ، قلت يا أبت من هذا الشيخ وهذا الشاب .
فقال : اي بنيّ ، هذا والله ملك الموت وهذا جبرائيل»[2] .
نعم وردت رواية تميّز بين الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وبين الذي كان ينزل على أمير المؤمنين، أو أهل البيت عليهم السلام ، واليك نصها :
قال محمد بن مسلم : «ذكرتُ المحدِّث عند أبي عبدالله عليه السلام ، فقال : إنّه يسمع الصوت ولا يرى [الشخص] ، فقلت : أصلحك الله كيف يعلم أنّه كلام الملك ، قال عليه السلام : انّه يُعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه ملك»[3] .

---

(١) البصائر : ٣٢١ باب ان المحدث كيف صفته ح ٢ و ٧ .
(٢) البصائر : ٢٢٤ باب في ان الامام ترايا له جبرائيل وملك الموت ح ٣ .
(٣) بصائر الدرجات : ٣٢٣ باب ان المحدث كيف صفته ح ٩ واصول الكافي ١ : ٢٧١ .

وفي المقابل وردت روايات تشير الى ان أهل البيت عليهم السلام يعاينون الوحي ، فعن أبي بصير قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : «انّ منّا لمن يعاين معاينة ، وانّ منّا من يسمع بأُذنه»[1] .

ويحتمل تقديم هذه الروايات على تلك بملاحظة ما تقدم من انّ اهل البيت عليهم السلام لا يصرحون بالشيء الصعب والمستصعب لكل أحد، خاصة بملاحظة أن الراوي لهذه ابو بصير.

وهذا الاحتمال يتناسب مع الاحتمال الاول والثالث من المقام الاول ولا يتناسب مع الاحتمال الثاني منه كما هو واضح .

الاحتمال الثاني : أن يكون وصول العلم اليهم عليهم السلام بواسطة الالهام والقذف في القلوب ، ويدلّ عليه عدة روايات :

منها : ما رواه علي بن يقطين قال : قلت لابي الحسن عليه السلام علم عالمكم استماع او إلهام ؟ ، قال يكون سماعاً ، ويكون الهاماً ، ويكونان معاً»[2] .

ومنها : ما روي عن ابي جعفر عليه السلام : قال : كان علياً عليه السلام يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله ، فاذا ورد عليه شيء والحادث الذي ليس في الكتاب ، ولا في السّنة ، ألهمه الله الحقّ فيه إلهاما ، وذلك والله من المعضلات»[3] .

ومنها : رواية المفضل بن عمر ، إلاّ أنّه يقسم علمهم عليهم السلام

---

(١) بصائر الدرجات ٢٣٢ باب انهم يخاطبون ويحدثون ج ٧ .

(٢) بصائر الدرجات : ٣١٧ باب ما يفعل في الامام من النكت والقذف ح ٨.

(٣) بصائر الدرجات : ٢٣٤ باب ما يلهم الامام مما ليس في الكتاب والسنة ح ١ .

الى أربعة اقسام ، والقسم الثالث يسميه بالحادث[1] ، وهو النكت في القلوب ، ويكون عبر الالهام :

قال : قلت لابي الحسن عليه السلام رويناعن ابي عبدالله عليه السلام أنه قال : انّ علمنا غابر ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقر في الاسماع ؟

فقال عليه السلام : اما الغابر فما تقدم من علمنا ، وامّا المزبور فما يأتينا[2] .

واما النكت في القلوب فإلهام ، وامّا النقر في الاسماع فأمر الملك[3]»[4] .

وهذا الاحتمال لا يتناسب مع الاحتمال الاول من المقام الاول ، لان الكسبي لا يكون إلهاماً ، نعم يتناسب مع الاحتمال الثاني والثالث منه .

الاحتمال الثالث : أن يكون وصول العلم اليهم بواسطة ملك أعظم من الوحي وهو الروح ، ويدل عليه ما رواه أبو بصير قال : سمعت ابا عبدالله يقول : «إنّ منّا لمن يعاين معاينة ، وان منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت ، وانّ منّا لمن يسمع كما يقع السلسلة كلّه يقع في الطست» .

قلت فالذين يُعَايَنُون ما هم ؟

---

(١) والرواية خالية عن ذلك وانما هو مستفاد من رواية آخرى عن ابي الحسن عليه السلام قال : «واما الحادث فقذف في القلوب» .

(٢) المزبور : المكتوب .

(٣) والملك هو خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل كما يأتي .

(٤) اصول الكافي ١ : ٢٦٤ باب جهات علوم الائمة عليهم السلام ح ٣.

قال خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل»[1].

وفي رواية اخرى : وانّ منّا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل»[2].

والمراد بهذه الصورة الروح الأمرية كما وردت الاشارة اليه في رواية أبي بصير قال : «سألت ابا عبدالله عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿***وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان***﴾.

قال عليه السلام : خلق من خلق الله أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ينجره ويسدده ، وهو مع الائمة من بعده»[3].

وهذا الاحتمال يتناسب مع الاحتمالين الاول والثالث من المقام دون الثاني منه.

الاحتمال الرابع : أن يكون وصول العلم اليهم بواسطة القرآن.

ويدل عليه ما روي عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « والله اني لأعلم ما في السموات وما في الارض ، وما في الجنّة وما في النار ، وما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة.

ثم قال : اعلمه من كتاب أنظر اليه هكذا ، ثم بسط كفيه ، ثم قال : إن الله يقول : ﴿***انّا انزلنا اليك الكتاب فيه تبيان كل شيء***﴾[4].

---

(١) البصائر : ٢٣١ باب انهم يخاطبون ح ١.

(٢) المصدر السابق ح ٤.

(٣) البصائر : ٤٥٥ باب الروح من قوله تعالى «واوحينا اليك روحاً من امرنا» ح ٢.

(٤) بصائر الدرجات : ١٢٧ ، باب في علم الائمة عليهم السلام ، بما في السموات والارض ، ح ٢.

وليس المراد وصول علم الاحكام الظاهرية المعروفة في القرآن اليهم كما يصل الى عامة الناس، بل المراد أنّهم يفتح لهم من القرآن أبواب ووجوه باطنية، والى ذلك أشار الامام الصادق عليه السلام: «والله اني لأعلم كتاب الله من أوّله الى آخره كأنّه في كفي فيه خبر السماء وخبر الارض، وخبر ماكان وخبر ما هو كائن، قال الله عز وجل: ﴿ ***فيه تبيان كل شيء*** ﴾»[1].

ويحتمل أن إرجاع علومهم الى القرآن تقية من بعض المخاطبين الذين لا يستطيعون تصور الالهام او القذف في القلوب، ويدل على هذا ما رُوِيَ عن الامام الصادق عليه السلام قال: «اني لاعلم ما في السموات واعلم ماكان وما يكون، ثم مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه، فقال عليه السلام: علمته من كتاب الله إن الله يقول: ﴿ ***فيه تبيان كل شيء*** ﴾[2].

وهذا الاحتمال يتناسب مع الاحتمال الاول والثالث من المقام الاول ولا يتناسب مع الثاني منه.

تمحيص الاحتمالات الاربعة من المقام الثاني:

ولنا الى ذلك طريقان:

الاول: ان نرجّح بناء على ما رجحناه في المقام الاول حيث قلنا ان أوجه الاحتمالات هو الثاني (اللّدني) فبناء على ذلك يكون أوجه

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٢٩.

(٢) البصائر ٥: ١٢٨.

الاحتمالات في هذا المقام هو الثاني (الالهام) لانه الوحيد الذي يتناسب مع الاحتمال الثاني من المقام السابق .

الثاني : أن نقوم بالجمع بين الاحتمالات لعدم المنافاة فيما بينها ، وذلك بان يقال : إن بعض علوم الائمة عليهم السلام تحصل بواسطة الوحي ، وبعضها بواسطة الالهام ، وبعضها بواسطة الملك ، وبعضها بواسطة القرآن .

ويؤيد هذا الجمع ـ اضافه الى ما تقدم[1] ـ المروي عن ابن ابي حمزة قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ منا لمن يُنكَت في أُذنه ، وإنّ منا لمن يؤتي في منامه ، وإنّ منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة يقع على الطست ، وان منا لمن يأتيه صورة اعظم من جبرائيل وميكائيل»[2] .

وفي بعض الروايات : «وانّ منا لمن يعاين معاينة ، وانّ منّا من ينقر في قلبه كيت وكيتّ»[3] .

وهذه الرواية وان كانت تجعل الترديد لكل واحد من الائمة عليهم السلام ، انه من الواضح أنّ علم اهل البيت عليهم السلام واحد ، فما ثبت للامام علي عليه السلام فهو ثابت للجواد عليه السلام وما ثبت للامام الباقر عليه السلام فهو ثابت للامام المهدي عجل الله فرجه . وبذلك يكون

---

(١) ونحو ما تقدم في الاحتمال الثاني من المقام الثاني في رواية علي بن يقطين وكذلك في رواية المفضل بن عمر عند ذكر الاقسام الاربعة للعلم الحادث عند أهل البيت عليهم السلام .

(٢) البصائر : ٢٣٢ باب انهم يخاطبون ويسمعون ح ٤ .

(٣) المصدر السابق ح ٧.

الترديد يرجع الى تعدد المصادر لعلم اهل البيت عليهم السلام كما ذكرنا في الجمع المتقدم.

المقام الثالث: في كيفية حصول علم اهل البيت عليهم السلام

ويوجد في هذا المقام احتمالان:

الاحتمال الاول: أن يكون علمهم حاصلاً تدريجياً يوماً بيوم، وساعة بساعة، ويدل عليه طائفة من الروايات:

منها: ما رواه ابو بصير قال: «قلت لابي جعفر عليه السلام بما يعلم عالمكم جعلت فداك؟

قال عليه السلام: يا أبا محمد إنّ عالمنا لا يعلم الغيب، ولو وكل الله عالمنا الى نفسه كان كبعضكم، ولكن يحدث اليه ساعة بعد ساعة»[1].

ومنها: ما رواه ابو عبدالله عليه السلام قال: «ما من ليلة جمعة الاّ وافى رسول الله صلى الله عنيه وآله العرش، ووافى الائمة عليهم السلام، ووافيت معهم، فما أرجع الاّ بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفذ ما عندي»[2].

الاحتمال الثاني: أن يكون علمهم حاصلاً دفعة واحدة وفي زمان واحد، ويدل على هذا الاحتمال كل ما تقدم في الاحتمال الثاني من المقام الاول، بل لا يتم الاّ به، وكذلك يدلّ عليه بعض ما تقدم في الاحتمال الثالث منه.

والاحتمال الأول لا يتناسب الاّ مع الاحتمال الأول من المقام

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٢٥ باب ما يلقي شيء بعد شيء يوما بيوم مما يحدث، ح ٢.

(٢) اصول الكافي ١: ٢٥٤ باب انهم ليزدادون كل ليلة جمعة ح ٣.

الأول .

أما الاحتمال الثاني فلا يتناسب مع الاحتمال الاول من المقام الاول بل يتناسب مع الاحتمالين الثاني والثالث منه .

وعليه فيكون الاحتمال الثاني (من هذا المقام) أوجَه من الاحتمال الاول ، وذلك لتناسبه مع الاحتمال الثاني والثالث من المقام الاول .

والخلاصة : فأوجه الاحتمالات في المقامات الثلاثة : أن علم الائمة عليهم السلام علم لدنيّ يحصل دفعة واحدة ، إما عن طريق الوحي أو ألالهام ، أو الملك ، أو القرآن .

البحث الثالث : سعة علم أهل البيت عليهم السلام

وفي مقدار سعة علم أهل البيت عليهم السلام خلاف ظاهر في الروايات ، ويمكن تصنيفها الى عدة طوائف :

١ ـ فطائفة تقول : إنّهم يعلمون ما يحتاج اليه الناس كما كان الأوصياء .

٢ ـ وطائفة تقول : إنّهم ورثوا الانبياء عليهم السلام .

٣ ـ وطائفة تقول : إنهم أعلم من اولي العزم من الرسل .

٤ ـ وطائفة تقول : إنهم يعلمون ما في السموات والارض ، وما في الجنّة والنار .

٥ ـ وطائفة تقول : إنهم يعلمون ما هو كائن ويكون ، وما مضى وبقي .

٦ ـ وطائفة تقول : إنهم يعلمون بعض المغيبات كالعلم بما في الضمائر .

٧ـ وطائفة تقول: إنهم يعلمون الغيب.

٨ـ وطائفة تقول: إنهم يعلمون كل ما تقدم في الطوائف باستثناء علم الغيب الخاص، فعندهم علم الكتاب كلّه.

وتقدم في البحث السابق جلّ الروايات التي تشير الى هذه الطوائف وسوف تقف على بعضها عند ذكر كل الاحتمالات، وقبل الخوض في ذلك لا بأس يتبين ما هو المتفق عليه وما هو المختلف فيه.

تحرير محل النزاع:

ينقسم العلم انقساماً أولياً الى قسمين رئيسين:

١ـ علم لم يطلع عليه احد سوى الله سبحانه وتعالى، استأثر به لنفسه وهو المسمىٰ بعلم الغيب [المخصوص][١]، وهو الحرف الثالث والسبعون من حروف الاسم الاعظم، والذي قد يسميه البعض باللوح المحفوظ او بأُم الكتاب[٢].

قال تعالى: ﴿ ***قل لا يعلم من في السموات والارض الغَيْبَ الا الله، وما يشعرون أيّان يبعثون*** ﴾[٣].

وقال عز اسمه:

---

(١) وهذا العلم ليس هو العلم بكل المغيبات بل ببعضها كالعلم بالساعة ونحو ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الآمن ارتضى من رسول فانّه يسلك من بين يديه ومن خَلْفِه رَصَدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم» الجن ٢٦.

(٢) راجع تقريرات السيد الخوئي للفياض ٥: ٣٣٥.

(٣) النمل: ٦٥.

﴿ ***عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً*** ﴾[1] .

٢ ـ وعلم أطلع عليه أنبياءه ورسله وأهل البيت عليهم السلام .

وقد تقدم الكلام فيه في البحثين السابقين ، وهذا العلم على عدة مراتب والتي منها ما هو علم ببعض المغيبات ، قال تعالى :

﴿ ***عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الاّ من ارتضى من رسول فانّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم*** ﴾[2] .

ومن طرق اهل البيت عليهم السلام وردت عدّة روايات تشير الى هذا المعنى :

منها : ما رواه ابو بصير عن أبي عبدالله قال عليه السلام : « انّ لله علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه الاّ هو [و] من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وانبيائه عليهم السلام ونحن نعلمه »[3] .

ومنها : ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إن اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفا ، وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس ، ثم تناول السّرير بيده ، ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين ، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفا ، وحرف استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم »[4] .

فيتبيّن أن الله استأثر بالغيب المطلق ، أو قل الغيب المخصوص ، أمّا

---

(١) الجن : ٢٦ .

(٢) الجن : ٢٦ .

(٣) راجع البصائر .

(٤) البصائر : ٢٠٨ باب ، أن الائمة عليهم السلام أُعطوا الاسم الأعظم ح ١ .

الغيب النسبي وعلم السموات وما فيهن وما تحتهن، فأطلع عليه سبحانه وتعالى عباده الأولياء».

وأمّا مقدار هذا العلم الذي إطّلع عليه اهل البيت عليهم السلام وسعته فهو ما سوف نبيّنه.

وقلنا ان الروايات على عدّة طوائف:

فطائفة اشارت الى أن العلم الذي عند أهل البيت عليهم السلام علم لما يحتاجه الناس في حياته أو مماتهم، كالعلم الذي كان عند الأوحياء، أو الأنبياء عليهم السلام.

قال الامام الصادق عليه السلام لعبد العزيز الصايغ: «اترى ان الله إسترعى داعياً على عباده واستخلف خليفة عليهم يحجب شيئا من امورهم»[1].

وفي رواية هشام قال عليه السلام: «***ويك يا هشام، لا يحتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه بحجّة لا يكون عنده كل ما يحتاجون اليه***»[2].

وروي عن الامام الرضا عليه السلام قوله: «***نحن ورثة الأنبياء ونحن ورثة أُولي العزم من الرسل***»[3].

وطائفة آخرى اشارت الى أن علمهم اكثر من علم الأوصياء والأنبياء، بل هم أعلم من اولى العزم من الرسل «صلوات الله عليهم جميعاً».

قال ابو عبدالله الصادق عليه السلام: «***إنّ الله خلق أُولي العزم من***

(١) البصائر: ١٢٢ باب ما لا يحجب من الائمة عليهم السلام شيء من الامر، ح ٢.

(٢) البصائر: ١١٩ باب انهم ورثوا اولى العزم ح ٣.

(٣) اصول الكافي ١: ٢٦٢ باب انهم يعلمون ما كان وما يكون ح ٥.

الرسل وأورثنا علمهم وفضلهم وفضّلنا عليهم في علمهم، وعَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا وعَلَّمَنا عِلْمَ الرسول صلى الله عليه وآله وعِلْمَهم»[1].

وطائفة ثالثة تقول: إنهم عليهم السلام يعلمون ما في السموات والارض، وما في الجنّة والنار:

فعن عدة من اصحابنا سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول: «***إني لأعلم ما في السموات وما في الارض، وأعلم ما في الجنّة وما في النار***»[2].

وطائفة رابعة تشير الى أنهم يعلمون علم ما مضى وما بقي وما كان وما يكون الى أن تقوم الساعة:

كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سئل علي عليه السلام عن علم النّبي صلى الله عليه وآله فقال: علم النّبي علم جميع النّبين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن الى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة»[3].

وطائفة خامسة تشير الى أنهم يعلمون بعض الغيبات كالعلم بما في الانفس والضمائر، ومن ذلك ما رواه ابي حمزة الثمالي قال: «قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام جعلت فداك الائمة يعلمون ما يضمر؟

فقال: علمت والله ما علمت الانبياء والرسل، ثم قال ازيدك.

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٢٧ باب في أمير المؤمنين واولوا العزم ايهم أعلم ح ١.

(٢) اصول الكافي ١: ٢٦١ باب ان الائمة يعلمون علم ما كان وما يكون ح ٢ وبصائر الدرجات: ١٢٨ باب علم الائمة بما في السموات والارض ح ٥.

(٣) البصائر: ١٢٨ ح ١ واصول الكافي ١: ٢٦٠.

قلت : نعم .

قال عليه السلام : ونزاد ما لم تزد الانبياء»[1] .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : «ان جويرية بن عَمْرو العبدي خاصمه رجل في فرس انثى مدعيا جميعاً الفرس ، فقال امير المؤمنين عليه السلام : ألواحِدُ منكما البيّنة ؟

فقالا : لا .

فقال لجويرية : أعطه الفرس .

فقال له : يا أمير المؤمنين بلا بيّنة ؟!

فقال له : والله لانا أعلم بك منك بنفسك أتنسى صنيعك بالجاهلية الجهلاء ، فأخبره بذلك»[2] .

والطائفة الاخيرة التي تقول ان أهل البيت عليهم السلام عندهم علم الكتاب كلّه الجامع لكل ما حوته الطوائف السابقة ، وسوف تقف على رواياته وأنه افضلها .

تمحيص الطوائف :

واذا جئنا الى الترجيح في هذه الروايات أو بقية الروايات الموجودة في أبواب المصادر التي ذكرناها ـ وبعد الغض عن أسانيدها ـ نجد أن بعض تلك الروايات صطدرت عنهم عليهم السلام لمناسبات ما ، او لظروف معينة ، وبعضها صدر لرد بعض الشبهات ، ومنها ما صدر للتقية

---

(١) البصائر : ٢٤٢ باب ان الائمة يعرفون الاخبار وحديث النفس ح ٢٧ .

(٢) البصائر : ٢٤٧ باب في الائمة انهم يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرهم ح ١١ .

حيثُ لم يكونوا ليصرحوا بكل علومهم لعامة الناس كما تقدم توضيحه .

ويتضح جلياً ما نقوله بعد ملاحظة هذه الرواية :

روى سدير قال : كنت انا وابو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير الرّقي في مجلس ابي عبدالله عليه السلام اذ خرج الينا وهو [شبه] مغضب فلمّا أخذ مجلسه قال : « يا عجباه لأقوام يزعمون انّا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب الاّ الله ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانه فهربت منّي ، فما علمت في أيّ بيوت الدار هي .

قال سدير : فلما قام من مجلسه صار في منزله ، وأُعلمتُ دخلت انا وأبو بصير ومُيسر وقلنا له :

جعلنا الله فداك سمعناك انت تقول كذا وكذا ...

قال : يا سَدير ، الم تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى .

قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله : ﴿ ***قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل ان يرتدّ اليك طرفك*** ﴾ (الى ان قال عليه السلام) فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل : ﴿ ***قل كفى بالله شهيرا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب*** ﴾ ؟

قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال : ومن عنده علم من الكتاب أفْهَم ام [من] عنده علم الكتاب ؟

قلت : بل من عنده علم الكتاب كلّه .

قال : فأومى بيده الى صدره وقال : « وعلم الكتاب والله كلّه عندنا ، علم الكتاب والله كلّه عندنا »(١) .

وبذلك يتبين أن أهل البيت عليهم السلام عندهم علم الكتاب كلّه

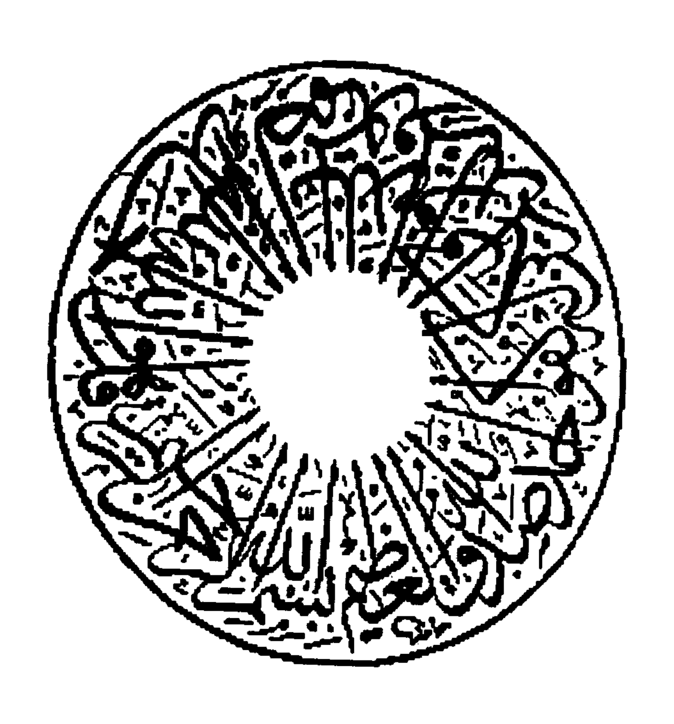
---

(١) البصائر : ٢٣٠ باب ان الائمة افضل من موسى والخضر وتقدمت الرواية بكاملها .

الحاوي لجميع العلوم ، سواء منها علم السموات والارض ، أم علم الكائن قبل كينونته ، ام علم الجنة والنار وما فيهم ، أم علم بعض المغيبات باستثناء ما استأثر به لنفسه سبحانه وتعالى في غيبة المخصوص[1] .

فالاحتمال الاخير هو أوجه الاحتمالات ، أما بالنسبة للطوائف الاخرى فبما انها لم تنف هذا الاحتمال ، وانما اقتصرت على ما يقدر على تحمله المخاطب ـ بناء على صحة ما ذكرناه ، فانّ ذلك يدل على انّ الطائفة الاخيرة هى المتعينة من بين الطوائف المذكورة .

(١) بل حتى الامور التي تكشف عن المساوىء عند الناس كانوا يعلموها لمصلحة ما فروي أن الامام يقوم باخبار احد الاشخاص بزناه بالجارية الفلانية ، راجع البصائر : ٢٤٤ باب انهم ينجرون شيعتهم بافعالهم ج ٥ .




القصة الثانية عشرة

النور الثاني عشر

نور سيدنا ومولانا أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام

روي عن صالح بن سعيد أنه قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام . فقلت: جعلت فداك في كل الامور ارادوا إطفاء نورك والتقصر بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك.

فقال عليه السلام: ههنا أنت يا ابن سعيد ؟!!

ثم أومأ بيده فقال: أُنظر، فنظرت فإذا بروضات آنقات، وروضات ناضرات، فيهن خيرات عطرات، وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار، وظباء، وانهار تفور، فحار بصري والتمع، وحَسِرَتْ عيني.

فقال عليه السلام: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك»[1].

(١) بصائر الدرجات: ٤٠٦ باب ان الائمة يسيرون في الارض من شاؤا من اصحابهم ح٧ واصول الكافي ١: ٤٩٨ واعلام الورى: ٣٤٨.

الأماكن الحقيقة لأهل البيت عليهم السلام :

اذا نظرنا نظرة سريعة الى تاريخ اهل البيت عليهم السلام ، ووقفنا على طريقة التعامل بينهم وبين شيعتهم ومحبيهم ، لأدركنا أنّ القليل ـ ان لم يكن النادر ـ هم الذين عاينوا او عرفوا مكانة الائمة الحقيقي ، وكلٌّ بحسب درجته[1] ، بل حتى اولائك القلة ما كانوا ليقفوا على مكانتهم لولا كَشْف الائمة عليهم السلام عن ابصارهم المادية وغشاواتهم القلبية .

فماكان الصحابة والمحبّون لرسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام ليتعاملوا معاملة نابعة عن فهم حقيقي وباطني لأهل البيت عليهم السلام ، بل اكثر معاملاتهم كانت عن فهم سطحي لهذه الانوار

---

(١) فبعض اصحاب الائمة عليهم السلام كان يعاين اللذات المادية التي يعيشون فيها كما حصل مع ابن سعيد ، وبعضهم كانت بصيرته أقوى فعاين بعض المسائل المعنوية ، كما حصل مع أبي بصير والامام الباقر كما تقدم في القصة السابعة ، وبعضهم عاين اكثر من ذلك لقوة إيمانه واخلاصه لإمام عصره ، كما حصل مع اصحاب الامام الحسين عليه السلام ، وتقدم منّا الحديث عن كشف الغطاء عن ابصارهم في القصة السابقة . ولعلّها اقوى الكشوفات في هذا المجال من أصحابهم عليهم السلام .

الالهية ، وكثيرا ما صرّح الائمة عليهم السلام بذلك ، ومنها ما قاله الامام الهادي عليه السلام لابن سعيد :

ههنا انت يا ابن سعيد ؟! هذه هى عقيدك بنا ؟!

ومنها ما قاله الامام الصادق عليه السلام لاحد الموالين الذين دخلهم الشك من جرّاء مشي الامام مع المنصور : «لو رايت من كان حولي وبين يديّ ، ومن خَلْفي ، وعن يميني ، وعن شمالي من الملائكة لاحتقرته واحتقرت ما هو فيه .

فقال : الان سكن قلبي»[1] .

ومنها ما جرى مع الامام الباقر عليه السلام وابي بصير[2] . الامام يقول ما اكثر الضجيج وأقلّ الحجيج ، وابو بصير يقول ما أقل الضجيج واكثر الحجيج !!

فرق جلي بين المقولتين ، مقولة باطنية هادفة ، ومقولة ظاهرية سطحية ، ولم يدرك ابو بصير مقولة الامام عليه السلام الاّ بعد ان كشف عن بصره ليعاين الناس بين قردة وخنازير ، وبين كواكب لامعة الاّ انها قليلة[3] .

هذه هى مكانة اهل البيت عليهم السلام الحقيقية التي جهلها الكثير

---

(١) راجع فروع الكافي : ٨ : ٤١ .

(٢) نعم هناك فرق بين ابن سعيد وابي بصير وغيرهما فدرجة ابي بصير كانت تفوق درجة غيره لانه اولاً لم يدخله الشك ، وثانياً ما نريده من ذكر قصة أبي بصير هو الفرق بين نظرة الائمة عليهم السلام الواقعية ونظرة الناس الظاهرية التي ماكانوا ليعرفوا بها مكانة الائمة عليهم السلام . والاّ فابو بصير من خيرة الاولياء الذين قضوا حياتهم في خدمة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام لنشر دين الله عز وجل .

(٣) تقدمت القصة عن المناقب ب ٤ : ١٨٤ . راجع القصة السابعة .

فكانوا صلوات الله عليهم اجمعين يعيشون مع وقائع الاحداث ، وحقائق الاشياء ، فرسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى جبرائيل عليه السلام ويسمع كلامه ، اما بقية الناس فكانوا عنه في صَمَم وعمى ، وأمير المؤمنين عليه السلام كان يرى ارواح الاموات ويخاطبهم في قبورهم في وادي السلام والناس عنهم في غفلة[1] .

ابن سعيد كان يرى الامام الهادي في خان الصعاليك .

بينما الامام عليه السلام شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لوسها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه[2] .

الامام الهادي يعيش في الجنان ، وقرب جوار الله ، وابن سعيد بنظره القاصر يراه في السجن المظلم .

﴿ *فاراه الله الاية الكبرى* ﴾ فوجد الامام في الجنان الواسعة ونعيمها ، ولم يكن الامام في تلك الجنان لا ظاهراً ولا واقعاً ، بل كان فيما لا عين رات ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولكن ابن سعيد لم يكن مؤهلاً لرؤية اكثر من ذلك .

لقد أراه الله اللذات المادية التي يتحملها ويفهمها ابن سعيد ، اما اللذات المعنوية والقرب المطلق من مطلق الوجود فأغمض عنه الامام عليه السلام طرفاً ، وهذه مسألة جليّة عند من تتبع مسألتين في تاريخ الحجج الالهية :

١ ـ حال الشخص المخاطب وقدرته على تحمل المسائل الغيبية .

٢ ـ الاكتفاء بالقدر اللازم والكافي لهداية الشخص .

---

(١) راجع فروع الكافي ٣ : ٢٦٣ .

(٢) مضمون رواية عن منصباح الشريعة . المنسوب الى الامام الصادق عليه السلام .

فان بعض الاشخاص حاله تتناسب مع رؤية اللذات المعنوية كما حصل مع أبي بصير ، وبعضهم يناسبه اللذات المادية كابن سعيد ، ولو تعدّ الامام معه لاكثر من ذلك لكفر وما تحمله .

ومن الناس من يكفيه لا زالة الشك من قلبه مجرد إخبار الامام عليه السلام ، من دون أن يريه ايّاً من اللذات المعنوية والمادية ، كما حصل مع الامام الصادق عليه السلام والموالي الذي تقدم ذكره . وقد تقدم ما يفيد في ذلك عند الكلام عن مراتب علم الامام في القصة السابقة وكيف ان الامام علي عليه السلام أخبر البعض بأنّه هو وجه الله بينما أخبر قوم آخرين بأنّ كل شيء وجه الله فراجع .

في ذمة الصحابة والتابعين :

ومن هنا يمكن ان نقول ان شيعة أهل البيت عليهم السلام وفي مختلف العصور لم يستفيدوا من حجج الله الاستفاده المطلوبة ، لانهم كانوا يتعاملون مع ظاهر الائمة عليهم السلام ، وانهم بشر مثلهم ، فكانت كل أسئلتهم ناتجة عن تلك المعاملة الظاهرية المستتبعة للفهم والمعرفة الظاهرية السطحية .

ويتضح ذلك جليّاً عند مراجعة بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام عندما كان يخاطب الناس ويقول : سلوني قبل ان تفقدوني فو الذي نفسي بيده إني بطُرُق السماء أعْرَفُ مني بطرق الارض ـ لو شئت أنّ أجعل من هذا الماء نوراً لجعلت ـ انّ هـٰهنا علماً جمّا (ويشير الى صدره) ولكن أين حملته ؟!

الى غير ذلك من الكلمات التي صدرت من صدر باب العلم الا انها لم تلق جواباً ، الى غير ذلك من العلوم التي حرمنا منها ودفنت في صدور اهلها .

فأية استفادة استفادوها عندما يسألون عن عدد شعر الرأس ! أو ما شابه ذلك من تلك الاسئلة السخيفة او البسيطة الكاشفة عن معرفتهم السطحية باهل البيت صلوات الله عليهم .

مع ملاحظة أن عصر أمير المؤمنين عليه السلام كان الابرز في معرفة علم الائمة لكثرة الاحاديث التى صدرت عن النبي صلى الله عليه وآله في حقه ، ولقربه من عصر النبي صلى الله عليه وآله . والذي يجعل الناس أقرب الى التصديق بما يقوله الامام المعصوم (بالنسبة للمسائل الغيبية) من العصور اللاحقة المتأخرة عن عصر النّبي صلى الله عليه وآله .

ومن هنا نعرف معنى تلك التحسرات التي صدرت من الائمة عليهم السلام ، سواء على شيعتهم او على اعدائهم ، فهم ظُلموا من شيعتهم ومن ادعائهم ، مع فرق واضح بين الظلمين ، من شيعتهم لعدم معرفتهم تلك المعرفة المطلوبة ، وعدم طاعتهم الطاعة المفترضة ، «انّ مصيتنا بالناس لعظيمة ، إن امرناهم لا يأتمرون وإن تركناهم لا يهتدون بغيرنا» .

ومن أعدائهم بالكيد الذي لَقُوهُ من السلطة الحاكمة ، ولعلّ اعظمه ما جرى لامامنا الهادي عليه السلام ، لانه كان فيه ايذاء مادي ومعنوي ، وهو ما حصل مع المتوكل عليه اللعنة ، عندما استدعاه ليلاً الى منزله وأمر الاتراك بمواهمة بيته الشريف ، والاتيان به على تلك الحالة ، فعندما دخل عليه السلام الى مجلس المتوكل عرض عليه شرب الخمر ، فتألّم الامام عليه السلام وقال : «والله ما خالط لحمي ودمي» !!

فقال المتوكل : انشدني شعراً ! فأجابه الامام عليه السلام : انّي قليل الرواية للشعر . فأصرّ المتوكل ، فانشده الامام عليه السلام شعراً أجرى الدموع من عيني المتوكل . قائلاً عليه السلام :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غُلْبُ الرجال فلم تنفعهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
وأُودعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا
اين الأسرة والتيجان والحُللُ [1]
اين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكِلَلُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءَلَهم
تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طالما اكلوا دهراً وقد شربوا
فاصبحوا بعد طول الاكل قد أُكلوا
وطالما شيّدوا دوراً لتحصنهم
ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
سَل الخليفة إذ وافَتّ منيّته
اين الجنود واين الخَيلُ والخَوَلُ
اين الكفاة ألمْ يكفوا خليفهم
لما رأوه صريعاً وهو يتبهل

(١) الأسِرّة : جمع سرير .

اين الرماة ألم تمنع بأسهمهم
لما أتتْكَ سهام الموت تنتعل
ما بال قبرك لا ينشى به احدٌ
ولا يطور به من بينهم رَجُلُ
ما بال قصرك وحشاً لا أنيس به
يغشاك من كَنَفَيْه الروع والوَهَل
ما بال ذكرك منياً ومُطَرَّحاً
وكلهم باقتسام المال قد شُغلوا
وكيف يرجو دوامَ العيش متصلاً
وروحه بحبال الموت متصلُ
وجسمه لِلُبَاناتِ الردى غرض
وَمُلكُهُ زائل عنه ومنتقلُ(١)

سبب صبر الائمة عليهم السلام على الظلم :

قد يفهم البعض ممّا تقدم انّ صبر الائمة عليهم السلام على الظلم كفارة لعقوبة إقترفوها ، او لإمتحان يراد لهم إجتيازه .

الاّ انّ ذلك يتنافى مع عصمتهم عليهم السلام ، وكونهم منزهين عن أدنى نقص وشين .

امّا سبب ذلك الصبر فيحتمل فيه ثلاثة وجوه :

الوجه الاول : ان يكون صبرهم عليهم السلام على الظلم لنيل

(١) كشكول الشيخ البهائي ٣ : ٦١ وأعيان الشيعة ٢ : ٣٨ .

الكرامة من الله تبارك وتعالى .

الوجه الثاني : أن يكون صبرهم عليهم السلام على الظلم لنيل منزلة من الله عزوجل .

الوجه الثالث : ان يكون صبرهم عليهم السلام لتعليم الناس على الصبر لانهم القدوة في هذا المجال .

والوجه الاول والثاني يستفادان من رواية وردت عن الامام الباقر عليه السلام ، يفسر بها مجمل احوال الائمة عليهم السلام واليك هي :

عن ضريس الكناسي قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : (الى ان قال)[1] فقال له حمران : جعلت فداك أرايت ما كان من أمر علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام ، وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره ، وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم ، والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : يا حمران ان الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم ، وقضاه وأمضاه ، وحتّمه على سبيل الاختيار[2] ، ثمّ أجراه فبتقدّم علم اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وبعلم صَمْتِ من صَمَتْ منّا ، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزوجل ، واظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزوجل ان يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في الطلب : إزالة ملك الطواغيت ، وذهاب ملكهم ، أسرع من سلك منظوم إنقطع فتبدّد ، وما كان

---

(١) والحديث طويل ذكر في بدايته الامام عليه السلام انهم يعلمون أخبار السماوات والارض ومواد العلم .

(٢) في بعض النسخ : الاختبار ونسخه البصائر خالية عن اصل الكلمة .

ذلك الّذي أصابهم يا حمران لذنب إقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله اراد ان يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم»[1].

اما الوجه الثالث: ان يكون صبرهم لتعليم الناس، لانهم القدوة التي لابدّ للناس ان تتبعها وتعمل على أساسها.

وهذه المسألة كثيرة في سيرة الائمة عليهم السلام، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يلبس الخشن، ويأكل الجشب، لكي لا يكون هناك شخص لا يقدر على مثل ذلك، والاّ فنفس لبس ذلك واكله لا يؤثر على نفسية الامام عليه السلام، وقربه من الله عزوجل، انما ذلك منه لتعليم الحكام، وولاة الامر ان يراعوا رعيتهم في المأكل والملبس والمعيشة.

وكذلك امامنا علي بن الحسين عليه السلام كان يعترف لله بالتقصير وإقتراف أكبر الذنوب، مع أنه من أهل بيت عصموا عن النقص فضلاً عن الذنب، ولكن ما ذلك الاّ لتعليم الناس على الاعتراف بذنوبهم، والخضوع لله عزوجل[2].

وبالجملة، فكثيراً ما نزّل أهل البيت عليهم السلام أنفسهم منزلة الناس، وما ذلك الا لانهم القدوة التي لابد للناس ان يسلكوا مسلكها، فاذا لم يصبروا على الظلم الذي كان محيطاً بهم، فكيف يطلبون من شيعتهم

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٦٢ باب ان الائمة يعلمون علم ما كان ويكون ح ٤ والبصائر: ١٢٤ باب ما لا يحجى عن الائمة من علم السماء، ح ١.

(٢) ويحتمل ان التذلل وذكر الذنوب في الدعاء من باب التواضع او تنزيل النفس منزلة العاصية ليكون أبلغ في التذلل لله سبحانه وتعالى، ومع ذلك ما ذكرناه ملحوظ في تصرفاتهم.

ذلك ، وهم القائلون : مَنْ نَصَّبَ نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه .

فصلوات الله عليهم لاقوا ما لاقوا من تعذيب ، وتشريد ، وقتل ، وسبي من أجلنا ، ومن أجل هدايتنا فهل حفظنا ذلك ؟!

اللذات المعنوية والمادية :

ومما يستفاد من هذه القصة ، وجود لذّات معنوية وراء اللذات المادية المحسوسة ، قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿***قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون***﴾(١) .

وروي عن نبيّنا عيسى عليه السلام انه قال :

« ***اذا رأيت التّقي مَشْغُوفاً في طلب الربّ تعالى فقد أَلْهَاه ذلك عن جميع ما سواه*** »(٢) .

وفي رواية آخرى :

قال : «أَخْبِر اي شيء أَهَاجَكَ الى العبادة والانقطاع عن الخلق ؟

فَسَكَتَ .

فقال : ذِكْرُ الموت ؟

فقال : أيّ شيء الموت(٣) .

فقال : ذِكْرُ خَوفِ القَبر ؟

فقال : أيّ شيء هذا ؟

---

(١) الانعام : ٩١.

(٢) احياء علوم الدين ٤ : ٣١٠.

(٣) بمعنى أنه ليس بشيء امام لذة مناجات الله والقرب منه سبحانه .

فقال : خَوْف النار ورَجَاء الجنّة ؟

فقال : أيّ شيء هذا ؟

فقال : ان ملكاً بيده هذا كلّه انْ أحببته أنساك جميع ذلك ، وان كان بينه وبينك معرفة كفاك جميع هذا»[1] .

ويستخلص من جميع هذه النصوص[2] ، ان هناك لذات معنوية وراء اللذة المادية ، وسوف يتضح ذلك جلياً ضمن الابحاث الاتية ان شاء اله تبارك وتعالى .

أقسام اللّذات :

تنقسم اللذات انقساماً اولياً الى قمسين:

١ ـ لذة دنيوية .	٢ ـ لذة اخروية .

واللذة الدنيوية على ثلاثة انواع :

النوع الاول : اللذّة الحسية[3] ، وهي اللّذة الحاصلة عن طريق الحواس الخمس كالتلذذ الحاصل من الطعام .

ولهذا النوع انقسامات فمنها ما هو مختص بالانسان ، كاللّذة الحاصلة من المال ونحوه ، ومنها ما هو مشترك بين الانسان وبعض جنس الحيوان ، كاللذة الحاصلة من الرئاسة والتسلط ، ومنها ما هو عام بين جميع

---

(١) المصدر السابق .

(٢) وسوف تأتي زيادة نصوص فيما يلي .

(٣) وقد يسميها البعض باللذة الخارجية .

انواع الانسان والحيوان، كاللذة الحاصلة من الطعام او النكاح، وهو أخسّ اللذات وأحقرها .

النوع الثاني : اللذّة الخيالية، وهي اللّذة الحاصلة عن طريق الخيال كتلذذ النفس بالشيء المعدوم لحبّه .

النوع الثالث : اللذّة العقلية، وهى اللّذة الحاصلة عن طريق العقل، ويسميها البعض باللذة الداخلية، كالتلذذ بالمعارف والعلوم الالهية او الانسانية[1] .

اما اللذة الاخروية فتنقسم انقساماً اولياً الى قسمين[2] :

١ ـ اللذة الحسيّة : وهى الحاصلة من الحواس الخمس أو غيرها من المسائل التي قد توجد في عالم الآخرة، ولم تكن خطرة على قلب بشر في هذه الحياة الدنيوية .

ويسميها البعض باللذة العملية، نسبة الى الاعمال التي يعملها الانسان في الحياة الدنيا[3] .

٢ ـ اللذّة العقلية : وهي الحاصلة من العقل، كالتلذذ بالقرب من الله والانس به تبارك وتعالى، ويسميها البعض باللذة العلمية نسبة الى العلم الذي حصّله الانسان في الحياة الدنيا[4] .

---

(١) لتدخل العلوم غير الالهية كالتلذذ بعلم الصرف والنحو او بالعلوم الطبيعية او ما شابه ذلك .

(٢) اما اللّذة الخيالية فلا وجود لها في عالم الاخرة لعدم وجود الخيال هناك بل كل الامور واقعية بين لذات عقلية أو حسيّة .

(٣) وسوف يأتى توضيح ذلك .

(٤) وسوف يأتي توضيح ذلك .

منشأ اللذات العقلية والحسيّة :

قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ *وحور عين كأمثال اللؤلؤ ، المكنون جزاء بما كانوا يعملون* ﴾[1] .

وقال عزّ اسمه : ﴿ *اليوم نجزي كل نفس بما كسبت* ﴾[2] .

وهذا إنْ دلّ فانما يدل على انّ منشأ اللذات الحسية في الجنة ، هو بحسب عمل الانسان في الدنيا .

وفي الجانب الآخر قال عزّ اسمه :

﴿ *يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات* ﴾[3] .

وقال تبارك وتعالى :

﴿ *نرفع درجات من نشاء وفوق كلّ ذي علم عليم* ﴾[4] .

وهذا ان دلّ فانما يدلّ على ان منشأ اللذات العقلية ، هو بحسب تحصيل المعارف والعلوم التي يحصلها الانسان في الحياة الدنيا .

وجزاء هذه المعارف في الاخرة ليست الجنة بنعيمها المادي [فحسب] ، بل جزاء ذلك القرب من الله ولذّة مناجاته ، ومشاهدة جلال الله والانوار المحدقة بعرشه .

قال الامام الصادق عليه السلام :

---

(١) الواقعة : ٣٤ .

(٢) غافر : ١٧ .

(٣) المجادلة : ١١ .

(٤) يوسف : ٧٦ .

«لو علم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى، ما مدّوا أعينهم الى ما مُتّع به الاعداء من زهرة الحياة ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤنه بأرجلهم، ولنُعِّمُوا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله»[1].

فكل انسان كان يعبد الله عبادة الاجراء، او التجار، وغلبت عليه اللذائذ الحسّية، متمنياً نيلها من الجنة ونعيمها، وحورها ورزقها، فانّه سوف ينال ما أمّل، ويدخل جنات عرضها كعرض السموات والارض، وهذا هو الموالي.

وكل انسان عبد الله تبارك وتعالى عبادة الاصرار، وغلبت عليه اللذائذ العقلية، فسوف ينال ما أمّل، ويدخل جنات فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[2].

وطوبى لهذه الطائفة فهم السعداء دنياً وآخرة.

ما الفخر الاّ لأهل العلم انهم
على الهدى لمن إسْتَهْدَى أدلاء
ففز بعلم تعش حياً به ابدا
الناس موتى واهل العلم أحياء[3]

طوبى لهم وللديار التي حلّوا فيها، فكل ديارهم مضيئة بالعلم والمعارف الالهية، قال أمير العارفين وامام الموحدين علي بن أبى طالب

---

(١) الكافي ٨: ٢٤٧.

(٢) مضمون الرواية: راجع علم اليقين ٢: ١٠٨٠ وسنن ابن ماجه كتاب الزهد ٢: ١٤٤٧.

(٣) مجاني الادب في حدائق العرب ٢: ١٣١.

عليه السلام :

« ***قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلّوا دار القرار ، وأَمِنُوا نُقْلَة الأسْفَار ، فلو شَغَلْتَ قلبك ايّها المُسْتَمع بالوصول الى ما يَهْجُمُ عليك من تلك المناظر المونقة ، لَزَهَقَتْ نفسك شوقاً اليها ، وَلَتَحَملْتَ من مجلسي هذا الى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها ؛ جعلنا الله وإياكم ممن يَسْعَى بقلبه الى منازل الابرار برحمته*** »[1] .

﴿ ***لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين*** ﴾[2] .

درجات اللذات العقلية والحسيّة :

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

« ***درجات متفضلات ، ومنازل متفاوتات ، لا ينقطع نعيمها ، ولا يظعن مقيمها ، ولا يهرم خالدها ، ولا ييأس ساكنها*** »[3] .

كلام دقيق رشيق أنيق ، من أبلغ ما قيل في وصف اللّذة ودرجاتها ، والجنّة وطبقاتها .

مقولة صدرت من مصدر التحقيق ومورد التدقيق ، فحارت الألباب فيها ، وتصاغرت العظماء ، وعجزتْ الأُدباء ، وعيت البلغاء ، وتحيّرت الحكماء عن ادراك حقيقة من حقائقها .

كيف ؟ وكلامهم صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ

---

(١) نهج البلاغة : ٢٣٩ الخطبة : ١٦٥ ط الصالح .

(٢) السّجدة : ١٧ .

(٣) نهج البلاغة خ ٨٥.

مرسل»[1].

أنّى ؟ وقائلها : « قد إندمج على مكنون علم لو أباح به لإضطربنا اضطراب الأرشِيَةِ في الطَّوِيِّ البعيدة»[2].

ومع ذلك ، أطال العلماء في شرح هذه الكلمة فجزاهم الله ألف خير[3].

ونحن بدورنا نقتصر على ما يلي :

أولاً : قوله عليه السلام : «درجات متفاضلات» ، فيه اشارة الى التفاضل في اللّذة العقلية ، لان التفاضل لا يستعمل في الحسيّات .

والتفاضل في اللّذة العقلية يكون بحسب اكتساب المعارف والحقائق في هذه الدنيا .

وهى على عدة درجات ، فتارة يحصّل الانسان علم الصرف والنحو وآخرى علم الاصول والفقه ، وثالثة علم المعارف الربانية من صفات الله واحكامه .

وايضا يوجد تفاضل فيما بين هذه الدرجات من ناحية التحصيل الكمي ، فتارة يحصّل الانسان كتاباً واحداً في علم النحو ، واخرى يحصّل كتابين وثالثة اربعة كتب وهكذا .

وكذلك بالنسبة لعلم الفقه والاصول وعلم الله واحكامه .

وايضاً تكتسب هذه العلوم تفاضلاً بلحاظ العمل ، لان العالم على

---

(١) اصول الكافي ١ : ٤٠١ والبصائر : ٢٢ .

(٢) نهج البلاغة : ٥٢ الخطبة : ٥ بتصرف . والارشية في الطّوي : الحبل في البئر .

(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢ : ٢٧٧ وراجع احياء علوم الدين كتاب التوبة ٤ : ٢٤ و ٣٢ وراجع شرح النهج لابن ابي الحديد شرح الخطبة ٨٢ .

مجرد علمه له فضل ، اما اذا كَمَّل هذا العلم بالعمل فقد زاد في الفضل .

وكذلك بلحاظ أداء هذه العلوم هناك تفاضل ، فدرجة العالم المعلم أرفع من درجة العالم التارك للتعليم .

فأفضل العلوم هو ما كان معلومه أفضل ، فعلم الفقه والاصول أفضل من علم النحو والصرف ، وعلم المعارف الالهية افضل من علم الاصول والفقه ، لان معلومه الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : قوله عليه السلام : « ومنازل متفاوتات » .

اشارة الى التفاوت في اللّذات الحسّية التابع لعمل الانسان بأوامر الله تبارك وتعالى :

قال تعالى : ﴿ ***وفاكهة ممّا يتخيرون ولحم طير ممّا يشتهون جزاء بما كانوا يعملون*** ﴾[1] .

والتفاوت في الدرجات الحسيّة يخضع لكيفية العمل ونوعيته كما ويخضع لكمية العمل ، وايضا اذا قَرَنَهُ الانسان بالعلم والمعارف ، فقد جمع اللّذتين الحسيّة والعقلية ، وبذلك يكون قد جمع كل درجات الجنّة المادية منها والمعنوية ، ولكن تبقى مسألة انَّ من عشق اللّذة العقلية والروحية وعاين المحبوب الحقيقي ، هل يتخلى عنه الى ما سواه من لذّات حسيّة مادية ؟!

لا أعتقد انّ محباً يترك محبوبه من أجل لذّات مادية ، ومع ذلك يبقى السؤال ينتظر جواباً[2] !! ﴿ ***بل الانسان على نفسه بصيرة*** ﴾ .

---

(١) الطلاق : ٢١ .

(٢) ولعله تقدم الجواب في مطلع البحث في الرواية الثانية عن النبي عيسى عليه السلام عند ما قال : « ان ملكا بيده هذا كله ان احببته أنساك جميع ذلك » . ويأتي في النقطة

ثالثاً : قد تبين من مجموع ما تقدم ، ان اللّذة العقلية أفضل من اللّذة الحسيّة ، لان المعلوم في اللّذة العقلية اشرف وأفضل منه في الحسيّة .

ولذا ترى ان الشخص يفتخر أمام الملأ بالعلم ويَقْدُم عليه ، ويُسرُّ اذا اثني عليه بالذكاء أو كثرة العلم .

امّا اذا وُصِفَ بكثرة الجماع أو الاكل ، فانه ينزعج من ذلك ولا يفتخر امام الناس بذلك ، ولا يَقْدُم عليه ، وما ذلك الاّ لانه ليس من الكمال الانساني بشيء .

وهذا لا فرق فيه بين الدنيا والاخرة ، فكما أن اللّذات العقلية أشرف في الدنيا ، فكذلك اللّذات العقلية الروحية أشرف في عالم الاخرة ، فالانس بالله ، ولذّة مناجاته ، ومجاورة اوليائه تحت عرشه ، أفضل بدرجات من الحور ، والطعام ، والشراب ، ونحو ذلك من اللّذات الحسيّة ، هذا بالنسبة الى اللّذات وأقسامها ودرجاتها .

وفي المقابل يوجد الآلام فكذلك تنقسم الى الآم دنيوية والآم آخروية ، ولكل من القسمين تفريعات ودرجات على نحو ما مرَّ في اللّذات .

الثالثة ما يُفيد في الاجابة .


أنا مدينة العلم وعلي بابها



القصة الثالثة عشرة

النور الثالث عشر

نور مولانا وسيدنا ابي محمد الحسن العسكرى عليه السلام

روي عن محمد بن أحمد الانصاري ، قال : وجّه قوم من المفوّضة والمقصّرة كامل بن ابراهيم المدني الى أبي محمـد عليه السلام ؛ قال كامل : فقلت في نفسي أسأله لا يدخل الجنّة الاّ من عرف معرفتي وقال بمقالتي .

قال : فلمّا دخلت على سيدي أبي محمد ، نظرت الى ثياب بياض ناعمة عليه ، فقلت في نفسي : ولي الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب ؟ ويأمرنا نحن بمواساة الاخوان وينهانا عن لبس مثله ؟

فقال عليه السلام متبسماً : يا كامل ، وحسر ذراعيه فاذا مَسْحٌ أسود خشن على جلده .

فقال عليه السلام : هذا لله وهذا لكم»[1] .

---

(١) بحار الانوار ٥ : ٢٥٣ ، نقلا عن كتاب الغيبة .

تتضمن هذه القصة احدى التفسيرات لحقيقة الزهد وسوف نبحث ذلك تفصيلاً في عدة أبحاث رئيسية حول مفهوم الزهد:

١ ـ حقيقة الزهد.

٢ ـ وجوه الجمع بين روايات الزهد.

٣ ـ مراتب الزهد.

٤ ـ آثار الزهد.

٥ ـ الزهد سيرة الانبياء والائمة عليهم السلام.

٦ ـ الزهد والحياة الاجتماعية.

٧ ـ الزهد والرهبة.

حقيقة الزهد:

الزهد هو الرغبة عن الدنيا، عدولاً الى الاخرة لا بمجرد الاحساس والفكر والضمير، بل بإضافة الرغبة العملية والإحتراز عن التنعم باللذائذ والكماليات المادية، مقتصرا على الحد الاقل منها.

واذا رجعنا الى النصوص الشرعية لم نجدها تتفق على المفهوم المتقدم للزهد، ولنرى معاً تلك النصوص وماذا تتضمن من وجوه:

وتتلخص تلك الروايات في عشر طوائف:

الطائفة الاولى: التي تقول انّ الزهد هو التحرز عن الحرام والورع عن محارم الله، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الزهد، الورع عن كلّ ما حرّم

الله عزوجل»[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام عندما سئل عن الزهد قال : «ويحك حرامها فتنكبه»[2].

الطائفة الثانية : التي تشير الى أن الزهد في قصر الامل وشكر النعمة»[3].

الطائفة الثالثة : التي تقول إنّ الزهد ليس هو اضاعة المال ، وتحريم الحلال ، بل الزهد ان لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزوجل»[4].

الطائفة الرابعة : التي تشير الى انّ الزهد هو التوازن في حياة الانسان بين اقبال الدنيا وادبارها . كما روي عن الامام زين العابدين عليه السلام قال : «انّ الزهد في آية من كتاب الله عزوجل ﴿***لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم***﴾[5].

الطائفة الخامسة : التي تقول انّ الزهد ليس ترك طلب الدنيا ومالها ، اذا كان ينفق في الواجبات والمستحبات واقامة الحدود ، قال الامام الصادق عليه السلام : «لا خير في مَنْ لا يحب جمع المال من حلال يكفّ به وجهه ويقضى به دينه ويصل به رَحِمَه»[6].

---

(١) نهج البلاغه : ١٠٦ الكلمة : ٨١ ط الصالح والكافي ٥ : ٧١.

(٢) الكافي ٥ : ٧٠ ح ١.

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٢٨ ومعاني الاخبار : ٢٥٢.

(٤) الكافي ٥ : ٧٠ ح ٢ ومعاني الاخبار : ٢٥١.

(٥) اصول الكافي ٢ : ١٢٨ ح ٤ ومعاني الاخبار : ٢٥٣ ونهج البلاغة: ٥٥٣ الحكمة: ٤٣٩.

(٦) الكافي ٥ : ٧٢ ح ٥.

وفي رواية اخرى قيل له عليه السلام : «والله انّا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها ، فقال الامام عليه السلام : تحب ان تصنع بها ماذا ؟

قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، وأصِلُ بها ، واتصدّق بها ، واحج واعتمر .

فقال عليه السلام : ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة»[١] .

أقول : طلب الدنيا والعمل بها من أجل هذه الامور الواجبة أو المستحبة لا يتنافي مع كل الوجوه المحتملة للزهد ، لانّ افضل الزاهدين عليهم السلام كانوا يطلبون الدنيا ، بمعنى أنّهم كانوا يعملون بأيديهم من أجل الكف عن الناس والتصدق به[٢] .

---

(١) كافي ج ٥ ص ٧٢ ج ١٠ ..

(٢) وتقريباً اكثر اهل البيت عليهم السلام كانوا يعملون بأيديهم ليأكلوا من تعب أيديهم وتاسياً برسول الله صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين عليه السلام ؛ قال عبد الاعلى مولى آل سام : استقبلت ابا عبدالله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صايف شديد الحر ، فقلت : جعلت فداك حالك عند الله عز وجل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وانت تجهد لنفسك في مثل هذا اليوم ، فقال عليه السلام : «يا عبد الاعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك» وفي رواية أُخرى : «كيف لا اعمل وقد عمل من هو خير منّي» .

وفي رواية ثالثة : «اني أحبّ ان يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة» .

نعم كثرة هذا الطلب قد تتنافي مع الزهد كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا ايها الناس انه قد نفث في روعي روح القدس أنّه لمن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عليها ، فاتقوا الله عزوجل ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّكم استبطاء شيء مما عند الله عزوجل ان تصيبوه بمعصية الله ، فان الله عزوجل لا يُنال ما عِنْدَه الا بالطاعة» .

الطائفة السادسة: وهي الروايات الذامة للدنيا بعد أخذ اليسير منها:

قال أبو ابراهيم عليه السلام ، قال أبو ذر رحمه الله: «جزى الله الدنيا عنّي مذمّة بعد رغيفين من الشعير اتغذّى بأحدهما و أتعش بالاخر، وبعد شملتي الصوف أتأزر بأحداهما و أتردّى الاخرى»[1].

الطائفة السابعة: الرويات التي تقول ان المذموم من الدنيا هو الركون الى الدنيا، و تمليك الدنيا له، مما يمنعه ذلك عن الاخرة، واليه اشار أمير المؤمنين عليه السلام : «احذروا ما حذّركم الله منها [الدنيا]، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار و منزل استيطان»[2].

الطائفة الثامنة: الرويات التي تقول: ان الزهد ليس بترك خيرات الدنيا، قال تعالى:

﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[3].

و قال الامام الصادق لسفيان الثورى عندما إعترض عليه بقوله: «هذا اللباس ليس من لباسك»؟

فقال عليه السلام : ***«اسمع مني وَعِ ما اقول لك فانّه خير لك عاجلاً وآجلا، ان انت مت على السنّة والحقّ، ولم تمت على بدعة، اُخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدب، فامّا اذا اقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا***

---

(١) اصول الكافي ٢: ١٣٤، باب ذم الدنيا والتزهد فيها ح١٧.

(٢) روضة الكافي ٨: ١٤.

(٣) الاعراف: ٣٢.

كفّارها ، فما انكرت يا ثوري فو الله انني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء ، ولله في مالي حقّ أمرني ان أضعه موضعاً الا وضعته»[1] .

الطائفة التاسعة : الرويات التي تقول ان الزهد حالة باطنية خفية بين العبد وربّه لا يظهرها [الا لضرورة] ، فيكون الزاهد بحسب الظاهر كأحد الناس يلبس ما يلبسون ، ويأكل ما ياكلون ، أما بحسب الباطن فزاهد عابد يؤدب نفسه بحرمانها من بعض الملذات .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «افضل الزهد اخفاء الزهد»[2] .

وقد تقدم في القصة كيف ان الامام العسكرى عليه السلام كان يلبس مدرعة الصوف وفوقها لباس ناعم ، فكانّه يخفي حَالَة الزهد عن الناس .

الطائفة العاشرة : وهي الرويات التي تأمر بعزلة الدنيا والأخذ بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا أشد ما في الباب ، وسوف نشير الى نصوصه في الابحاث الاتية من هذه القصة تحت عنوان (الزهد سيرة الانبياء والائمة عليهم السلام) ان شاء الله تبارك وتعالى .

هذه أهم روايات الباب ضمن عشر طوائف ، وهذه الطوائف قد تتداخل فيما بينها ، الاّ أننا أفردناها ؛ لإستقصاء كل الروايات التي لها ربط ولو من بعيد بتفسير ظاهرة الزهد .

وجوه الجمع بين الطوائف المتقدمة :

وبالواقع ليس من السهل الجمع بين تلك الروايات لتضاربها على

---

(١) الكافي ٥ : ٦٥ .

(٢) بحار الانوار ٧٠ : ٣١٦ باب الزهد ح ٢٣ .

نحو التعارض ، ولذا سوف نقدم طريقين للجمع وتحت كل طريق عدة وجوه محتملة او متخيلة من الروايات :

الطريق الاول :

وهو يبتني على تقسيم الطوائف المتقدمة الى نوعين من الزهد :

النوع الاول : ما كان يتصف به أمير المؤمنين عليه السلام ، والذي قد نسميه بالزهد الواقعي . والنوع الثاني : ما هو متعارف عند الناس والذي نسميه بالزهد الظاهري .

وعلى هذا الاساس يخطر بالبال ثلاثة وجوه للجمع بين الروايات او بين الزهد الواقعي والزهد الظاهري :

الوجه الاول : ان نحمل الزهد الواقعي على نوع خاص من الناس ، وهم ولاة الأمر أو من يقوم مقامهم من القادة والعلماء ، فانه يجب على هؤلاء الزهد في الدنيا ومباحاتها ، والتأسي بأضعف شخص في العالم ، ونحمل الزهد الظاهري على بقية الناس التي قد لا تستطيع تحمل الزهد الواقعي .

ويساعد على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لعاصم بن زياد عندما قيل فيه لبس العبادة وتخلى عن الدنيا : «يا عُدَيَّ[1] نفسه ! لقد اسْتَهَامَ منك الخبيث ! اَما رَحِمْتَ اهلك وولدك !

اترى الله احلَّ لك الطيبات ، وهو يكره ان تأخذها ! انت أهون على الله من ذلك !

---

(١) تصغير عدو .

قال : يا أميـر المؤمنين ، هذا انت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكَلك ؟!

قال عليه السلام : ويحك انّي لستُ كأنت ، ان الله تعالى فرض على أئمة العـدل ان يُقَدِّروا أنفسهم بِضَعَفَةِ الناس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره[1]»[2].

وهذا الوجه ، مما لا شك في شرعيته ، لأن فيه من الاثر ما لا يكاد يُحصى ، حيث أن الناس تنظر الى ولي الامر ، او القائد ، او العالم ، او حتى الى امام جماعة البلدة الواحدة ، الناس تنظر الى هؤلاء على اساس انهم قدوة تتأسّى بهم ، فاذا كانوا غارقين في الملذات الدنيوية ، فماذا ينتظر من بقية العوام .

وكما قيل :

اذا كان ربّ البيت بالطبل ضارب

فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

ولذا نجد اكثر المجتمعات التي تنفرت من القيادة ، أو من اية حركة ما انما تنفرت من أجل ما لقته من اسراف رئيس الحركة الفلانية ، او القائد في الامور المالية والوجاهتية .

كيف يأمر القائد ، او العالم الناس بالصبر وهو لا يقدر على مفارقة اكل الملذات الفاخرة ولو لمدة يومين؟ كيف ينتظر الاجابة من الناس وهو لم يواسهم في المطعم والمشرب والمسكن وما شابه ذلك ؟

---

(١) يتبيغ : يهيج به الالم فيهلكه .

(٢) نهج البلاغة : ٣٢٥ الكلمة : ٢٠٩ ط الصالح .

الوجه الثاني : ان نحمل الزهد الواقعي ورواياته على الزهد الخفي ، فمن اراد ان يزهد زهد أمير المؤمنين عليه السلام فعليه ان يُجَسّدَه بينه وبين الله سبحانه وتعالى ويخفيه عن الناس ، امّا من أراد ان يحوم حول الزهد الواقعي ويزهد في بعض ملذات الدنيا فله إظهار ذلك ، ويساعد على ذلك ما تقدم في الطائفة التاسعة حيث ان الامام العسكري عليه السلام كان يلبس مدرعة الصوف تحت الثياب الناعمة .

وامّا اظهار أمير المؤمنين عليه السلام للزهد الواقعي فلا يضر في احتمال هذا الوجه ، وذلك لان نفس أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« افضل الزهد اخفاء الزهد »[1] .

وهذا يدل على ان اخفاء الزهد كان مطلوباً من أمير المؤمنين عليه السلام لانه لا يترك الافضل ، انما امتنع عنه من أجل اهداف اُخرى ، امّا لكونه في مقام التشريع ، أو ليحدد مفهوم الزهد الواقعي الذي لم يكن بتلك الدرجة من الوضوح في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله .

الوجه الثالث : ان نحمل روايات الزهد الواقعي على مجرد مفاهيم عالية وسامية من أجل أن لا يترك الناس الزهد الظاهري ، ولكي يبقوا يدركون علو شأن أمير المؤمنين عليه السلام الذي جسّد الزهد الحقيقي بكل مصاديقه .

وهذا من قبيل الترديد في ليالي القدر ، حيث انها ليلة واحدة انما جاء الترديد بين الليلة التاسعة عشرة ، او الحادية والعشرين ، او الثالثة والعشرين ، او في العشر الاواخر ، من أجل عدم اهمال الليلة الحقيقية المرددة ضمن عدة ليال .

---

(١) تقدم في الطائفة التاسعة .

الطريق الثاني :

ويتجه هذا الطريق اذا لم نقدر على تقسيم الروايات الى الزهد الواقعي والظاهري ، وكما هو المفروض ، ويتلخّص هذا الطريق بتصنيف الزهد الى مراتب متفاضلة فيما بينها تحمل كل طائفة او طائفتين من الروايات على احدى المراتب الاتية . وإستيفاء ذلك في مقامات :

المقام الاول : ان يكون الاعراض عن ما سوى الحقّ والزهد فيه لوجه الله تبارك وتعالى ، ويسمى هذا المقام بزهد العارفين.

ويستفاد هذا المقام من قول الامام الصادق عليه السلام :

«الزهد مفتاح باب الاخرة ، والبراءة من النار ، وهو تركك كلَّ شيء يشغلك عن الله تعالى ، من غير تأسّف على فوتها ، ولا إعجاب في تركها ، ولا إنتظار فرج منها ، ولا طلب مَحْمَدَةٍ عليها ولا عِوَضٍ منها ، بل ترى فَوْتَها راحة ، وكَوْنها آفة ، وتكون أبدا هارباً من الآفة ، معتصماً بالراحة؛

والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا ، والذلّ على العزّ ، والجهد على الراحة ، والجوع على الشّبع ، وعاقبة الآجل على محبّة العاجل ، والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة»[1] .

وهذا المقام من أعلى مراتب الزهد ، وأرقى درجاته والتي لم يحقق شيئا منها سوى ولي العارفين وسيد الزاهدين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، اما ما سواه عليه السلام فانّهم يحمون حول هذه الدرجة ولم يدركوها .

---

(١) بحار الانوار ٧٠ : ٣١٥ باب الزهد ح ٢٠ .

نعم بقية الائمة عليهم السلام في درجة أمير المؤمنين عليه السلام لانهم في العلم والعبادة سواء الاّ انّ الوضع الاجتماعي كان يفرض تكليفاً خاصاً على كلّ إمام متناسباً مع الوضع المحيط به فمثلاً عصر الامام الصادق والامام الحسن العسكري عليهما السلام كان يختلف عن عصر رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام ، ولذا كانا ـ الامام الصادق والعسكرى ـ يلبسان اللباس الابيض الجميل كما تقدم في رواية سفيان الثوري وغيرها ، وفي عقيدتي ان الامام الصادق عليه السلام لو كان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام للبس الخشن، فيكون الامام الصادق عليه السلام إلتجأ الى هذا اللباس للضرورة الاجتماعية[1] ، ولذا نراه في بعض الأحيان يتحسر على عدم امكان حمله للطعام في السوق من أجل الناس.

وامّا أمير المؤمنين عليه السلام فانّه جسّد هذا المقام وفي مراجعه سيرته دلالة على ذلك :

قال عليه السلام في كتابه الى سهل بن حنين:

«... أَلاَ وانّ لكلّ مأموم اماما يقتدى به ، ويستضيىء بنور علمه ، أَلاَ وانَّ امامكم قد إكتَفَى من دنياه بِطِمْرَيْهِ[2] ، ومن طَعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ[3] ، أَلاَ وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد [وعفّة وسداد][4] ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا[5] ، ولا إدَّخرتُ من غَنَائِمِها وَفْرَا[6] ، ولا

---

(١) هذا بناءً على ان هذا اللباس ينافي المقام الاول للزهد.

(٢) الطِمر : الثوب الخَلِق البالي.

(٣) قرصيه : تثنية قرص وهو الرغيف.

(٤) السداد : التصرف الرشيد ، وما بين القوسين ليس موجود في نسخة البحار.

(٥) التبر : فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغ.

أعددت لبالي ثوبي طمرا ولا حُزْت من أرْضِهَا شبرا، ولا أخذتُ منه الاّ كقوت أتان دَبِرَةٍ[7]، ولَهِيَ في عيني أَوْهَن من عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ[8]»[9].

المقام الثاني: الاعراض عن ما سوى الحقّ سبحانه والزهد فيه، الاّ انه ليس لوجه الله سبحانه وتعالى، وان الدنيا وما فيها تستحق ان تترك.

وهذا المقام تحته فرعان:

الفرع الاول: ان يعرض عمّا سوى الحقّ رجاء دخول الجنّة ومقاماتها، ويسمّى بزهد الراجين.

الفرع الثاني: ان يعرض عمّا سوى الحقّ خوفاً من عذاب الله عز وجل ونيرانه ودركاتها، ويسمّى بزهد الخائفين.

ويجمعهما قول الامام الصادق عليه السلام: «[الزاهد] ... الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه»[10].

وهذا المقام بكلا فرعيه مع المقام الاول يناسبان الروايات التي تقسم العبادة والعابد الى ثلاثة اقسام:

قال الامام الصادق عليه السلام: «العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى لطلب الثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله عزوجل حباً له، فتلك عبادة

---

(٦) الوفر: المال.

(٧) أتان دَبِرَة: وهي الحيوان التي عُقِرَ ظهرها فقلّ أكلها.

(٨) العفصة: ثمر يخرج من شجرة العفص لا يؤكلُ، لونه أخضر، والمقرة: المرّة، ولا يوجد من العفص الاّ المرّ.

(٩) نهج البلاغة ٤١٧ الكتاب ٤٥ ط الصالح وبحار الانوار ٧: ٣٢٠.

(١٠) معاني الاخبار: ٢٨٧ باب معنى الزاهد في الدنيا.

الاحرار وهي أفضل العبادة»[1].

المقام الثالث : الاعراض عن الدنيا مع الميل اليها، أو الاعراض عن بعض الدنيا مع الميل الى بعضها، أو الاعراض عن الدنيا مع الميل الى بعضها؛ لانّ الانسان تارة يعرض عن جميع الدنيا، ويبقى يميل الى تلك ألملذات بنفسه، وأُخرى يعرض عن جميعها، ولكنّه يبقى يميل الى بعض الملذات بنفسه. وثالثة: يعرض عن بعض الدنيا وملذاتها ويبقى يميل بنفسه اليه[2].

وهذا المقام في الواقع لا يسمى زُهْداً بالمعنى الذي نريده، نعم هو تَزَهُّدٌ عن الملذات، واثار الزهد تترتب عليه خاصة الاثار الوضعية.

نعم هذا المقام غالباً ما يكون مقدمة للمقام الاول والثاني، فانّ من يريد ان يتوجّه الى الزهد وترك الملذات لابدّ ان يمرّ بهذه المرتبة وتبقى نفسه لمدة من الزمن تميل الى الملذات التي إعتاد عليها، فان استطاع ان يتقدم في تنزيه نفسه نحو المقامات الاخرى، فقد فاز بالدرجات العليا للزهد، والاّ يبقى في هذه الدرجة المتوسطة منه.

المقام الرابع: الاعراض عن بعض ملذات الدنيا مع النيل من البعض الآخر كالذي يزهد في الطعام دون اللباس.

وفي كون هذا المقام من الزهد وجهان:

من انّه قد حقق مفهوم الزهد في بعض مصاديقه.

ومن انّ الزهد ملكة تحصل للانسان من مجموع مصاديق مأمور

---

(١) اصول الكافي ٢: ٨٤ باب العبادة ح ٥.

(٢) والمراد بالميل انه مثلاً يترك اللبس الجديد الجميل، الاّ انّه يبقى يحنّ اليه ويطلبه بنفسه مع البقاء على تركه فعلاً.

بتركها تنتج الزهد والتجزئة في المصاديق لا عبرة لها ، وكانّه يريد ان يجمع الدنيا والاخرة .

نعم الاثار الوضعية تترتب حتى بناءً على الوجه الثاني فمثلا من زهد في الطعام فان آثار قلة الطعام والجوع سوف تحصل عنده ، وان لم يزهد في اللباس .

المقام الخامس : الاعراض عن الدنيا وملذاتها لمن لا يمتلك الدنيا كالمحبوس ، او الفقير ، او المسافر ، ونحو ذلك .

وهذا المقام ان كان صاحبه يمتلك قوة الاعراض ، حتى لو وجد متاع الدنيا ، فانّه يدخل في مفهوم الزهد ، وتجرى فيه الاقسام المتقدمة .

وان كان لا يمتلك قوة الاعراض بل مدة حبسه مثلاً معرض عن الدنيا ، امّا بعد خروجه فانّه سوف يترك التزهد في الدنيا وملذاتها ، فهذا إنْ صَدَقَتْ في حقه نية القربى في هذا الاعراض المعين فهو زهد شرعي ، بناء على كون الزهد مجرد ترك الدنيا مع نيّة القربى .

اما اذا كان ملكة تحصل من مجموع ترك مصاديق اضافة الى نيّة القربى فانّه ليس من الزهد بشيء .

وان لم يصدق في حقه نية القربى فليس إعراضه زهداً .

نعم الآثار الوضعية تترتب اما الشرعية فلا تترتب لتوقفها على نية القربى .

هذه مقامات الزهد الخمسة .

ثم انّ هناك مرتبة تتداخل مع جميع المقامات وهي اخفاء الزهد فانّ الزاهد تارة يَزْهَد في الدنيا ولا يُخْفي على الناس ذلك ، واخرى يزهد فيها ويخفي زهده عن الناس ، وهذا هو أفضل الزهد كما تقدم في الحديث

الشريف .

نعم قد يكون إظهار الزهد محرماً ، كما لو كان لبس شيء يعدّ في مجتمع ما سخريةً ، فانّه يحرم عندها لبسه امام الناس بل يجب عليه تركه . او اخفاءُه .

لذا لابدّ من مراعات المجتمع الذي يعيش به الانسان ، وان لا يخرج مهما أمكن عن العرف العام عند العقلاء ، لكي لا يكون الزاهد شيناً على الاسلام ، ويكون زيناً للاسلام الحنيف ، وسوف يأتي في بحث الزهد والحياة الاجتماعية ما يوضّح ذلك .

أثار الزهد :

ايّا كان مَبْنَانا في تفسير ظاهرة الزهد ، فان هناك آثار وضِعيّة وتكليفية ، تترتب على من سلك هذا المسلك الشريف ، وسار على هذا الطريق القويم ، وأهم تلك الاثار إيتاء الحكمة ﴿ ***ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً*** ﴾[1] .

عندما تثبت الحكمة في القلب ، فانها تجري منه الى اللسان ليصبح الانسان ناطقاً بلسان كلّه صدق وحقّ ، فيتجسد في عمله ويوافق النهج الالـهي ، فتهون المصائب ليخرج من الدنيا سالماً غانماً ، سالماً من الذنوب ، غانماً بلقاء الله عزوجل .

يخرج من دنياه بلا أي ذنب ارتكبه ، ولا خطيئة إقترفها ، ولا مال حرام قد أكله ، ولا ثروة يحاسب عليها ، او يطول وقوفه من أجلها ، يخرج

---

(١) الانعام : ٢٦٩ .

بقلب سليم ليدخل في حب الله تبارك وتعالى ، حبّا تجسّد في اعماله الى قربٍ سوف يتجسد في ثوابه ، يخرج من حلاوة الايمان ليدخل في رضا الرحمان ، يخرج بايمان ملؤه العمل وبعمل اصله الايماذ ، ليدخل في رحاب الجنان ، ويتنعم بانهار من لبان ، هذا بالنسبة لبعض الاثار التكليفية .

اما اذا اردنا أن نعرّج على اثاره الوضعية ، فان الزاهد في الدنيا سليم البدن ، نقي الصدر ، خالياً من كل مرض ومكروه ، وأنّى هما ؟ ولا يأتيان الاّ من جرّاء الطعام والشراب ، وكثرة الاموال والاولاد ، كيف السبيل اليهما ؟ وقد إعتاد على الملبس الجكش والفرش الخشن.

ثم تجده قوياً بدناً وفكراً ، إشتدّ بدنه لمقارعة الاعداء ، وقوي عقله لمنازلة الحكماء ، فكان قويّ الشجاعة ، حكيم العقل ، لا يحكم الاّ صواباً ، ولا يضرب الاّ قِواما ، خيراً كثيراً ، وقولاً وفيرا ، كلمات قصار مستخرجة من احاديث الزاهدين وائمة المسلمين صلوات الله عليهم أجمعين.

فعن أبي عبدالله عليه السلام : قال : «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدنيا ، داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالماً الى دار السّلام»[(1)] .

وفي رواية اخرى ، قال عليه السلام : «حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا»[(2)] .

وفي رواية ثالثة قال : «اذا تخلّى المؤمن من الدنيا سَمَا ، ووجد حلاوة حبّ الله»[(3)] .

---

(١) اصول الكافي ٢ : ١٢٨ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ١

(٢) اصول الكافي ٢ : ١٢٨ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ٢

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٣٠ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ١٠

وهذه الاثار، الوضعية والتكليفية، منها ما هي اجتماعية، ومنها ما هي اقتصادية، أغمضنا القلم عن تفصيلها اعتماداً على ما تقدم، وعلى ما يأتي.

الزهد سيرة الانبياء والائمة:

ويكفي مدحاً للزهد انّة سيرة للانبياء والصالحين صلوات الله عليهم فهذا نبينا نوح عليه السلام مع طول عمره الذي بلغ حوالى الألف وخمسمائة عاما، كان لا يملك بيتاً.

وكان سليمان عليه السلام، مع سعة ملكه، وعظمته يلبس الشعر، ويأكل من سفائف الخوص[1] يعملها بيده، وكان اذا جنّه الليل شدّ يديه الى عنقه فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً»[2].

أمّا سيّد الزاهدين النّبي عيسى عليه السلام فلم يكن ليملك لا زوجة ولا بيتاً، حتى قال له الحواريون يوماً:

يا نبيّ الله لو أمرتنا ان نبني بيتاً تعبد الله فيه.

قال عليه السلام: اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء.

فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء؟

قال عليه السلام: فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا»[3]؟

اجل اذا ملك الانسان ذرة في هذه الدنيا فان قلبه سوف يتعلق بها،

---

(١) الخوص: ورق النخل واحده خَوْصَة.

(٢) عدة الداعي: ٨٧ والبحار ٧٠: ٣٢١.

(٣) المصدر السابق.

ولذا كان اولياء الله وسيدهم بالاخص عليه السلام ، يتجنبون ملك أيّ شيء الاّ ما اضطروا اليه ، بل حتى هذا الشيء لم يكونوا يملكوه الا ليقوّيهم على عبادة الله ، فهم يعيشون ليعبدوا الله ، لا كما يعيش الناس ليأكلوا ويشربوا ويلبسوا .

وانظروا الى سيد الخلق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ماذا كان لباسه ومأكله ؟

وكم كان ـ واهل بيته ـ يقضي أياماً بلا طعام .

ولننظر الى أمير المؤمنين عليه السلام كيف كان مَأكَلَه وملبسه ؟ كان لا يأكل الاّ نوعاً واحدا من الطعام ، اما اللبن ، او الملح ، او الخبز ، او التمر ، وكان عندما يريد ان يشتري ثوباً يأخذ خَادِمَه قنبرا ويشتري ثوبين ويخيّر قنبرا أجودهما[1] .

الزهد والحياة الاجتماعية :

اذا عرفنا الهدف من الزهد ، وانّه حالة شخصية للانسان يقوم بها لتربية نفسه وتقوية روحه ، لكي يستطيع ان يقاوم الانحرافات الموجودة في المجتمع ، والتي تحاول ان تَغْوِي كل شخص .

وبذلك يعتبر الزاهد المصلح الاول في المجتمع ، لانه مُصْلِحٌ صَالِح ، مُصْلِح قد ربى نفسه وهذّبها ، ومن هنا تبرز أهمية الزهد من الناحية الاجتماعية .

وبذلك يتضح أنّ الزهد الذي يؤدي بالشخص الى الجلوس في

---

(١) المصدر السابق .

زوايا بيته ليس زاهداً ، بل رهبنة كما سوف نذكر .

فكيف الانسان يدرّب بدنه لتقويته ولكي يدافع عن نفسه وعياله ومجتمعه ، فكذلك الزهد هو تربية للنفس ، وتقوية لها لكي يستطيع ان ينطلق الرسالي الى اصلاح عائلته فمجتمعه وتربيتهم ، فمن لم يربِ نفسه لا يستطيع ان ينطلق لبناء مجتمع ، وتربية أفراده ، فالشخص الذي لم يتعوّد على الصبر كيف يأمر الناس بالصبر ؟ ومن لم يُعَوّد نفسه على التقشف كيف يأمر غيره بذلك ؟ اذا فَرَضَتهُ الظروف !

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالاجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم»[1] .

فاذن الزُهد أَخْذٌ وحرمان قليل لعطاءٍ وفير ، حرمانٌ شخصي لعطاء إجتماعي ، وبذلك لا يكون منافياً للحياة الاجتماعية ، لان مصبّه الروح والنفس ، امّا مصبّ الحياة الاجتماعية فالبدن ، او البدن مع التفاعل الروحي ، ذلك ان الروح لا تضاد البدن بل يتفاعلان ليشكلان انساناً قوياً روحاً وجسداً ، وهذا لا ينافي الحياة الدنيوية ، بل يخدمها في كثير من الجوانب الفردية والجماعية .

نعم الزهد ينافي عبادة المادة والمال ، ينافي حب الدنيا لِذَاتها ، وللمصالح الشخصية ، وهذا ينافي المبادىء الاسلامية بل الانسانية لان المجتمعات ـ وخاصة في هذه العصور ـ الانسانية أصبحت تنظر للمادة على أنها وسيلة للحياة السعيدة .

---

(١) نهج البلاغة باب الحكم ، الحكمة : ٣٥٩ .

الزهد والرهبنة :

ومن هنا يظهر الفرق بين الزاهد والراهب .

فالاسلام ذمّ الرهبنة ونفى ان يكون لها دور في المبادىء الاسلامية ، وما ذلك الاّ لأنها تتنافي مع الحياة الاجتماعية :

قال تعالى : ﴿ *ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاّ ابتغاء رضوان الله فمَا رعوها حق رعايتها* ﴾[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عندما إستُوْذِنَ في التّرهب :

« *انّ تَرَهُّبَ اُمّتي ، الجلوس في المساجد إنتظاراً للصلاة* »[2] .

فرسول الله صلى الله عليه وآله يَفْهَم الترهب (والذي هو الزهد) على اساس انّه تكامل إجتماعي ، ودوراً من أدوار المجتمع ، وما الجلوس في المسجد الاّ لذلك ، لانّه كناية عن ملاقاة الناس والاحتكاك بجميع طبقات المجتمع ، حيث في المسجد توجد صلاة الجماعة ليقف الغنيّ بجانب الفقير الكتف الى الكتف ، ليتساوى الناس مساواة كأسنان المشط ، الجلوس في المسجد فيه إستماع الى المواعظ والخطب ، الاجتماعية منها والسياسية .

امّا الرهبنة التي هي انقطاع تام عن الناس ، فهي التي تتنافى والحياة الاجتماعية ، لأنّها هروب من المسؤولية والواجبات الاجتماعية الى

---

(١) الحديد : ٢٧ .

(٢) البحار ٨٣ : ٣٨١ .

المصلحة الشخصية ، وان كانت دينية[1] .

الراهب في صومعته ، او في سفوح الجبال ، يُحْرَم من كثيرٍ من الواجبات ، او قلْ يَهْرُب من كثير من المسؤوليات ، فأين الجهاد ؟ وأين الامر بالمعروف والنهى عن المنكر[2] ؟

امّا الزاهد فمن بيته او مسجده يقود العالم ، لا لمصلحة شخصية بل لرفع الظلم والحرمان .

قال ابن عباس «رض» : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نَعْلَه ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟

فقلت : لا قيمة لها .

فقال عليه السلام : والله لهي أَحَبُّ اليَّ من إمرتكم ، الاّ ان أقيم حقاً ، او ادفع باطلاً»[3] .

فالزاهد يحاول أنْ يَخْدِمَ المجتمع على حساب مصالحه الشخصية .

اما الراهب فانّه يعكس الامر ، ظناً منه انه يطيع الله بذلك ، وما هي الا

---

(١) فان الاسلام كثيرا ما يرفض العبادة الفردية والشخصية ليشجّع على العبادات الجماعية ، سواء في صلاة الجماعة او في ترك بعض الواجبات والمستحبات لخدمة الناس ، وما شابه ذلك من الامور التي تجمعها قاعدة تقديم الأهم على المهم ، ومن المعلوم ان خدمة المجتمع أهم من العبادات الفردية ..

(٢) وتقدم تفصيل ذلك عند الكلام عن حقيقة العزلة وانها لا تُنَافي الحياة الاجتماعية فراجع .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة : ٣٣ .

المعصية[1] ، فالراهب وان اجتمع مع الزاهد في طلب الاخرة ، الاّ ان الطريقين مختلفان ، فطريق مُوصل وطريقٌ مضل ، طريق الى الجنّة وطريق الى السعير.

---

(١) وخير مدلّل على ذلك سيرة امير الزاهدين علي بن أبي طالب عليه السلام فكانت كلّ حياته خدمة للاسلام ومحياة لمعالمة.


القصة الرابعة عشرة

النور الرابع عشر

نور سيّدنا ومولانا الامام محمد بن الحسن صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه ..

ينقل السيد علي بن عبد الحميد في كتاب (السلطان المفرِّج عن أهل الايمان) عن بعض اصحابنا الصالحين ما صورته :

عن محي الدين الأربلي أنه حضر عند أبيه ومعه رجل فنعس فوقعت عمامته عن رأسه فبدت في رأسه ضربة هائلة فسأله عنها .

فقال له : هى من صفّين .

فقيل له : وكيف ذاك وواقعة صفّين قديمة !؟

فقال : كنت مسافراً الى مصر فصاحبني انسان من غزّة[1] فلما كنّا في بعض الطريق تذاكرنا واقعة صفّين ، فقال لي الرجل : لو كنت في ايام صفّين لرَوَّيْتُ سيفي من علي وأصحابه .

---

(١) غزة : مدينة في فلسطين ..

فقلت : لو كنت في أيام صفّين لرويت سيفي من معاوية وأصحابه ؛ وها أنا وانت من اصحاب علي عليه السلام ومعاوية لعنه الله .

فاعْتَركْنَا عركة عظيمة واضطربنا فما أحسست بنفسي الاّ مَرْمِيّاً لما بي .

فبينما أنا ـ كذلك ـ واذا بانسان يوقظني بطرف رمحه ، ففتحت عيني فنزل اليّ ومسح الضربة ، فَتَلاءَمَتْ .

فقال : البث هنا ثم غاب قليلاً وعاد ومعه رأس مخاصمي مقطوعاً والدَّوابُ معه . فقال لي : هذا رأس عدوِّك ، وانت نصرتنا فنصرناك ، ولينصرنّ الله من ينصره .

فقلت من انت ؟

فقال : فلان بن فلان يعني صاحب الامر عليه السلام ثم قال لي : واذا سئلت عن هذه الضربة فقل ضُربتها في صفّين[1] .

---

(١) بحار الانوار ٥٢ : ٧٥ .

صاحب العصر الامام المنتظر
من بما يأباه لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر
خير اهل الأرض في كل الخصال
الامام ابن الامام ابن الامام
قطب أفلاك المعالي والكمال
يا أمين الله يا شمس الهدى
يا امام الخلق يا بحر الندى
عجلّن عجّل فقد اطال المدى
واضمحل الدين واستولى الضلال[1]

في هذه القصة نموذج عن رؤية الامام المهدي عجّل الله فرجه ، وسوف نبيّن في الابحاث الاتية أهم المواضيع المثارة حولها ، وحول حركة الامام ، وعلل غيابه مستمدين منه تعالى العون والتوفيق انه سميع مجيب .

---

(١) نقلاً عن الانوار البهية : ٢٧٥ ..

علة غياب الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه :

العلة التامة لغياب الامام «أرواحنا فداه» حكمة مجهولة غير منكشفة لكثير من الناس لمصلحة في ذات الغيبة لا يفصح عنها الا خروج نفس الامام ارواح العالمين له الفدى ، قال عبدالله بن الفضيل الهاشميّ : « سمعت [الامام] الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول :

انّ لصاحب هذا الامر غيبة لابد منها يرتاب فيها كلّ مبطل .

فقلت له : ولِمَ جعلت فداك ؟

قال عليه السلام : لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

فقال عليه السلام : وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غياب من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره ، ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف الا بعد ظهوره ، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار ؛ لموسى عليه السلام الاّ وقت افتراقهما .

يا ابن الفضل انّ هذا الأمر أمر من أمر الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عزوجل حكيم ، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة ، وان كان وجهها غير منكشف لنا»[1] .

نعم ورد في بعض الروايات ان علة الغياب هي الخوف ، الاّ انها لا تكشف عن حكمة الغيبة فلابدّ من حملها على أنها جزء من العلة كشف

---

(١) بحار الانوار ٥٢ : ٩١ .

أهل البيت عليهم السلام عنها لمصلحة ما .

والرواية هي : قال ابو عبدالله عليه السلام : يا زرارة لابدّ للقائم عجل الله فرجه من غيبة .

قلت : ولِمَ ؟

قال عليه السلام : يخاف على نفسه ، وأومأ بيده الى بطنه»[1] .

وليس المراد بالخوف ، الخوف المساوق للجبن والضعف ، ذاك انّ الحجة المنتظر عجل الله فرجه منزه عن تلك الصفات ، كيف ؟

وهو الذي تسير الجبال بين يديه ، وجبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، هو الذي سوف يغيّر سيّر العالم من ظلْم دامس ، وجور حائف الى قسط وعدل منيرين.

بل خوف على الدين، كما خاف أباؤه من قبل صلوات الله عليهم .

وبعبارة اُخرى ، بما انّ حركة الامام المهدي عجل الله فرجه ، حركة سياسية جهادية لمختلف الامصار ، تقوم على السيف ، وتحت ظل السيف ، كان لابد للاعداء ان يستعملوا كل الاساليب لمحق هذا الدين وأهله ، لانه بقيامه إلغاء لأصل وجودهم وكيانهم .

ومسألة قيام الامام عجل الله فرجه كانت معروفة لدى جميع الحكام وانه سوف يخرج بما لم يخرج به أباؤه من قبل .

على ان المسألة ليست مسألة شهادته عليه السلام ، بل كان ولا زال امامنا المفدى يعشق الشهادة ، ولم يغب كرهاً بها ولا خوفاً منها ، الاّ انّ المسألة مسألة حفظ الدين وكيانه بحجة في آخر الزمان ، فلو كان قد استشهد لما كان هناك حجة على وجه الارض ، لعدم وجو. من يقوم

---

(١) المصدر السابق : ٩٧ .

مقامه لانه آخر الائمة عليهم السلام على العكس مما كان في ثورة وشهادة الامام الحسين عليه السلام .

غياب الفيض أم فيض الغياب ؟

وبغياب قطب الوجود حُرِمَ الناس من بعض انواره عجل الله فرجه ، تلك الانوار التي تعتبر واسطة الفيض بين البشر وخالقهم .

إلاّ أنّ الفوائد بقيت تأتي من الناحية المقدسة في عصرين من العصور :

العصر الاول : كان عند غيابه الشريف بعد وفاة ابيه الحسن العسكري عليه السلام .

وكانت تسمى : بالغيبة الصغرى ، والتي إستمرت مدة سبعين سنة إبتداء من سنة ٢٦١ هـ حتى سنة ٣٣١ هـ .

وكان خلالها يستفيد الناس من انوار الامام عِبْرَ السفراء الاربعة[(١)]

---

(١) وهم على الترتيب :

١ ـ ابو عمر و عثمان بن سعيد العُمري : عيّنه الامام الهادي ثم العسكري عليهما السلام وكيلاً عنهما وعن القائم عجل الله فرجه وممّا جاء في مدحه : هذا أبو عمر الثقة الامين ما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أداه اليكم فعنّي يؤدّيه .

٢ ـ ابو جعفر محمد بن عثمان العُمَريّ : نصّبه الامام العسكري عليه السلام وكيلاً عن القائم عجل الله فرجه وابقاه الامام بعد وفاة ابيه عليه السلام .

٣ ـ الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي : نصّبه محمد بن عثمان بأمر القائم عجل الله فرجه .

على ما هو مبسوط في كتب التاريخ .

والعصر الثاني : كان بعد انتهاء مدة السفراء الاربعة ، وما زال مستمر الى عصرنا الحاضر ، وتسمى بالغيبة الكبرى .

وكان الناس وما زالوا يستفيدون من انوار الامام عِبْرَ علمائنا الابرار[1] الذين تشرفوا برؤيته لمصلحة ما ، وضمن شروط سوف تقف عليها .

هذا بالنسبة للفائدة الظاهرية التي كان يحتاجون الناس اليها في حياتهم .

الاّ انّ هناك فوائد لعلها باطنيّة مبتنية على ما تقدم في القصة الثانية عند الكلام عن حقيقة اهل البيت عليهم السلام ، وكونهم الواسطة في الفيض ، وانّ اساب السماوات والارض من رزق وخير بيدهم ، اضافة الى ما ورد عنهم صلوات الله عليهم في حق الامام الحجة عجل الله فرجه .

قال الامام الصادق عليه السلام : «***لمْ تخلُ الارض منذ خلق الله آدم ، من حجّة لله فيها ظاهر مشهور او غائب مستور ، ولا تخلو الى ان تقوم الساعة من حجة الله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله***» .

قال سليمان : فقلت للصادق عليه السلام فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟

قال عليه السلام : كما ينتفعون بالشمس اذا سترها السّحاب»[2] .

---

٤ ـ ابوالحسين بن محمدالسمري : نصّبه الحسين بن روح بأمرالامام عجل الله فرجه .

(١) أمثال الشيخ المفيد والمقدس الاردبيلي والاسترآبادي والكفعمي والسيد بحر العلوم وتجد قصصهم في بحار الانوار ٥٢ : ١٧٤ و ١٧٥ وج ٥٣ص ١٧٦ ، ٢٢٦ و ٢٢٥ و ٣٠٢

(٢) البحار ٥٢ : ٩٢.

وروى الكليني عن اسحاق بن يعقوب انه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان قوله عليه السلام : «اما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبها عن الابصار السحاب ، وانّي لأمان لأهل الارض كما انّ النّجوم امان لأهل السماء»[1] .

وقد يكون تشبيه أنوار الامام عجل الله فرجه بالانتفاع الحاصل من الشمس فيه نوعاً من الخفاء ، فلا بأس بذكر ملخص ما ذكره العلامة المجلسي قده من وجوه ، والتي سماها ابواب فتحت من الجنة الروحانية كشف قدس سرّه عن ثمانية منها ، واغمض عن البعض الآخر لضيق العبارة[2] .

«**الوجه الاول** : أن نور الوجود والهداية يصل الى الخلق بتوسّطه عجل الله فرجه ، لانه الواسطة بين العباد وربهم ، كبقية اهل البيت عليهم السلام ، اذ لولاهم لانسد باب اللطف والفيض عنّا[3] .

الوجه الثاني : أن الشمس المحجوبة بالسحاب اضافة الى الانتفاع الحاصل منها يبقى الناس ينتظرون جلاء السحاب عنها لتزيد المنفعة .

فكذلك شيعة اهل البيت عليهم السلام ، يبقون ينتظرون زيادة المنفعة بخروج الامام عجل الله فرجه .

الوجه الثالث : أن منكر وجود الامام أرواحنا فداه مع ظهور آثاره ونعمه ، كمنكر وجود الشمس المغطاة بالسحاب .

---

(١) الاحتجاج : ٢٦٣ وكمال الدين ٢ : ١٦٢ .

(٢) راجع : بحار الانوار ٥٢ : ٩٢ .

(٣) وتقدم تفصيل ذلك عند الكلام عن التفويض للائمة عليهم السلام في القصة الثانية .

الوجه الرابع : أن الشمس غيابها في السحاب اصلح للعباد من ظهورها ، ولو ببعض الأزمان أو الأمكنة ، فكذلك غيبة الامام عجل الله فرجه اصلح للناس من ظهوره في تلك الازمان السابقة .

الوجه الخامس : أن الانسان لا يمكنه النظر الى الشمس بدون سحاب اذ قد تعميه ، فكذلك لا يقدر على النظر الى نور الامام المهدي عجل الله فرجه اذ قد يكون سبباً لعماه عن الحقّ .

الوجه السادس : أنه عليه السلام كالشمس في عموم النفع ، انّما لا ينتفع بهم من كان اعمى .

الوجه السابع : أن الشمس قد تخرج من السحاب للبعض ، فكذلك الامام عليه السلام قد يخرج لبعض الاشخاص .

الوجه الثامن : أن الشمس إنّما تدخل البيوت بقدر ما للبيت من نوافذ وبقدر رفع الموانع ، فكذلك نور الامام ، ارواح العالمين له الفدى تنتفع به الناس بقدر ما يطهرون قلوبهم لتلقى ذلك النور المبارك» انتهى كلامه رفع من مقامه .

وها أنا أفتح على عينيك ثمانية وجوه أُخرى قد يستفاد منها :

الوجه الاول : أن الشمس قد يستطيع أن ينظر اليها البعض لقوة بصره ، فكذلك قد يستطيع البعض النظر الى الامام عجل الله فرجه لقوة بصيرته .

الوجه الثاني : أن الناس يستفيدون من الشمس على حسب حاجاتهم ، فصاحب الارض ينتظرها لارضه ، وصاحب الزرع لزرعه ، وهكذا ، فكذلك بالنسبة للامام المنتظر ،كلٌّ يستفيد منه بحسب حاجته .

الوجه الثالث : وهو تفصيل لما تقدم من العلاّمة (قده) في الوجه السادس ، حيث قال : «ان نفع الشمس عام الاّ لعديم البصر فكذلك الامام عجل الله فرجه» .

فإنا نقول :إن نفع الشمس على قسمين: قسم لا ينتفع به الاّ من له بصر كالانتفاع بنورها للضوء . وقسم ينتفع به الأعمى والبصير كالانتفاع الحاصل منها للحياة الدنيا .

فكذلك النفع الحاصل من الامام عجل الله فرجه فقسم خاص بمن فتح قلبه على الامام وعلومه وهدايته ، وهناك نفع عام لجميع الناس المؤمن والمعاند ، الكافر والجاحد ، وهو كونه عليه السلام الواسطة في الفيض فانّه كما يتوسط لرزق المؤمن فكذلك يتوسط لرزق الكافر[1] .

الوجه الرابع : أن الشمس منزهة عن الأيدي لعلو مكانها ، وقوة نورها ، فكذلك الامام روحي فداه منزه عن الايدي لعلو شأنه وقوة نوره .

الوجه الخامس : أن الشمس لا تغيب ، انّما تنتقل من مكان الى آخر ، فكذلك الامام لا يغيب انما يتنقل من مكان الى مكان .

الوجه السادس : أن الشمس لا ينقطع عطاؤها بل مستمر باستمرارها ، فكذلك الامام عجل الله فرجه لا ينقطع عطاؤه .

الوجه السابع : أن الشمس آمان للسماء وكواكبها ، فكذلك الامام ارواحنا فداه أمان للارض واهلها ، ولولاه لساخت الارض بمن فيها .

الوجه الثامن : أن الشمس نورها ذاتي ، تعطي ولا تأخذ ، ولا تنفذ على عكس الشمعة ، فكذلك الامام علمه ذاتي ، يعطي ولا يأخذ ، ولا ينفذ .

---

(١) وقد تقدم في القصة الثانية توضيح ذلك مفصلاً .

شروط رؤية الامام الحجّة :

من الثابت عند الامامية رؤية الامام عجل الله فرجه اجماعاً في الغيبة الصغرى ، وشهرة في الغيبة الكبرى .

والرؤية الاولى كانت مختصة بالسفراء الاربعة قدس الله ارواحهم .

اما الرؤية الثانية فليست مختصة بأحد ، بل يستطيع كل شخص ان يلتقي به صلوات الله عليه ولكن ضمن شروط نذكر أهمها :

الشرط الاول لرؤية الامام عجل الله فرجه : ان يكون الرائي من خاصة مواليه ، كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «للقائم غيبتان احداهما قصيرة والاخرى طويلة ، الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه الاّ خاصة شيعته ، والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الاّ خاصّة مواليه»[1] .

الشرط الثاني : وجود مصلحة عامة مهمة تتوقف عليها رؤية الامام عجل الله فرجه من قبيل توقف حفظ بيضة الاسلام ، او أيّ أمر يخاف على المسلمين من عاقبته ، ويستفاد ذلك من بعض قصص من رأى الامام عجل الله فرجه .

الشرط الثالث : وجود حاجة خاصة عند البعض ، اما لنفسه ، او لغيره ، تتوقف رؤيته الشريفة على ذلك .

الشرط الرابع : عدم ادعاء الرؤية العلنية او التشهير بها ، وقد يستفاد ذلك من التوقيع الصادر من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد عند قوله عليه السلام : «فاحتفظ به ولا تظهر على خطّنا الذي سطرناه بما له ضمّناه

---

(١) اصول الكافي ١ : ٣٤٠ باب في الغيبة ح ١٩ وغيبة النعماني : ٨٩.

احدا»[1].

الشرط الخامس : ما يستفاد من كلام العلامة الطبطبائي في رجاله عند ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات : من عدم ادعاء الرائي الرؤية مع العلم انه الامام حال الرؤية .

وسوف تأتي بعض الروايات التي يستفاد منها هذه الشروط الخمسة .

وهذه الشروط ليست على نحو العلة التامة ، او كونها اجزاء لعلة بحيث من توفرت به لابد ان يرى الامام عجل الله فرجه ؛ بل ما هي الّا موازين ليُعْرَف صدق من يدعي الرؤية ، لانها ليست مسألة مبتذلة لمن شاء ، والاّ لما كان هناك من حكمة لغيابه الشريف .

بل الرؤية لطف من الله يمنحها من يشاء من عباده ممّن إرتضى .

الطرق الشرعية لرؤية أهل البيت عليهم السلام :

اضافة الى الشروط التي تقدمت ، وردت بعض الطرق الشرعية عن اهل البيت عليهم السلام مَنْ واظب عليها أمكنه رؤية الامام عجل الله فرجه او غيره عن الائمة عليهم السلام[2] .

ولمزيد الفائدة نذكر بعض تلك الطرق :

---

(١) راجع بحار الانوار ٥٣ : ١٧٦ ..

(٢) وبعض هذه الطرق مجربة من قبل كثير من المؤمنين ، وشخصياً جربت بعضها مع بعض المحبين لأهل البيت فكان لها الاثر الكبير في صيرورته من الموالين والتابعين لأهل البيت عليهم السلام بعد أن كان من المحبين .

الطريق الاول لرؤية أهل البيت عليهم السلام : ما رواه المفيد في الاختصاص : عن أبي المغرّا عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : «من كان له الى الله حاجة واراد أن يرانا ، وان يعرف موضعه ، فليغتسل ثلاثة ليال يناجي بنا ، فانّه يرانا ، ويغفر له بنا ، ولا يخفى عليه موضعه»[1] .

الطريق الثاني : ما روي عن الامام الصادق عليه السلام قال : من قرأ بعد كلّ فريضة هذا الدعاء فانّة يرى الامام م ح م د بن الحسن عليه وعلى ابائه السلام في اليقظة وفي المنام :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهمَّ بلّغ مولانا صاحب الزمان أينما كان وحيثما كان من مشارق الأرض ومغاربها ، سهلها وجبلها ، عنّي وعن والديّ وعن ولدي واخواني التحيّة والسلام ، عدد خلق الله ، وزنة عرش الله ، وما أحصاه كتابه واحاط علمه . اللهم إنّي أُجدِّد في صبيحة هذا اليوم وما عشت فيه من أيّام حياتي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول ، اللّهمّ اجعلني من أنصاره ونصّاره الذابّين عنه ، والممتثلين لأوامره ونواهيه في أيامه ، والمستشهدين بين يديه .

اللهمّ فان حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً ، فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني ، شاهراً سيفي ، مجرِّدا قناتي ، ملبّياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي .

اللهم أرني الطلعة الرشيدة ، والغرَّة الحميدة ، واكحل بصري بنظرة منّي اليه ، وعجّل فرجه ، وسهّل مخرجه ، اللهمّ اشدد أزره وقوِّ ظهره ، وطوِّل عمره ، اللهمَ اعمر به بلادك ، وأحي به عبادك ، فانك قلت وقولك

---

(١) الاختصاص : ٩٠.

الحق : ﴿ *ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس* ﴾ .

فأظهر اللّهمّ لنا وليّك ، وابن بنت نبيّك ، المسمى باسم رسولك ، صلواتك عليه وآله ، حتى لا يظفر بشيء من الباطل الاّ مزّقه ، ويحقّ الله الحقّ بكلماته ويحقّقه ، اللهم اكشف هذه الغمّة عن هذه الأُمّة بظهوره ، انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ، وصلى الله على محمّد وآله»[1] .

الطريق الثالث : ما رواه في الجنّة الواقية للشيخ ابراهيم الكفعميّ ، قال : رأيت في بعض كتب اصحابنا انّه من اراد رؤية احد من الانبياء عليهم السلام ، او الوالدان في نومه فليقرأ : الشمس ، والقدر ، والجحد ، والاخلاص ، والمعوذتين ، ثم يقرأ الاخلاص مائة مرة ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله مائة مرة ، وينام على الجانب الايمن على وضوئه فانّه يرى من يريده ان شاء الله تعالى ، ويكلّمهم بما يريد من سؤال وجواب»[2] .

الطريق الرابع : وهو نفس الطريق الثالث الاّ انه فيه زيادة ، وذلك أن يفعل ما تقدم سبع ليال بعد الدعاء الذي أوّله : اللهم انت الحيّ الذي لا يوصف ... الخ»[3] . وروى هذا الدعاء السيد علي بن طاووس في فلاح

---

(١) البحار ٨٦ : ٦١ باب سائر ما يستحب عقيب كل صلاة ح ٦٩ ، نقلاً عن كتاب ابن الباقي ..

(٢) بحار الانوار ٥٣ : ٣٢٨ .

(٣) وتمام الدعاء : اللهم انت الحيّ الذي لايوصف ، والايمان يعرف منه ، منك بدأت الاشياء واليك تعود فما أقبل منها كنت ملجأه ومنجاه ، وما أدبر منها لم يكن له ملجأ ولا منجا منك الاّ اليك ، فأسألك بلا اله الاّ الله ، وأسألك ببسم الله الرحمن الرحيم وبحقّ حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وبحقّ علي خير الوصيين وبحقّ فاطمة سيدة نساء

السائل قائلاً : اذا أردت ان ترى مَيِّتك فبت على طهر ، وانْضَجِعْ على يمنيك ، وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام»[1] .

الطريق الخامس : ما رواه الكفعمي في جنّته : قراءه دعاء المجير على طهارة سبعاً عند النوم بعد صوم سبعة أيّام»[2] .

الطريق السادس : ما رواه الكفعمي ايضا عن كتاب خواصّ القرآن انه من قرأ ليلة الجمعة بعد صلاة يصلّيها من الليل : الكوثر ألف مرة ، وصلّى على محمد و آل محمد الف مرّة رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في نومه .

الطريق السابع : ما رواه علي بن طاووس في فلاح السائل لرؤيا أمير المؤمنين عليه السلام في المنام قال : اذا أردت ذلك ، فقل عند مضجعك : اللّهمّ إنّي أسألك يا من لطفه خفي ، وأياديه باسطه لا تنقضي ، اسألك بلطفك الخفيّ ، الذي ما لطفت به احد الآكفي ، ان تريني مولاي علي بن أبي طالب في منامي» .

الطريق الثامن : ما روي في مجموع الدعوات : لمن اراد ان يرى النّبي في منامه ، فليقم ليلة الجمعة فيصلّى المغرب ثم يداوم على الصلاة الى ان يصلّي العتمة ولا يكلم أحدا ، ثم يصلّي ويسلّم في ركعتين يقرأ في كلِّ ركعة الحمد مرّة واحدة وقل هو الله أحد ثلاث مرّات ، فاذا فرغ من صلاته انصرف ، ثم صلّى ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب مرّة واحدة وقل هو الله أحد سبع مرّات ، ويسجد بعد تسليم ، ويصلّي على النّبي وآله

العالمين وبحقّ الحسن والحسين اللّذين جعلتهما سيدا شباب اهل الجنة اجمعين ان تصلي على محمد وآله وأهل بيته ، وان تريني ميتّي في الحال التي هو فيها» .

(١) المصدر السابق ...

(٢) المصدر السابق ..

سبع مرات ، ويقول : سبحان الله والحمد الله ولا اله الاّ الله والله اكبر ولا حول ولا قوّة الا بالله سبع مرات ، ثم يرفع رأسه من السّجود ويستوي جالساً ويرفع يديه ويقول : يا حيّ يا قيوم ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا إله الاوّلين والاخرين، يا رحمان الدنيا والاخرة ورحيمهما ، يا ربّ يا ربّ ، ثم يقوم رافعاً يديه ويقول : يا ربّ يا ربّ يا ربّ ، يا عظيم الجلال يا عظيم الجلال يا عظيم الجلال ، يا بديع الكمال يا كريم الفعال ، يا كثير النّوال ، يا دائم الإفضال ، يا كبير يا متعال ، يا أوّل بلا مثال ، يا قيّوم بغير زوال يا واحد بلا انتقال ، يا شديد المحال ، يا رازق الخلائق على كلِّ حال ، أرني وجه حبيبي وحبيبك محمد صلى الله عليه وآله في منامي ، يا ذا الجلال والاكرام .

ثم ينام في فراشه وغيره ، وهو مستقبل القبلة على يمينه ، ويلزم الصّلاة على نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى يذهب به النوم ، فانّه يراه صلى الله عليه وآله وسلم في منامه انشاء الله تعالى»[١] .

تحقيق حول رؤية الامام وكيفيته عجل الله فرجه :

المشهور عند الامامية امكان رؤية ألامام عجل الله فرجه ، أمّا كيفية هذه الرؤيا ؟ وهل هي في المنام ، أم في اليقظة ، أم انهما شيء واحد ، أم كلاهما ممكن ، أم يفرّق بين الامام المهدي وغيره من الائمة ؟ وجوه تحتاج الى تأمل .

وقبل بسط الكلام حولها ، لابدّ من ذكر أدلة الرؤيا لنرى ماذا يمكن

---

(١) راجع بحار الانوار ٩١ : ٣٨٠ باب الصلاة والدعاء عند النوم ح ٣ .

الاستفادة منها .

الدليل الاول : لجواز رؤية الامام عجل الله فرجه قول الامام الصادق عليه السلام : «للقائم غيبتان : احداهما قصيرة والاخرى طويلة ، الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها الاّ خاصة شيعته والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الاّ خاصة مواليه»[1] .

الدليل الثاني : ما رواه ابو بصير عن ابى عبدالله عليه السلام قال : «لابد لصاحب هذا الامر من غيبه ، ولابدّ له في غيبته من عزلة ، ونِعْمَ المنزل طيبة[2] ، وما بثلاثين من وحشة»[3] .

وظاهر قوله عليه السلام : «ما بثلاثين من وحشة» ان الامام ما زال يتصل بثلاثين شخص.لان أعمار الناس لا تطول فيثبت اتصال الامام بثلاثين شخص في كل عصر من العصور .

الدليل الثالث : ما رواه الشيخ في غيبته وكمال الدين عن الفتى الذي لقي الامام عند باب الكعبة .

قال عليه السلام : ما الذي تريد يا ابا الحسن؟

قال : الامام المحجوب عن العالم .

قال عليه السلام : ما هو محجوب عنكم ولكن حجبه سوء

---

(١) اصول الكافي ١ : ٣٤ باب في الغيبة ح ١٩ .

(٢) يقصد المدينة ، الاّ انّه وجدت رواية تشير الى ان طيبة اسم ضيعة للامام الصادق ، راجع البصائر : ١٢٢٤ باب في ان الامام ترايا له ملك الموت وجبرائيل ، وتقدمت الرواية في القصة الحادية عشر في المقام الثاني من بحث علم الائمة وكيفيته ..

(٣) اصول الكافي ١ : ٣٤ باب الغيبة ح ١٦ .

أعمالكم»[1].

الدليل الرابع: أقوال العلماء في جواز الرؤيا.

قال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: «انا لا نقطع على استتاره عن جميع اوليائه، بل يجوز ان يبرز لأكثرهم، ولا يعلم كل انسان الاّ حال نفسه»[2].

وقال السيد المرتضى في كتابه تنزيه الانبياء: «انه غير ممتنع ان يكون الامام يظهر لبعض اوليائه ممّن لا يخشى من جهته من أسباب الخوف [على الدين]».

وقال ابن طاووس في كتابه كشف المحجة عن ثمرة المهجة: «فصارت الغيبة حجة لهم عليهم السلام، وحجة له على مخالفيه في ثبوت امامته، وصحّة غيبته، مع انّه حاضر مع الله على يقين، وانّما غاب من لم يلقه عنهم لغيبتهم عن حضرة المتابعة له ولربّ العالمين».

وهذا منه قدس سرّه شيء عظيم، وقول كبير، ولكنّه الحق وعين الصواب، فلم يغب الامام المهدي عجل الله فرجه، ومنذ ولادته انما نحن غبنا عنه، نحن الغائبون وهو الموجود الحاضر، غيّبتنا سوء أعمالنا، وقبح سرائرنا، أغاثنا الله برحمته الرحيمية والرحمانية لنتشرف برؤية امامنا وسيدنا الامام المهدى ارواح العالمين له الفدى وعجل الله فرجه.

---

(١) راجع بحار الانوار (جنّة المأوي) ٥٣: ٣٢١.

(٢) كتاب الغيبة: ٧٥.

مناقشة :

بعد هذه النصوص والاقوال لا يصار الى ما ورد من كلام وروايات لنفي جواز رؤيا الامام المهدي عجل الله فرجه ، ولعلّ أهم دليل لذلك ما رواه الشيخ في كتاب الغيبة ، والطبرسي في الاحتجاج ، في التوقيع الى أبي الحسن السمري : قال عليه السلام : «يا علي بن محمد السمري اسمع أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فانك ميّت وما بينك وبين ستّة أيام ، فاجهل امرك ولا توصّ ألى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور الاّ بعد إذْن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد الأمد ، وقسوة القلوب وامتلاء الارض جورا ، وسيأتي من شيعتي من يدَّعي المشاهدة اَلاَ فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله العليّ العظيم»[1] .

وهذه الرواية وحسب فهمي القاصر ، اجنبية عن الموضوع ، وظاهرة في نفي الرؤيا التي تساوق الغيبة الصغرى ، او خروج الامام آخر الزمان ، ولا تتعرض لا من قريب ولا من بعيد ، الى نفي الرؤيا التي تقدم اثباتها ، وضمن الضوابط المتقدمة ، وتوضيح هذا الاجمال :

يحتمل في الرواية الشريفة احتمالان :

الاحتمال الاول : ان يكون الامام روحي فداه يريد ان ينفي الرؤيا

---

(١) غيبة الشيخ : ٢٥٧ وكمال الدين ٢ : ١٩٣ .

التي كانت ثابتة للسفراء الاربعة ، فيكون المعنى : اَلا فمن ادّعى المشاهدة التي كنْتَ تشاهدها فهو كذَّاب .

وهذا النوع من الرؤيا هو المحرم والذي كانت له احكام عامة وخاصة ، حيث كان من يريد يستطيع ان يكتب الى الامام عجل الله فرجه ، ويجيبه الامام ، وكان معروفاً لدى الجميع ، ان الامام يلتقى بالسفراء الاربعة وجهاً لوجه ، فروحي فداه يريد ان ينفي هذا النوع من الرؤيا .

اما الرؤيا الخاصة لبعض الاولياء الخلّص (ولمصلحة ما وضمن شروط تقدمت) فلا يريـد عليه السلام نفيها ، ولذا قال في الرواية المتقدمة : «ولا توصّي الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة ، فلا ظهور الاّ ...» .

الاحتمال الثاني : ان يكون مراد الامام نفي الرؤيا والظهور المساوق لخروجه النهائي عجل الله فرجه ، فيكون المعنى : من ادّعى الظهور النهائي قبل الصيحة فهو كذاب .

فروحي فداه ينفي هذا النوع من الظهور ، ويدل عليه قوله في نفس الرواية : وسيأتي من يدّعي المشاهدة اَلاَ فمن ادّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب» .

امّا الرؤيا الخاصة لبعض الموالين ، وضمن ضوابط شرعية فلا يريد عليه السلام ان ينفيها .

وخلاصة ما أرمي اليه من الاحتمالين ان الامام يريد ان ينفي الظهور والمشاهدة ، ولا يريد ان ينفي الرؤيا التي نريد اثباتها ، وفرق واضح بين المشاهدة والظهور وبين الرؤيا .

وعلى كل حال ، وان كان هذا خلْطاً منا بين المفهومين ، وكانت

الرواية ظاهرة في نفي الرؤيا التي نريد اثباتها ، فلابد من تأويل الرواية لعدم امكان الأخذ بها في مقابل الروايات المتقدمة عن المعصومين عليهم السلام وأقوال العلماء .

ونقدم عدة وجوه لذلك :

الوجه الاول : ان يكون المراد من الرواية نفي الرؤيا التي يخبر بها صاحبها مع التشهير بها امام الناس . وقد يستشم ذلك من لعن الامام عجل الله فرجه للرائي ، فكأنّ المسألة تؤدي الى البلبلة بين الناس ، وإلغاء للحكمة التي غاب من أجلها ، لذلك اهتم الامام بلعن المدعيّ لذلك .

الوجه الثاني : ان يكون المراد من الرواية نفي الرؤيا الشخصية للامام عليه السلام ، امّا رؤية نوره الشريف وسماع صوته فلا تنفيه الرواية .

الوجه الثالث : أن يكون المراد نفي الرؤيا التي تكون في اليقظة ، ولا تنفي الرواية الرؤيا التي تكون في المنام ؛ وهذا الوجه مبني على الفرق بين الرؤيتين وان رؤية الامام أو اهل البيت عليهم السلام في المنام ليست نفس الرؤيا التي تكون في اليقظة ، وسوف يأتي تفصيل ذلك .

الوجه الرابع : ما ذكر العلامة المجلسي قده من أن المنفي الرؤيا مع النيابة[1]

الوجه الخامس : ما ذكر العلامة الطبطبائي في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد من انّ المنفيّ الرؤيا مع المعرفة بأنّه الامام أثناء الرؤيا .

---

(١) راجع البحار ٥٢ : ١٥١ باب من ادعى الرؤيا في الغيبة الكبرى .

الوجه السادس : انّ المراد نفيّ الرؤيا التي تؤدي الى معرفة أحوال الامام ومكانه عجل الله فرجه .

تحقيق حول كيفية رؤية الامام عجل الله فرجه :

قلنا انه يوجد عدة احتمالات في كيفية الرؤيا وهي كالتالي :

١ ـ ان تكون رؤية الامام المهدي عليه السلام منحصرة بالمنام .

٢ ـ ان تكون رؤية الامام المهدي عليه السلام منحصرة باليقظة .

٣ ـ ان تكون رؤية الامام المهدي عليه السلام مشتركة بين المنام واليقظة على حسب المقامات .

وهذه الاحتمالات الثلاثة مبنية على كون الرؤيا في المنام مغايرة للرؤيا التي في اليقظة ، امّا بناءً على إتحادهما مفهوماً ومصداقاً ، او فقط مصداقاً ، فانّه لا تاتي هذه الاحتمالات .

نعم يحتمل التفريق بين الرؤيا للامام المهدي عجل الله فرجه ، والرؤيا لبقية الائمة عليهم السلام بناءً على صحة احاديث : «كذب من رأنا في الغيبة الكبرى» ؛ وبناء على صحة أحاديث : «من رآنا فقد رآنا انّ الشيطان لا يتشبث بنا» .

تمحيص في الروايات :

واذا رجعنا الى النصوص المتقدمة وجدنا بعضها يجوّز رؤية الامام المهدي في اليقظة ، كما تقدم في الطريق الثاني من الطرق الشرعية لرؤية

الامام عجل الله فرجه[1] . إضافة ألى رؤيته في المنام كما تقدم في نفس الحديث .

وبناءً على ذلك يجوز رؤية الامام المهدي عجل الله فرجه يقظة ومناماً بناءً على تغاير المفهومين، وبناء على كون رؤيا اليقظة أشرف ، فانّه يحتمل من الناس اَن تَرى الامام في كلا الحالتين على حسب مقامها ، وقربها من الحجة .

امّا بالنسبة لبقية أهل البيت عليهم السلام ، فالنصوص المتقدمة خالية عن إمكان رؤيتهم في اليقظة بل كلّها تشير انّ الرؤيا في النوم .

امّا حديث : «من رأنا فقد رأنا ان الشيطان لا يتشبث بنا» .

ففيه احتمالان : ان يكون المعنى ان من يرانا في المنام ، فانّه رانا واقعاً ويقظة ، فبناءً على ذلك يمكن اثبات الرؤيا لأهل البيت يقظة .

ويحتمل أن يكون المعنى ان من رانا في منامه فانّ منامه حقيقي ، وليس أضغاث أحلام ، لان الشيطان لا يمكنه ان يتمثل بصورنا ، وبناء على هذا الاحتمال ، والذي هو الموافق لصياغة الحديث ، فانه تنحصر رؤية أهل البيت عليهم السلام في المنام .

وبذلك تحمل احاديث : «كذبوا من رأنا في الغيبة الكبرى» على الرؤيا في اليقظة .

ويحتمل ان تكون مختصة بالامام المهدي عجل الله فرجه ، فَيُرْجَع الى الوجوه المتقدمة للتأويل .

فالخلاصة يمكن رؤية الامام المهدي عجل الله فرجه في المنام واليقظة ، أما رؤية اهل البيت عليهم السلام فمختصة بالمنام .

---

(١) راجع البحار ٨٦ : ٦١ ح ٦٩ وتقدم الحديث بكامله .

وهنا اذا راى شخص معين الامام عليه السلام في منامه، وأمره بفعل شيء معين فهنا يوجد تفصيل:

فان كان قد رأى الامام المهدي عليه السلام يقظة وعاينه، فانه لابد أن يمتثل جميع الأوامر، امّا ان راى الامام المهدي في المنام، او اهل البيت عليهم السلام، فإن كان الامر مستحباً او واجباً فالامر سهل.

اما ان كان يأمره الامام عليه السلام بفعل محرم، فان كان هذا المحرم من قبيل ترك الصلاة فيشكل الامر، بل يتجه المنع، وحمل هذه الرؤيا على اضغاث أحلام.

وان كان المحرم من قبيل قتل انسان مسلم، وكما حصل مع بعض الثقات في عصرنا الحاضر، فلابدّ من التوقف والاحتياط.

والأفضل في جميع هذه الصور، الرجوع الى اصحاب الخبرة من العلماء.

جوهرية حركة الامام المهدي عجل الله فرجه:

تعتبر حركة الامام المهدي عجل الله فرجه نحو الاصلاح والتكامل الخلقي، حركة متفردة باسلوب خاص يختلف عن بقية أساليب المصلحين من أنبياء وأئمة، ولا تكاد تشبه فيما أفهم أيّا من الحركات الاصلاحية باستثناء حركة الامام الحسين عليه السلام من الناحية الروحية، لما بين الحركتين من تفاعل وتكامل روحي، اذ يعتبر الامام الحسين عليه السلام والامام المهدي عجل الله فرجه محورين أساسيين لأهل البيت عليهم السلام.

ذلك ان حركة الامام المهدي عجل الله فرجه تعتبر الحركة الاشْمل مكاناً وزماناً والأميز طرحاً .

مكاناً : لانها تشمل جميع بقاع الارض ، والتي منها لم يدخلها من قبل أيّ امام معصوم او مصلح مبعوث ، بل بعضها لم تسمع بالاديان السماوية على إختلافها .

زماناً : من جهة ان زمانها يعتبر من الناحية العلمية ، الزمان المتطور والمتقدم نحو قمة التكنولوجيا .

ولذا سوف تتميز حركة الامام المهدي عجل الله فرجه من ناحية الدعوة لتأخذ اسلوباً خاصاً متناسباً مع التقدم الزمني والاتساع المكاني .

الامام المهدي عجل الله فرجه والتكنولوجيا :

في هذه الازمنة المتقدمة علمياً ، أصبح الناس ينظرون الى التقدم العلمي كميزان لتقييم الشخص ، فاذا أراد ان يدخل الرجل الى مجتمع من المجتمعات فعليه ان يبرز كفاءاته العلمية التي تكون متناسبة مع عصر وجوده ، والمتقدمة على كفاءات المجتمع .

واذا جئنا الى منقذ البشرية جمعاء من الظلمات الى النور ، المصلح الاول والاخير لجميع المجتمعات ، وجدناه يتميز وبكفاءة عالية على جميع المصلحين.

ومن هنا نقدر على تقييم حركة الامام المهدي عجل الله فرجه وانها الحركة البناءة الحاملة لأبرز أساليب التطور البشري .

عندما نسمع ان الغرب أصبح يستخدم أشخاصاً ليوقف خلاياهم

لمدة اكثر من مائة سنة ، ممّا يؤهل هذا الشخص ليشارك في الحياة الاجتماعية والعلمية لذالك المجتمع المستقبلي المتكامل ، وليزيد من الاكتشافات العلمية وبمختلف الاساليب في ذاك المجتمع .

عندما نسمع بأن الغرب اصبح يفكر بالقيام برحلات سياحية الى الفضاء ، او أصبح على استعداد للعيش في ذلك العالم الجديد .

عندما نسمع كلّ ذلك ، فهل نقدر على القول أنّ إمامنا المفدى صاحب الراية العليا ، وحامل علم الانبياء والائمة ، والذي سوف يكشف خزائن الارض والسماء ، سوف يهدّم كل هذه التكنولوجيا ، ليحكم الناس بالسيف وتحت ظل السيف ؟!

انّ في نظر كاتب هذه الاحرف ان الامام المهدي عجل الله فرجه سوف يخرج بتكنولوجيا متطورة عن عصر خروجه ، لان معجزة كل هاد لابد ان تكون باللسان الذي يفهمه المجتمع والمتناسب مع ظروفه ، وبما أنّ عصر الظهور من أدق العصور وأعظمها تطوراً ، فلابدّ ان تكون معجزة امامنا المفدى من جنس التطور الاّ انها اكثر دقة .

ان قيل : انّ المسألة تعبدية فيستطيع ان يلغي الامام عليه السلام كل التكنولوجيات ويخرج بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام .

قلنا : **أولاً** : كما يستطيع الامام عليه السلام إلغاء كل التطورات والذي يعتبر تخلفاً ورجوعاً الى الوراء ، ولو بنظر الغرب الذي بعضه مؤمن بحركة الاصلاح في آخر الزمان ، كذلك صلوات الله عليه يمكنه ان يطوّر هذه التكنولوجيا والذي يعتبر تقدماً عند تلك المجتمعات وأقرب للتصديق ، تلك المجتمعات التي اصبحت ترى للتطور وصاحبه الحقّ في سيادة العالم .

على انّ الروايات التي تشير الى ان الامام المهدي عجل الله فرجه يخرج بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، او بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ، لا يمكن حملها على ظاهرها ، لعدم امكان الرسول صلى الله عليه وآله التعبير بغير هذه التعابير .

فأيّ معنى لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : «ان المهدي عليه السلام سوف يخرج بسلاح اقوى من الذّرة والمراكب الفضائية» !

في الوقت الذي لم يقدروا على فهم البراق الذي عرج عليه صلوات الله عليه الى السماء الاّ انّه حمار له جناحين ؟!

أليس هذا مدعاة للتساؤل ؟ لماذا كان البراق ذا أجنحة ؟

وبعبارة أدق ، لماذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله البراق بأنه ذو أجنحة ؟

ذلك أن اهل الجزيرة لم يكونوا ليفكروا يوماً بانّ شيئاً يمكنه ان يطير بلا أجنحة ، فالنبي صلى الله عليه وآله لا يستطيع ان يتكلم بما هو فوق مستوى عقول قومه .

هذا مضافاً الى وجود روايات تشير الى ان الامام المهدي عجل الله فرجه سوف يخرج بكل معاجز الانبياء والائمة عليهم السلام ، وانّ الناس عندهم حرفين من حروف الاسم الاعظم ، وبقية الاحرف يكشف عنها نفس الامام عجل الله فرجه ، وما هذا الاّ خروج باسلوب متطور علمياً .

ثانياً : الحركة الاصلاحية للامام المهدي روحي فداه ليست مقتصرة على الشيعة او المسلمين، الذين يعيشون جانباً من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله ، بل حركة تشمل الكثير من المجتمعات الغربية التي تؤمن بوجود منقذ للبشرية ، او التي لم تُلْقَ عليهم الحجة بعد .

فاذا خرج بهدم التكنولوجيا ، فان ذلك في نظرهم خروج عن حركة المصلحين، وانّه لابد ان يخرج بما فيه اقامة للاعوجاج العلمي والخلقي.

فكما سوف يزيل الامام المهدي عجل الله فرجه الفساد الاجتماعي كذلك سوف يزيل الفساد العلمي ، ويعدّل التكنولوجيا لتكون تكنولوجيا متناسبة مع الشريعة السماوية.

واما قول القائل : ان الامام لم يخرج الاّ لتطهير الارض من هؤلاء.

فانه قول مع مجازفة ، والاّ فإنّ الامام المهدي عجل الله فرجه يؤمن بقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : «يا علي لئن يهدي بك الله رجلا واحدا خير ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ، ولك ولاؤه».

فليس الامام من دعاة الحرب والتشريد والدمار ، وليس من عشاق الدم ولن يكون !

ثالثاً : ان حاجات المجتمعات في هذا العصر أو العصور الاتية هي بنفسها تفرض نوعاً خاصاً من التطور ، امّا لكثرة سكانها ، أو لتباعدها ، أو حتى لإنعزالها في البحار ، فايّ معنى لإلغاء الهاتف واستبداله بالطائر ، في الوقت الذي اصبح هناك بلدان لا تستطيع ان تمرّ بها الطيور ، او ان تصل اليها ؟!

فاذا اردنا استبدال السيارات بالخيول ، فمتى نصل الى استراليا ، او الاسكمو !

ولست بصدد تعداد الجزئيات ، ولكن عزيزي القارىء اَلا توافقني في ان المجتمعات لا تستطيع ان تتخلى عن كثير من أساليب الحياة المتطورة.

كيف ؟ وقد تطور أئمتنا مع اساليب الحياة ، فانظر الى عصر الامام

الصادق عليه السلام ، كيف كان يعيش حتى قال لسفيان الثوري عندما اعترض على لباسه : «أُخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدب ، فامّا اذا أقبلت الدنيا فأحق بها ابراها لا فجّارها ، ومؤمنوها لا منافقوها»[1] .

أهم شرط لخروج الامام المهدي عجل الله فرجه :

كثيرا ما نصرخ قائلين: اللهم عجّل في ظهور امامنا المهدي .

الاّ اننا في الواقع نجهل معنى ذلك ، لاننا اذا لم نستعد لذاك الظهور المبارك فانّه سوف يكون علينا لا لنا .

إنّ أهم شرط لخروج امامنا المفدىّ هو الاصلاح ، وهو على نوعين:

١ ـ الاصلاح النفسي .

٢ ـ الاصلاح الخارجي .

فأما الاصلاح النفسي ، فيتقوم بتهذيب النفوس ، واستعدادها لتلقي المهمات الجسيمة التي تنتظر كل انسان يؤمن بالامام المهدي عجل الله فرجه .

مهمات لايتحملها الاّ رجال لا تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، نفوسهم عفيفة واجسادهم نحيفة .

قال الامام الصادق عليه السلام لابي بصير : «ما تستعجلون بخروج القائم ؟

(١) الكافي ٥ : ٦٥.

فو الله ما لباسه إلاّ الغليظ ، ولا طعامه إلاّ الجشب[1] ، وما هو إلاّ السيف ، والموت تحت ظلّ السيف»[2] .

وفي رواية أُخرى : عن المفضل قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالطّواف ، فنظر اليّ وقال لي : ما لي أراك مهموماً متغيّر اللّون ؟

فقلت له : جعلت فداك نظري الى بني العباس ، وما في أيديهم من هذا الملك والسلطان والجبروت ، فلو كان ذلك لكم لكنّا فيه معكم .

فقال عليه السلام : يا مفضل امّا لو كان ذلك لم يكن الاّ سياسة الليل[3] وسياحة النهار[4] ، واكل الجشب ، ولبس الخشن ، وشبه امير المؤمنين والاّ فالنار، فزوي ذلك عنّا فصرنا نأكل ونشرب ، وهل رأيت ظلامة جعلها الله نعمة مثل هذا»[5] .

وهذا اشارة الى عظم المهمة لقوّاد الامام عليه السلام ، وانّ امامهم عمل جسيم ، يحتاج الى لباس الغليظ ، وترك النعومة والراحة ، والى اكل الشعير ، ليتعود الانسان على ايّ طعام وجد ، اذ قد لا يتوفر حتى الشعير لهؤلاء السّواح .

---

(١) الجشب : الشعير .

(٢) غيبة النعماني : ١٢٢ وغيبة ألشيخ : ٢٩٢ .

(٣) اشارة الى رياضة النفس او الى حراسة الاماكن ، قال في النهاية : السياسة : القيام على الشيء بما يصلحه .. ويحتمل انه اشارة الى التخطيط والتدبير في الليل للمهمات العسكرية او السياسية لانصار الامام عجل الله فرجه وعلى الجميع فيه اشارة الى احياء الليل وقلة النوم والسهر على مصالح المسلمين .

(٤) اشارة الى الدعوة في النهار وخدمة الناس وفيه اشارة الى انه سفر طويل كالسائح .

(٥) الكافي ١ : ٤١٠ باب سيرة الامام في نفسه وفي المطعم .

والسيف كناية عن القوة التي لابدّ ان يستعدّ لها هؤلاء الرهبان .

أما الاصلاح الخارجي :

وهو مبتني على الاصلاح النفسي لانه من لم يصلح نفسه لا يقدر على إصلاح غيره ، وهذا الاصلاح يكون قبيل خروج الامام ، ويستمر مع الظهور المبارك .

واذا أردنا ان نخوض في هذا البحث لما أمكننا اختصاره ، لانه عبارة عن التكلم عن حركة الامام المهدي الاصلاحية ، منذ خروجه وحتى استقراره ، وتطهير الارض من الفساد ، فالاغماض عن ذلك لعلّه أولى .



القصة الخامسة عشرة

القصة الخامسة عشرة

تنور القلوب بحقيقة الايمان

عن اسحاق بن عمار قال :

سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح فنظر الى شابّ في المسجد ، وهو يخفق ويهوي برأسه ، مصفراً لونه ، قد نحف جسمه ، وغارت عيناه في راسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أصبحت يا فلان ؟

قال : أصبحت يا رسول الله موقناً . فعجب رسول الله من قوله .

وقال صلى الله عليه وآله : انّ لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟

فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أَحْزَنَني ، وأَسْهَرَ ليلي واظمأ هَوَاجري ، فَعَزِفَتْ نفسي عن

الدنيا وما فيها ، حتى كأنّي أنظر الى عرش ربّي وقد نُصب للحساب ، وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم ، وكأني أنظر الى اهل الجنّة يتنعمون في الجنة ويتعارفون ، وعلى الأرائِك متكِئون ، وكأنّي انظر الى اهل النار وهم فيها معذّبون مُصْطَرِخون ، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول الله لأصحابه :

هذا عبد نورّ الله قلبه بالايمان . ثم قال له : إلْزَم ما أنت عليه[1] .

فقال : ادع الله لي يا رسول الله ان أرزق الشهادة معك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[2] .

(١) وفي رواية أُخرى : أبصرت فأثبت .

(٢) اصول الكافي ٢ : ٥٣ ، أن الشخص هو حارث بن مالك بن النعمان الانصاري .

قصة عارف من عرفاء الله تعالى ، وولّي من أوليائه ، أخلص لله عز وجل العبادة أربعين صباحاً ، فجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، بعد ان أدخلها من لسانه الى قلبه .

صحابيّ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، تنوّر قلبه بنور الحقيقة ، وهو في ريعانة الشباب ، فعاين ملكوت السموات بعد خروج روحه من سجنها ، أصبح يعيش الآخرة قبل قيام الساعة ، اتصف بصفة المتقين الذين وصفهم أمير المؤمنين وسيد المتقين علي بن أبي طالب بقوله :

«فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنّار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون»(١) .

عرف الداء والدواء ، وانّهما تحت إختياره ، فقام بالسير نحو الدواء ليزيل الداء .

عرف أن الداء يكمن في داخله ، وبالذات في قلبه ، فقام بتطهيره من الرين الذي كاد أن يغطي صحيفة القلب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة

---

(١) نهج البلاغة : ٣٠٣ خ المتقين : ١٩٣ .

سوداء في قلبه، فإن تاب ونَزَعَ واستغفر صقل قلبه منه، وإن إزدادت فذلك الرين الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ ***كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون*** ﴾[1].

وفي رواية أُخرى عن الباقر صلوات الله عليه قال:

« ***ما من عبد الاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فاذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السّواد، وانْ تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فاذا غطّي البياض لم يرجع صاحبه الى خير أبداً*** ، وهو قول الله عز وجل: ﴿ ***كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون*** ﴾[2].

فبولادة الانسان يكون القلب فطرياً وسليماً عن كل عيب، وخالياً من كل رين، كالصحيفة البيضاء عن أيّة كتابة.

وتستمر هذه الحالة بالانسان، وهذا النقاء في قلبه الى أوان البلوغ، فعندها يصبح الانسان محاسباً على أعماله وحركاته، فكلّما أذنب ذنباً طبع على صحيفته أثره، فاذا إزدادت ذنوبه، إزدادت الاثار على قلبه حتى يُختَم على قلبه، فيصبح غارقاً في الذنوب، بعيداً عن الفطرة، خالياً من الضمير والوجدان، بلا رقيب ولا عتيد، وعندها تستوي الموعظة وعدمها، بل لربما تصبح الموعظة عنده شيئاً تافهاً يبعده عن مقصوده.

وفي المقابل اذا الانسان حافظ على فطرته وأبقى صحيفة القلب بيضاء، ولم يلوّثها بالريونات، بل نقاها بالواجبات، فانّه ينطلق الى الازدياد من هذه الآثار حتى تؤدي به الى تنور قلبه بحقيقة الايمان.

---

(١) تفسير نور الثقلين ٥: ٥٣٢ح ٢٤.

(٢) تفسير نور الثقلين ٥: ٥٣١ح ٢٢ والبحار ٧٣: ٣٣٢ والآية من سورة المطّففين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« *ان الايمان يبدو لُمْظَةً في القَلْب كلّما إزداد الايمان إزدادت اللمظة*»[1] .

حتى تؤدي به الى إنارة سبيله ومعرفة مناره ، ليعاين الآخرة قبل قيامها ، حتى يصبح مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام :

« *قد أَبْصَر طريقه ، وسَلَكَ سبيله ، وعَرِف مناره ، وقطع غماره*[2] ، *واستمسك من العُرَى بأوثقها ، ومن الجبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس ، قد نَصَبَ نفسه لله ـ سبحانه ـ في أرفع الامور ، من إصدار كلّ وارد عليه ، وتصيير كلّ فرْع الى أصله .*

مِصْبَاح ظُلُمَاتٍ ، كشاف عَشَوَات[3] ، *مفتاح مُبْهَمَات ، دَفَّاعُ معضلات ، دليل فلوات ، يقول فَيُفْهِم ، ويَسْكتُ فَيَسْلُم ، قد أخلاص لله فإسْتَخْلَصَهُ ، فهو من معادن دينه ، وأَوْتاد أرضِه*»[4] .

وبعد هذه المرحلة يدرك الانسان أثار تصفية القلب ، وتَخْلِيتِهِ من كل عيب ونقص ، ثم تَحْلِيتِهِ بكل كمال وفضل ، ولعلّ أفضل أثر يحصل للسالك الى طريق الله سبحانه وتعالى هو إيتاء الحكمة ومن يؤتى الحكمة فقد أُوتى شيئاً عظيماً .

قال الامام الباقر عليه السلام : «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذْ لقيه ركب ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله .

---

(١) نهج البلاغة : ٥١٨ الحكمة : ٥ .

(٢) جمع غَمْره وهو معظم البحر والمراد انّه عبر بحار المهالك الى سواحل النجاة .

(٣) جمع عَشوَةَ وهي الامر الملتبس .

(٤) نهج البلاغة : ١١٨ الخطبة : ٨٧ .

فقال : [وعليكم السلام] من أنتم ؟

فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله : فما حقيقة إيمانكم ؟

قالوا : الرضا بقضاء الله ، والتفويض الى الله ، والتسليم لامر الله تبارك وتعالى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علماء حكماء ، كادوا أنْ يكونوا من الحكمة أنبياء ، فإنْ كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون[1] ، ولا تجمعوا ما لا تأكلون[2] ، واتقوا الله الذي اليه ترجعون»[3] .

---

(١) يشير صلوات الله عليه الى الدنيا وان مقركم الطبيعي والحقيقي هو الاخرة فاتجهوا الى بنائها فهي مسكنكم ، واتركوا الدنيا التي هي مسكن غيركم .

(٢) يشير صلوات الله عليه الى المال فانّه ان كان جمعه للدنيا فلن ينالوا منه شيئاً ، وان كان جمعه للآخرة ولمرضات الله عزوجل فهو داخل تحت الموعظة الثالثة له صلى الله عليه وآله وهي : «واتقوا الله الذى اليه ترجعون» .

(٣) اصول الكافي ٢ : ٥٢ باب حقيقة الايمان واليقين ح ١ .



القصة السادسة عشرة

القصة السادسة عشرة

بر الوالدين وآثاره

عن ابي عبدالله عليه السلام : قال :

ان رسول الله صلى الله عليه وآله حضر شاباً عند وفاته ، فقال له : قل : لا إله الا الله .

قال : فاعتقل لسانه مراراً .

فقال صلى الله عليه وآله لإمْرَأَةٍ عند رأسه :

هل لهذا امٌّ ؟

قالت : نعم أنا أمّه .

قال : أَفَساخِطَةٌ أنت عليه ؟

قالت : نعم ، ماكلّمته منذ ستّ حجج .

قال لها : ارضي عنه . فقالت : رضي الله عنه برضاك يا رسول الله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : قل لا اله الا الله . قال : فقالها .

فقال النبي صلى الله عليه وآله ما ترى ؟

فقال : أرى رجلاً أسود ، قبيح المنظر ، وسخ الثّياب ، منتن الرّيح ، قد وليني الساعة فأخذ بكظمي .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : قل : يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ، إقْبَل منّي اليسير وأُعف عنّي الكثير ، إنّك أنت الغفور الرحيم .

فقالها الشاب .. فقال له النبي صلى الله عليه وآله : اُنظر ما ترى ؟

قال : أرى رجلاً أبيض اللّون حسن الوجه ، طيب الريح حسن الثياب قد وليني ، وأرى الأسود قد تولى عنّي . قال صلى الله عليه وآله : أَعِدْ . فأعاد .

قال صلى الله عليه وآله : ما ترى ؟ قال : لست أرى الاسود وارى الابيض قد وليني ، ثم طفى[1] على تلك الحال[2] .

(١) طفى الرجل : اذا مات .

(٢) بحار الانوار ٧٤ : ٧٥ ، عن امالي الطوسي ١ : ٦٢ وراجع امالي المفيد : ٢٨٧ .

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وقضى ربك الاّ تعبدوا الاّ إيّاه وبالوالدين احسانا ، امّا يبلغن عندك الكبر احدهما ، او كلاهما فلا تقلّ لهما اُف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[1] .

وقال عز اسمه :

﴿ وان اشكر لي ولوالديك ﴾[2] .

وسوف نتناول ثلاثة أبحاث رئيسية حول الوالدين وبرّهما ومن خلالها يتضح معنى الايات المتقدمة وغيرها[3] .

البحث الاول : حقيقة البرّ وحدوده .

البحث الثاني : آثار البرّ .

البحث الثالث : تربية الأولاد وحقوقهم .

---

(١) الاسراء : ٢٣ و ٢٤ .

(٢) لقمان : ١٤ .

(٣) وتمام الآيات التي لها ربط بالبحث : البقرة : ٨٣ ـ الانعام : ١٥١ ـ آل عمران : ٩٢ ، براءة : ٢٣ ، ١١٤ ـ مريم : ١٤ و ٣٢ ـ العنكبوت : ٨ ـ الاحقاف : ١٥ ، لقمان : ١٤ .

حقيقة البر وحدوده :

قال أبو ولّاد الحنّاط : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿ *وبالوالدين احساناً* ﴾ ما هذا الاحسان ؟

قال عليه السلام : الاحسان ان تحسن صحبتهما ، وان لا تكلّفهما ان يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان اليه ، وان كانا مستغنيين[1] ، أليس يقول الله عزوجل : ﴿ *لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون* ﴾[2] .

ثم قال ابو عبدالله عليه السلام : وامّا قول الله عزوجل : ﴿ ***اما يبلغن عندك الكبر احدهما ، او كلاهما ، فلا تقُل لها افّ ، ولا تنهرهما*** ﴾ .

قال : إن أضجراك فلا تقل لهما : اف[3] ؛ ولا تنهرهما ان ضرباك ؛

قال : [اما قوله تعالى] : ﴿ ***وقل لهما قولاً كريماً*** ﴾ ان ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما فذلك منك قول كريم .

قال : [امّا قوله تعالى] ﴿ ***واخفض لهما جناح الذّل من الرحمـة*** ﴾ ،

---

(١) بمعنى انهما حتى لو كانا قادرين على تحصيل المال ونحوه من غيرك او كانا مالكين له لابد من اعطائهما وعرض المال عليهما قبل ان يطلباه منك ، بل لابد من إعطائهما المال ابتداءً ، ولعلّه لما فيه من حياء عند الوَالِد أن يطلب من إبنه (ولو عند البعض) ، كما انّه فيه إشارة الى احترام الاب والام وترفعهما عن الطلب المسألة .

(٢) آل عمران : ٩٢.

(٣) الافُّ في الاصل وسخ الاظفار ، ثم استعمل فيما يستقذر ، ثم في الضجر ، وقيل معناه الاحتقار.

قال : لا تملأ عينيك من النظر اليهما الاّ برحمة ورقة[1] ، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يدك فوق أيديهما[2] ، ولا تقدم قدامهما[3]»[4] .

قال في مجمع البيان :

«والبرّ اصله من السعه ، ومنه البَرُّ خلاف البحر ، والفرق بين البرّ والخير ، ان البرّ هو النفع الواصل الى الغير ابتداءً مع القصد على ذلك ؛ والخير يكون خيراً وان وقع عن سهو ؛ وضد البرّ العقوق ، وضد الخير الشرّ»[5] .

وبرّ الوالدين من الواجبات المؤكدة وتركه من الكبائر بلا خلاف ظاهر ، انما وقع الكلام في حدوده الواجبة والمستحبة ، وانّ كلّ ما ذكر في الرواية المتقدمة ، وما يأتي هل واجباً ام مستحبا ؟ بعد الفراغ عن كونه من الاداب الراجحة .

---

(١) وفي رواية اخرى عنه عليه السلام : «ومن العقوق ان ينظر الرّجل الى والديه فيحدّ النظر اليهما» كافي ٢ : ٣٤٩ .

(٢) قال المجلسي الاول عليه الرحمة : المراد انّه اذا انلتهما شيئا فلا تجعل يدك فوق أيديهما وتضع شيئا في يدهما ، بل أُبسط يدك حتى يأخذا منها فانّة أقرب الى الأدب ، وقيل المعنى انّه لا تأخذ ايديهما اذا ارادا ضربك ، ويحتمل ان يراد الاعم من ذلك فيكون كناية عند شدة الاحترام في المعاملة مع الاهل لذا كان الامام زين العابدين عليه السلام يخاف ان ياكل مع والدته لكي لا تسبق يده الى شيء قد وقع نظرها عليه .

(٣) سواء في المطعم او الملبس او المجلس او المشي .

(٤) اصول الكافي ٢ : ١٥٧ باب برّ الوالدين ح١ .

(٥) مجمع البيان ٢ : ٤٧٣ .

حدود البرّ عند العلماء :

قال في شرح الشرائع :

« وكما يعتبر إذنهما في الجهاد يعتبر في سائر الاسفار المباحة والمندوبة ، وفي [الاسفار] الواجبة الكفائية مع قيام من فيه الكفاية . [الى ان يقول] وطاعتهما تجب ، ولا تجوز مخالفتهما في أمر يكون أنفع له ، ولا يضر بحاله ديناً أو دنيا ، أو يُخْرِجُ عن ذيّ أمثاله ، وما يتعارف منه ، ولا يليق بحاله بحيث يذمّه العقلاء .

ويعترفون انّ الحقّ أنْ لا يكون كذلك ، ولا حاجة له في ذلك ، ولا ضرر عليه بتركه» . انتهى كلامه رفع من مقامه .

وقال الشهيد قدس سرّه في القواعد :

«قاعدة تتعلق بحقوق الوالدين : لا ريب ان كل ما يحرم او يجب للأجانب ، يحرم او يجب للأبوين ، وينفردان بأُمور :

الاول : تحريم السفر المباح بغير إذنهما ، وكذا السفر المندوب ، وقيل بجواز سفر التجارة وطلب العلم ، اذا لم يمكن استيفاء التجارة والعلم في بلدهما .

الثاني : قال بعضهم : تجب عليه طاعتهما في كلّ فعل ، وان كان شبهة ، فلو أمراه بالأكل معهما في مال يعتقده شبهة أَكَلَ ، لأنّ طاعتهما واجبة ، وترك الشبهة مستحب .

الثالث : لو دعواه الى فعل وقد خضرت الصلاة فليؤخّر الصلاة وليطعهما .

الرابع : هل لهما منعه من الصلاة جماعة ؟ الاقرب أنّه ليس لهما منعه مطلقاً ، بل في بعض الأحيان ، لما يشقّ عليهما مخالفته كالسعي في ظلمة الليل الى العشاء والصبح .

الخامس : لهما منعه من الجهاد مع عدم التعين ، لما صحّ ان رجلاً قال : «يا رسول الله أُبايعك على الهجرة والجهاد ؟

فقال صلى الله عليه وآله : هل من والديك أحد ؟

قال : نعم ، كلاهما .

قال صلى الله عليه وآله : أتبغي الأجر من الله ؟

قال : نعم .

قال صلى الله عليه وآله : فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما .

السادس : الاقرب انّ لهما منعه من فروض الكفاية اذا علم قيام الغير او ظنَّ ، لأنّه حينئذ يكون كالجهاد الممنوع منه .

السابع : قال بعض العلماء : لو دعواه في صلاة النافلة قطعها ، لما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «انّ إمرأة نادت إبنها وهو في صلاته قالت : يا جريح !

قال : اللهمَ أُمّي وصلاتي .

قالت : يا جريح !

فقال : اللهم أُمي وصلاتي .

فقال صلى الله عليه وآله : لا يموت حتّى ينظر في وجوه المومسات[1] .

---

(١) حيث ادعت عليه بغيّة بولد فقام الملك بحرق صومعته وإهانته فانطق الله الولد ونطق بالحقيقة راجع البحار ٧٤ : ٧٥ ح ٦٨ .

وفي بعض الروايات انّه صلى الله عليه وآله قال : «لو كان جريح فقيهاً لعلم أنّ إجابة اُمّه أفضل من صلاته ، وهذا الحديث يدلّ على قطع النافلة لأجلها ، ويدلّ بطريق أولى على تحريم السّفر ، لأنّ غيبة الوجه فيه أكثر وأعظم[1] ، وهي [اُم جريز] كانت تريد منه النظر اليها والاقبال عليها .

الثامن : كفّ الأذى عنهما ، وان كان قليلاً بحيث لا يوصله الولد اليهما ، ويمنع غيره من إيصاله بحسب طاقته .

التاسع : ترك الصوم ندباً إلاّ بإذن الأب ، ولم أقف على نص في الامِّ.

العاشر : ترك اليمين والعهد الاّ باذنه أيضا [الأب] ما لم يكن في فعل واجب او ترك محرّم ؛ ولم أقف في النّذر على نصّ خاص ، الاّ ان يقال هو يمين يدخل في النهي عن اليمين الاّ بإذنه .انتهى كلامه رفع من مقامه .

حدود البرّ في الروايات :

ومن طرق أهل البيت عليهم السلام ورد عدّة روايات تشير الى حدود البرّ :

منها ما تقدم في رواية أبي ولاّد مفصلاً[2] .

ومنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « **من أحزن والديه فقد عقّهما**»[3] .

---

(١) لانّ مدة السفر أطول فيغيب عن وجه اُمّه اكثر من مدة الصلاة .

(٢) عن الكافي ٢ : ١٥٧ باب البرّ بالوالدين ح ١ .

(٣) بحار الانوار ٧٤ : ٨٤ عن كتاب الامامة والتبصرة لعلي بن بابويه .

ومنها ما روي عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «ومن العقوق ان ينظر الرجل الى أبويه يحدّ اليهما النظر»[1].

ومنها ما ورد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «ان الله أمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله تعالى»[2].

ومنها ما روي عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «من نظر الى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»[3].

ثم لا فرق في وجوب البرّ بين الابوين المؤمنين او المشركين، ولا بين كونهما حييّن او ميتين، قريبين او بعيدين.

قال الامام الصادق عليه السلام «ما يمنع الرّجل منكم ان يبرَّ والديه حييّن وميتين: يصلي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله عزوجل ببرّه وصلته خيراً كثيراً»[4].

وفي رواية اخرى عن جابر قال: «سمعت رجلاً يقول لأبي عبدالله عليه السلام: انّ لي أبوين مخالفين؟

فقال عليه السلام: برّهما كما تبرُّ المسلمين ممّن يتولاّنا»[5].

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«ان العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي

---

(١) اصول الكافي ٢: ٣٤٩ باب العقوق ح ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٨ والخصال ١: ٧٥.

(٣) اصول الكافي ٢: ٣٤٩ باب العقوق ح ٥.

(٤) اصول الكافي ٢: ١٥٩ باب بر الوالدين ح ٧.

(٥) اصول الكافى ٢: ١٦٢، باب بر الوالدين ح ١٤.

عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقّاً ، وانّه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بارّ بهما ، فاذا ماتا قضى دينهما ، واستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل بارّاً»[1] .

برّ الامّ أفضل :

أُماه قد شاب رأسي وانطوى العُمُر
ولم يزل ملؤ أنفي جَيْبُكِ العَطِرُ
عليهم اللبن الثديين باقية
ومن شفاهي ومن أقذائها أثَرْ
أُماه إنْ كانت الجنّات موقعها
من تحت رجليك فيما يُنقل الخبر
فما بصدرك من خيرٍ ومن كِبَرِ
يَضّلُ أكبر ممّا تُحَدِّث الفِكَرُ

برّ الأُمّ أفضل من برّ الاب لانّ العناء الذي تلقاه أعظم من عناء الاب ، مع الفضل الذي للاب .

قال الامام الصادق عليه السلام : «جاء رجل الى النّبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ أبرُّ ؟

قال صلى الله عليه وآله : أُمّك .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال صلى الله عليه وآله : أُمّك .

---

(١) نفس المصدر : ح ٢١ .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال صلى الله عليه وآله : أُمّك .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال صلى الله عليه وآله : أباك»[1] .

وتقدم في الايات القرآنية ما ينبّه على عناء الام خاصة قوله تعالى : ﴿ ووصّينا الانسان بوالديه ، حملته أُمّه وهناً على وهن ، وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير﴾[2] .

وأشار الامام الصادق عليه السلام الى بعض هذا العناء لإبراهيم بن مهزم ، الذي أغلظ على أُمّه في الكلام ، قال عليه السلام :

يا أبا مهزب مالك وللوالدة[3] ، أغلظت في كلامها البارحة ؟ أَمَا علمتَ ان بطنها منزل قد سكنته وانّ حجرها مهد قد غمزته ، وثديها وعاء قد شربته»[4]

أثار البرّ :

ويمكن تقسيم الاثار الناتجة عن صلة الوالدين وبرهما الى اربعة اقسام :

١ ـ آثار نفسية .

---

(١) اصول الكافي ٢ : ١٦٠ باب برّ الوالدين ج ٩ وسنن ابن ماجة ٢ : ١٢٠٧ .

(٢) لقمان : ١٤ .

(٣) في نسخة البحار : مالك ولخالدة : ٧٤ : ٧٦ .

(٤) بصائر الدرجات : ٢٤٣ باب ان الائمة يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرّهم ح ٣ .

٢ ـ آثار اجتماعية .
٣ ـ آثار مادية ودنيوية .
٤ ـ آثار أُخروية .

الآثار النفسيّة للبرّ :

فُطِرَ الانسان على محبة الوالدين والتعلق بهما ، لِمَا أودع الله عزوجل بحكمته من الميول إليهما ، وتزداد هذه العلاقة وذلك الحبّ يوماً بعد آخر بنشوء الطفل بين أبويه .

حتى اذا بلغ الطفل السادسة او السابعة من عمره ، إنتقل الى مرحلة اخرى ، حيث يصبح قادراً على تلقي مقدمات العلوم والعبادات ، كما سوف يأتي تفصيله .

فاذا أصبح في الخامسة عشرة من عمره ، والذي يعتبر أوان البلوغ عنده ، أصبح بحاجة الى عناية اكثر ، وتعليمه العلوم المحيطة به ، والمحتكة بمجتمعه ، والتى منها تعليمه الاسلام ، وتقوية عقيدته به ، قبل ان ينخرط في التيارات الاخرى المنحرفة ، او المذاهب الضالّة .

ثم الى جانب ذلك يحتاج الشاب الى المؤآخات والمدارات من قبل أبويه ، كاسلوب من الأساليب لتربيته ، وهذا ما سوف ياتي تفصيله أيضاً .

حتى اذا بلغ العشرين من العمر فما فوق ، على حسب الاشخاص ، رَجعَ الى فطرته ، ليعود ويتعلق بأهله ، امّا عن وعي وإدراك لأهمية الوالدين ، او عن تربية اسلامية من قبل معلميه ، او أهله ، او حتى مجتمعه .

ومن هنا تبرز الاثار النفسية للبرّ ، فان الانسان بقدر ما يكون مرتبطاً بأهله ، بقدر ما يجد لذة روحية في نفسه ، واستقراراً نفسياً في حياته ، فانّه بقدر ما يعود الى فطرته ، بقدر ما يشعر بلذة البرّ الى أهله .

ولذا نجد انّ اكثر العاهات النفسية لدى المصابين بالامراض العصبية او الجنونية ، سببها المحيط الذي يعيشون به ، والتفكك الذي يحيط بهم ، الداخلي منه ام الخارجي .

فكثير من المشاكل ، سببها التفكك الداخلى بين الاب والابن ، او بين الام والبنت ، والتي بدورها تنتج مشاكل اجتماعية ونفسية ، لتنعكس على مستقبل الفرد الشخصي او الاجتماعي .

فمن العقّ تحصل المشاكل النفسية ، ومن البرّ تزول .

من البرّ تقوى العلاقة بين الابن والاب ، وتترابط العلاقة بين الاسرة الواحدة ، لتصبح أُسرة تعاون وحبٌ وتعارف ، أُسرة يحكمها الاحترام المتبادل بين جميع افرادها .

اما العقوق فهو الذي يفكك الاسرة وجميع أفرادها ، ويجعل الاحترام بين الاسرة الواحدة قائم على اساس تبادل المصالح ، وهذا بدوره يهدّم شخصية الولد ، الذي يصبح ينظر الى المجتمع من خلال ما عاينه من أبويه ، وتصبح العلاقة التى تحكمه في المجتمع علاقة تقوم على اساس تبادل المصالح ، لأنّه اذا كان مع أبويه يتعامل بذلك فما حاله مع غيرهما ؟

وبذلك يكون الولد ومن نتيجة تركه للبرّ ، قد فَسُدَ نفسياً بل واجتماعياً ، ومن هنا تاتي أهمية ألبرّ ، والبرّ من الطرفين ، ضرورة أن البرّ من طرف واحد لا يفيد لان الأب قبل ان يطلب الاحترام من ولده ، لابدّ ان

يكون قد قدّم كل ما أُخِذَ على عاتقه من حقوق لولده ، والتي من جملتها تربية الولد واحترامه والرأفة به ، فعندها تكون أغلب المشاكل امام الولد قد فقدت ، فيتجه الى برّ والديه واحترامهما ، لتنعكس هذه الحالة على شخصيته المستقبلة والتي بدورها سوف تواجهه عند ما يصبح صاحب منزل ، وهذا ما سوف نبحثه مفصلاً فيما يأتي .

الآثار الاجتماعية للبرّ:

بعد معرفة الآثار النفسية للبرّ تتضح الاثار الاجتماعية له ، ذلك انّ المجتمع مجموعة أفراد ، فاذا كان كلّ فرد من أفراد المجتمع يعيش الاحترام المتبادل يصبح المجتمع كذلك .

فلبرّ الوالدين الاثر الكبير في صلاح المجتمع ، لانّ الولد اذا قام باحترام أبويه ، فانّه سوف يتعود على احترام كلّ كبير ، ولو باضافة التربية الصالحة ، وفي المقابل سوف يبادله الكبير بالرحمة والرأفة .

امّا إذا فقد البرّ من المجتمع ، وأصبح الصغير لا يحترم الكبير ، والكبير لا يرحم الصغير ، فان المجتمع سوف ينقسم الى طبقتين،

طبقة الشباب وطبقة الشيوخ

طبقة بيدها القوة البدنية ، وطبقة بيدها القوة العلمية ، او التجربة الاجتماعية .

وهذا من أخطر الامور المهدمة في المجتمع .

اذا أصبح جيل الشباب منفصلاً عن الأباء ، وبعيدا عن التجارب الاجتماعية والخبرات المعيشية ، أصبح وجوده في المجتمع ناقصاً ،

ومهما بالغ في التقدم لاصلاح المجتمع فانه لن يقدر على تعويض النقص الحاصل من بُعْدِ الاباء عن المجتمع .

وكذلك اذا أصبح الآباء منفصلين عن جيل الشباب ، وبعيدين عن البنيّة الاسياسية التي تقيم المجتمع اقتصادياً ، او سوف يقوم عليها المستقبل القريب للمجتمع .

وقد رأينا الكثير من المجتمعات الذين عاشوا هذا التفكك الاجتماعي، وكيف كانت المشاكل الاجتماعية على ساق وقدم ، نتيجةً للتفكك بين الاباء والابناء .

وكيف يستقيم المجتمع وفيه الاب يضرب الابن ، والابن يهين الاب ؟ كيف يزدهر المجتمع ويتقدم نحو الافضل ، وهو مشغول بصراعات داخلية هدّامة ؟

ومن هنا تبرز أهمية البرّ ، وكما تبرز أهمية التربية ، والتوازن بين البر من طرف الابن ، والرحمة من طرف الاب كما سوف نذكر .

وممّا لا شك فيه ان الحقّ غالباً ما يكون في طرف الأب ، وغالباً ما يكون المقصّر في هذه المسائل الولد ، بل طبقة الاباء مقدمة على طبقة الشباب كما اشار رسول الله صلى الله عليه وآله الى ذلك بقوله :

«رأي الشيخ أحبّ اليّ من جلد الغلام» .

لما في رأي الشيخ من الاصلاح للمجتمع واقامة إعوجاجه .

نعم تقصير الاولاد قد يكون ناتجاً من سوء التربية من قبل الاباء .

الآثار المادية للبرّ:

وهذه الاثار هى نتيجة نجاح العلاقة الاجتماعية بين الولد وأبويه، إذ انّ الولد اذا نجح في اصلاح العلاقة بينه وبين أبويه، فانّه ينطلق ـ وباسلوب أنجح ـ الى المجتمع، فهو استفاد من جيل الآباء، ذلك الجيل الذي كلّه تجارب، واستفاد من جيله الحاضر الذي يحاول أن يتكامل معه.

والروايات الشرعية متظافرة في الاشارة الى الاثار الدنيوية والمادية:

فمنها ما يشير الى ان البرّ يزيل الفقر ويزيد في الرزق، كما روى عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«من أحبّ ان يخفّف الله عز وعلا عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه بارّاً، فاذا كان كذلك، هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبدا»(١).

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام: «انّ البرّ يزيد في الرزق»(٢).

وما جرى مع صاحب بقرة بني اسرائيل خير مدلل على ذلك(٣).

ومنها ما يشير الى ان البرّ يطيل العمر، قال الامام الصادق عليه

---

(١) أمالي الصدوق ٢٣٤ وبحار الانوار ٧٤: ٦٦.

(٢) البحار ٧٤: ٨١.

(٣) حيث أن الولد لم يوقظ أباه ومنع نفسه من رزق كبير لكي لا يزعج أباه فرزقه الله تعالى رزقاً أكبَر اذ جعل بني اسرائيل يشترون البقرة بوزنها ذهباً، راجع عيون اخبار الرضا ٢: ١٣ والبحار ١٣: ٢٦٩.

السلام :

«ان احببت ان يزيد الله في عمرك فسرَّ أبويك»[1]

وفي رواية اخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«رأيت بالمنام رجلاً من أُمّتي قد أتاه ملك الموت يقبض روحه ، فجاءه برّه بوالديه فمنعه منه»[2] .

ومنها ما يشير الى انّ البرّ يزيد في النسل ، ويُعِزُّ الانسان ، كما روي في الدرة الباهرة عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال :

«العقوق ثكل من لم يثكل» وقال عليه السلام «العقوق يعقّب القلّة ويؤدي الى الذلّة»[3]

وفي رواية عن الامام الرضا عليه السلام قال :

«حرّم الله عز وجل عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله تبارك وتعالى . وما يدعو من ذلك الى قلّة النّسل»[4] .

الآثار الاخروية للبرّ :

وهى الآثار التي وعد الله عزوجل بها البّار لوالديه ، وهي كثيرة نذكر منها :

١ ـ تخفيف سكرات الموت .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) البحار ٧٤ : ٨٠ نقلا عن روضة الواعظين للشهيد الفتال النيشابورى .

(٣) البحار ٧٤ : ٨٤ .

(٤) علل الشرايع ٢ : ١٦٤ .

وتقدم في هذه القصة ما فيه كفاية ، وكيف ان البرّ أزال عن الرجل قرين السوء الذي كان نتيجة العقوق .

٢ ـ تخفيف الحساب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«بر الوالدين وصلة الرحم تهونان الحساب»[١] .

٣ ـ بناء الجنّة : قال الامام الباقر عليه السلام : «أربع من كنَّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنّة ، من آوى اليتيم ، ورحم الضعيف ، وأشفق على والديه ، ورفق بمملوكه»[٢] .

٤ ـ إسكانه أعلى عليين : كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال :

«أربع من كنَّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين ، في غرف فوق غرف ، وفي محل الشرف كلِّ الشرف : من آوى اليتيم ونظر له فكان له أباً ، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه ، ومن انفق على والديه ورفق بهما وبرّهما ، ولم يحزنهما ، ومن لم يخرق[٣] بمملوكه ، وأعانه على ما يُكَلِّفه ، ولم يَسْتَسِعْهُ فيما لم يطق[٤]»[٥] .

٥ ـ قبول التوبة : قال الامام علي بن الحسين عليهما السلام :

«جاء رجل الى النّبي فقال : يا رسول الله ما من عمل قبيح الاّ قد عملته فهل لي من توبة» ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فهل من والديك أحد حيّ ؟

---

(١) البحار ٧٤ : ٨٥.

(٢) الخصال ١ : ١٠٦ .

(٣) الخرق ضد الرفق .

(٤) اى ان يوسع عليه ولا يضغط عليه .

(٥) أمالي الطوسي ١ : ١٩٢ .

قال : أبي .

قال صلى الله عليه وآله : فاذهب فبرّه .

فلمّا ولي قال رسول الله لو كانت أُمّه»[1] .

٦ـ تحقيق رضى الله : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«رضى الله عزوجل مع رضى الوالدين ، وسخط الله مع سخط الوالدين»[2] .

وفي المقابل تأتي آثار العق :

فان العاقّ لا يشم رائحة الجنة ، كما روي عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام ، قال : «اذا كان يوم القيامة كُشِفَ غطاء من أغطية الجنّة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام الاّ صنف واحد ، قلت من هم ؟

قال عليه السلام : العاقّ لوالديه»[3] .

والعاقّ يحرم من نظر الله يوم القيامة ، ويمنع عنه قبول الصلاة ، ويحرم من توفيق طاعة الله عزوجل .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة :

عاقّ ومنّان ، ومكذّب ، ومُدْمِنُ خمر»[4] .

وقال الامام الصادق عليه السلام : من نظر الى أبويه نظر ماقت ،

---

(١) البحار ٧٤ : ٨٢ نقلا عن روضة الواعظين ـ للشهيد الفتال النيشابوري .

(٢) المصدر السابق : ٨.

(٣) اصول الكافي ٢ : ٣٤٨ باب العقوق ح ٣.

(٤) الخصال ١ : ٩٤.

وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»[1].

وروي عن الامام الرضا عليه السلام قوله: «حرّم الله عقوق الوالدين، لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله عزوجل، والتوقير للوالدين، وتجنب كفر النعمة، وابطال الشكر»[2].

التربية وآثارها:

تربية الاولاد من أهم الواجبات المأخوذة على عاتق الانسان، سواء من قِبَل الاهل، او الرسل والمبلغين، وما ذلك الاّ لان المجتمع وصلاحه متوقف على ذلك.

وما سوف نتكلم عنه هو خصوص التربية الداخلية من قبل الوالدين، والتي تعتبر الاهم في هذا المجال، لانها تصاحب الانسان منذ ولادته وحتى موته، بل قبل ولادته كما سوف نذكر في الابحاث الاتية:

التوازن بين البرّ والتربية:

ولابدّ عند الكلام عن التربية ان لا نفصلها عن البرّ، لما بين المسألتين من ترابط وثيق، لان البرّ من قبل الولد مشروط بسلامة التربية من الوالدين.

فاذا قصّر الانسان في تربية إبنه، فانّ ذلك يؤدي الى عدم احترامه من قبل الولد.

---

(١) اصول الكافي ٢: ٣٤٩ باب العقوق ح ٥.

(٢) علل الشرائع ٢: ١٦٤.

ومن التربية المفروضة عن الوالدين تسهيل الامر امام الولد ليبرّ والديه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«رحم الله من اعان ولده على برّه .

قلت : كيف يعينه على برّه ؟

قال صلى الله عليه وآله : يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولا يرهقه ، ولا يخرق به[1] ، فليس بينه وبين ان يصير في حدّ من حدود الكفر الاّ ان يدخل في عقوق او قطيعة رحم ، »[2]

فلا بدّ للوالدين ان يسهلا الطريق امام اولادهم ويعينوهم على البرّ ، وما ذلك الاّ بالتربية الصالحة والرفق بالولد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[3]

فكما يجب على الولد أنْ يوقّر الكبير ويحترمه ويبرّه ، كذلك يجب على الوالد ان يرحم الصغير ويحترمه ولا يشق عليه ، ولا ينسب الجهل اليه ، لكي يبقى الولد يحترم والديه ، فانّ الابّ اذا لم يراعِ شعور ولده ، وتَعَامَلَ معه معاملة قاسية ، كمعاملته مع العدو ، فانّ الولد سوف لن يقوم باحترام الوالد ، ولا بالتعامل معه على أنّه اب عطوف رحيم .

فلابدّ من التوازن بين برّ الوالدين وبين احترام الولد والرفق به ، حتى تكتمل الحلقة بين الآباء والأبناء .

---

(١) الخرق ضد الرفق وقيل ان لا ينسب اليه الحمق او الجهل .

(٢) فروع الكافي ٦ : ٥٠ باب بر الاولاد ح ٦.

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٦٥ باب اجلال الكبير ح ٢.

حقوق الاولاد :

وايضا من شروط البرّ ان يؤدى الوالدين جميع حقوق الولد حتى لا تبقى له ايّة حجة ، والاّ اذا قصّر الوالدان في حقوق الاولاد ، فانّ ذلك سوف يكون عاملاً مساعداً على تقصير الولد في احترام الوالدين وبرّهما .

وهناك عدة حقوق فرضها الاسلام على الوالدين لابدّ من مراعاتها :

١ ـ أن يحسن الوالدان اسم الأولاد ، وخير الأسماء ما كان على اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسماء أهل بيته عليهم السلام .

٢ ـ أن يعلم الوالدان الأولاد القراءة والكتابة .

٣ ـ أن يعلمانهم قراءة القرآن ، والصلاة ، وبقية العبادات .

٤ ـ أن يضعه موضعاً مناسباً ، سواء من جهة المسكن ، أو المعيشة ، أو التعلم فيضعه في البيت المناسب ، وفي المدرسة المناسبة .

٥ ـ أن يعلمه السباحة ، وركوب الخيل ، وفنون الحرب ، وأساليب التجارة ، والصناعة ، والزراعة ، ونحو ذلك ممّا يحتاجه الولد في حياته الاجتماعية ، وما ورد في الروايات من خصوص السباحة ، وركوب الخيل ، ليس على وجه الحصر ، بل ورود النص بهما ، امّا لأهميتهما في ذلك المجتمع ، او لعدم الاحتياج الى غيرهما في العصر الاول .

٦ ـ ان يطهره من الادناس المادية والمعنوية ، فلا بدّ من المحافظة على نظافة الولد وعلى أخلاقه[1] .

---

(١) وسوف يأتي تفصيل ذلك .

٧ـان يأدبه ويربيه على طاعة الله ، وطاعة والديه ، واحترام الناس[١] .

٨ـان يزوّجه اذا بلغ ، ويحسن له في الاختيار .

٩ـان يحسن معاشرته ويرحمه ، ولا يشق عليه كما تقدم .

وهذه الحقوق مستفادة من مجموع روايات عن اهل البيت عليهم السلام :

فعن السكوني قال : «دخلت على ابي عبدالله عليه السلام ، وأنا مغموم مكروب .

فقال لي : يا سكوني ممّا غمّك ؟

قلت : ولدت لي ابنة .

فقال عليه السلام : يا سكوني على الارض ثقلها وعلى الله رزقها ، تعيش في غير أجلك ، وتأكل من غير رزقك .

فَسَرَى والله عنّي [الغم] .

فقال لي : ما سمّيتها ؟

قلت : فاطمة .

قال عليه السلام : آه ، آه ، ثم وضع يده على جبهته ، فقال عليه السلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حقّ الولد على والده اذا كان ذكراً أن يستفره امه[٢] ، ويحسن اسمه ، ويعلّمه الكتاب ، ويطهّره ، ويعلّمه السباحة .

واذا كان انثى ان يستفره أُمّها ، ويحسن اسمها ، ويعلّمها سورة النور ،

---

(١) وسوف يأتي تفصيل ذلك .

(٢) اى يكرمها ولا يسبّها .

ولا يعلّمها سورة يوسف ، ولا ينزلها الغرف[1] ، ويعجّل سراحها الى بيت زوجها ، امّا اذا سمّيتها فاطمة ، فلا تسبّها ، ولا تلعنها ، ولا تضربها»[2] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «من حق الولد على والده ثلاثة : يحسّن اسمه ويعلّمه الكتابة ، ويزوّجه اذا بلغ»[3] .

وفي رواية اخرى عنه صلى الله عليه وآله : «تحسّن اسمه وأدبه ، وضعهُ موضعاً حسناً»[4] .

تربية الطفل والعناية بالجنين :

ولعلّ أهم حقّ من حقوق الاولاد هو تربيتهم تربية صالحة .

وتربية الطفل تبدأ منذ ولادته ، وان كان لما قبل الولادة الاثر الكبير على مسار الطفل وتربيته ، فانّ هناك عدة أُمور تؤثر على مسلكية الطفل ، ينبغي للمرأة ان تراعيها ، كالتسمية عند المواقعة ، وكونها على طهارة ، وكونها في الاوقات المستحبة ، وعدم كونها في الاوقات المكروه او المحرمة .

وكعدم تناول الطعام المحرم والمشبوه ، ولا النجس ، فان المرأة بقدر ما تحافظ على طعامها بقدر ما يبقى الطفل تحت العناية الالهية وضمن الطهارة المعنوية .

---

(١) كناية عن الاماكن الفاسدة والتي يخاف على عرض البنت منها .

(٢) فروع الكافي ٦ ، باب حق الاولاد .

(٣) البحار ٧٤ : ٨٠ نقلا عن روضة الواعظين .

(٤) فروع الكافي ٦ : ٤٨ باب حق الاولاد ح ١ .

وكذلك بعد ولادة الطفل هناك امور تؤثر على الطفل كإرضاعه على طهارة ، وعدم إطعامه من الحرام ، وإطعامه الحلال .

وبالجملة لابد من مراعات كل المستحبات المتعلقة بالطفل عند ولادته ، وترك كل المكروهات والمحرمات[1] .

حتى اذا بلغ الطفل السادسة او الخامسة من عمره ، فإنّه يدخل في مرحلة جديدة ، إذ يصبح بحاجة الى عناية من نوع آخر ، عناية تتعلق بالتأديب والتربية والتعلم ، فلا بدّ للوالدين ان يعلموا اولادهم قراءة القرآن والصلاة ، حتى يتعود الطفل منذ صغره على عبادة الله ، وطاعته سبحانه وتعالى .

وينبغي لهما ان يؤدّبا الاطفال ، وان لا يستعملا الاسلوب المضرّ ، كاسلوب الضرب لما فيه من المحذور الشرعي ، ولما فيه من المحذور العكسي على الطفل ، اذ لكثرة الضرب يصبح الطفل جباناً يسقط أمام أدنى ضغط ، إضافة الى أنه يصبح يؤمن ان الاسلوب الوحيد للردع هو اسلوب العنف ، فيصاحبه في حياته كلّها .

بل لابد من استعمال اساليب اخرى غير الضرب ، في الحالات التي يضطر الوالدان الى عقاب الطفل ، كحبسه لمدة قصيرة ، او حرمانه من بعض الملذات ، او المسائل التي يرغب بها .

بل أحياناً ينبغي إستعمال اسلوب مضاد ، إذ انّ بعض الأطفال قد يصرّ على مسألة معينة ، لما عند الطفل في حبّ التفرد ، وعدم ادراكه

---

(١) كأن يؤذن في أُذنه اليمنى ، ويقيم في اليسرى ، وان يعقّ عنه في اليوم السابع ، وان يلقمه العسل ، وان يلفه بخرقة بيضاء لا صفراء ونحو ذلك . راجع : الوسائل ١٤ : ١١ و١٥ : ١٣٦ .

لحقائق الاشياء ، فانّه في هذه الحالة لابدّ من مراعات الطفل ، واستعمال اللّين لكي لا يذهب مفعول العنف للمسائل المهمة والنافعة .

وأحياناً يفعل الطفل اشياء غير مناسبة فالافضل صرفها عنه ، او صرفه عنها بحيلة ، او بإدخاله في شيء آخر ليلتهي عنها .

وحالة كل طفل تختلف عن الآخر فينبغي ملاحظة ذلك ، وإختيار الاسلوب الانجح مع مراعات الضرر الحاصل من العنف والضرب .

مرحلة الشباب :

وببلوغ الولد سن الخامسة عشرة ، ووصوله الى مرحلة المراهقة ، يصبح الولد في مرحلة أصعب ومحذورة للغاية ، لانّ الولد في هذه المرحلة ، اذا كان فيه نوع نقص من ناحية التربية[1] ، يصبح يشعر باستقلالية شبه تامة عن الوالدين ، ممّا يزرع في نفسه العنفوان والقوة الشخصية والذاتية .

أضف الى ذلك انّه أصبح من الناحية المالية لديه إكتفاء شبه ذاتي ، سواء منها المحلّلة ام المحرمة ، وهذا عامل مساعد على تمرّد الشاب والتفرد برأيه ، مع ملاحظة المجتمع الذي يعيش فيه الولد ، والصحبة التي يتخذها خِدْناً .

فاذا لاحظ الوالدان هذه الامور ، أدركا ضرورة إستعمال اسلوب

---

(١) حيث ان مرحلة المراهقة ليست سلبية لجميع الشباب بل هناك الكثير من الشباب يمرون بمرحلة المراهقة او قل بسن الخامسة عشرة بلا أي مشاكل عائلية او حتى اجتماعية وما ذلك الا لحسن التربية الداخلية منها والخارجية .

مميّز مع الشاب ، ومتناسب مع مرحلته وسنّه ووضعه .

وممّ لا شك فيه عدم نجاح اسلوب الضرب او العنف ، لما فيه من مردود عكسي ، الاسلوب الذي يشجع الشاب عن الهروب من المنزل ، او التفرد برأيه اكثر .

فيبقى إسلوب المؤاخات ، المطعّم برفض جزئي ، لانّ اعطاء الكلّ للشاب فيه زيادة مفسدة ، او طول مرحلة الشباب عنده ، خاصة الزيادة المالية ، اذا كان بحاجة اليها ، فانّها العامل المساعد على فساد الشاب أخلاقياً وجنسياً ، والشواهد الاجتماعية في هذا المجال كثيرة .

والمؤاخات تكون بمراعات الشاب ، وإعطائه بعض الحاجيات مع رفض للبعض الاخر ، واستغلال الزمن المناسب ، والمكان المناسب لتفهيم سلبيات الامور للشاب .

فالزمن المناسب كأن لا يكون في تلك المدة غاضباً ، او قريب الغضب[1] ، وان لا يكون في ضيق نفسي او اجتماعي .

والمكان المناسب ان يكون وحيداً ، فانّ معاتبة الشاب امام الناس ، او امام إخوته ، وبالأخص امام أصدقائه ، يُنفِّرُهُ من الوالدين ، ويصبح أثناء المعاتبة ، او المعايرة لا يلتفت الى ما يقال له ، بل كلّ همّه الخروج من ذلك المكان المُحْرِج له ، والتفكير بالتبريرات التي سوف يعطيها لأصدقائه بعد انتهاء المشكلة ، والمعاتبة من الطرف الواحد .

وممّا لا شك فيه ، ان الشباب في إختلاف كبير من ناحية المراهقة ، الاّ انّ هذه المسائل شبه عامة بينهم .

نعم هناك مصاديق تختلف من شخص الى آخر ، بحسب 'لمجتمع

---

(١) وتقدم تفصيل ذلك في القصة الرابعة .

الذي يعيش فيه الشاب ، فلابدّ من ملاحظتها ، لما في المجتمعات من اختلاف كبير في الاعراف .

ولابدّ للوالدين، وخاصة الوالد ، ان يكونَ حاذقاً في الاسلوب الذي يستعمله مع اولاده ، وان يحاول ان يستوعب المشكلة مهما أمكن، لان المشكلة مشكلته على كل حال ، والولد ولده ، صلح ام فسد .

وايضا لابد لهما ان لا يُفَرِّقَا بين الاولاد في مسألة العطاء ، او الحنان والعناية ، لانّ ذلك يقلّل من احترام الولد ، وقبوله لكلام أبويه ، إضافة الى العداوة التي قد تحصل بين الاخوة في داخل الاسرة الواحدة .



القصة السابعة عشرة

القصة السابعة عشرة

حقيقة الاخوة في الاسلام

قال رجل من أهل الري : ولي علينا بعض كتاب يحيى بن خالد ، وكان عليّ بقايا يطالبني بها ، وخِفْتُ من إلزامي إياها خروجا عن نعمتي ، وقيل لي : إنه يَنْتَحل هذا المذهب ، فخفت أن أمضي إليه وأمتَّ به إليه ، فلا يكون كذلك ، فأقع فيما لا أحب ، فاجتمع رأيي على أنْ هَرَبْتُ الى الله تعالى ، وحججت ولقيت مولاي الصابر [يعني موسى بن جعفر عليه السلام] فشكوتُ حالي إليه ، فأصحبني مكتوبا نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم إعلم ان لله تحت عَرْشه ظلاً لا يسكنه الاّ من أسدى الى أخيه معروفا ، او نَفَّسَ عنه كربة ، أو أَدْخَل على قَلْبِهِ سروراً ، وهذا

أخوك والسلام» .

قال : فعدت من الحج الى بلدي ومضيت إلى الرجل ليلا ، وإستأذنت عليه ، وقلت رسول الصابر عليه السلام .

فخرج اليّ حافيا ماشياً ففتح لي بابه ، وقبلني وضمني إليه ، وجعل يقبّل عيني ، ويكرر ذلك ، كلّما سألني عن رؤيته عليه السلام ، وكلّما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله إستبشر وشَكَر الله تعالى ، ثم أدخلني داره ، وصدّرني في مجلسه ، وجلس بَيْنَ يدي فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبّله قَائِماً وقرأه ، ثم إسْتَدْعَى ماله وثيابه ، فقاسمني دينارا دينارا ، ودرهما درهما ، وثوبا ثوبا ، واعطاني ما لم يمكن قسمته وفي كل شيئ من ذلك يقول : يا أخي هل سَرَرْتُكَ ؟

فأقول : إي والله وزدت على السرور .

ثم إستدعى العمل ، فأسقط ما كان بإسمي وأعطاني براءة مما يوجبه عليّ عنه ، وودعته

وانصرفت عنه . فقلت لا أقدر على مكافأة هذا الرجل الاّ بأن أحجّ ، في قابل وأدعو له ، وألْقَى الصابر وأعرّفه فعله ، ففعلت ، ولقيت مولاي الصابر عليه السلام ، وجعلت أحدثه ووجهه يَتَهَلَّل فَرَحا ، فقلت : يا مولاي هل سَرَّكَ ذلك ؟

فقال : إيّ والله لقد سرّني ، وسرّ أمير المؤمنين عليه السلام ، والله لقد سرّ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد سرّ الله تعالى [في عرشه]»[1] .

(١) بحار الانوار ٧٤: ٣١٣ ح٦٩ باب قضاء حاجة المؤمنين . وروي في الكافي ٢: ١٩٠، باب ادخاء السرور على المؤمنين ح٩، مع اختلاف المضمون .

حقيقة الاخوة في الاسلام :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ *إنّما المؤمنون إخوة* ﴾[1] .

لا يستطيع أن يحدّد الاخوة الحقيقية الاّ من كان أخاً حقيقياً ، ولكن أين يوجد الكبريت الأحمر ؟!

فليس الاخ أخَا الام والاب ، بل الاخ أخو الايمان ، الذي يتألم لتألم أخيه ، ويَسْهَرُ على سَهَرِهِ .

الاخوة الحقيقية التي تنبع من القلب لتتجسد في الاعمال ، تلك الاخوة التي تجعل الاخ لا ينام لسهر أخيه .

وانما صار أخو الام والاب اخاً لمشاركته في الايمان ، ولمؤازرته أخيه في السراء والضراء ، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« *ربّ أخ لم تلده اُمّك* »[2] .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) ميزان الحكمة ١ : ٤٢ عن غرر الحكم .

فالمعيار ليس هو التولد من أُمّ واحدة، ولا الرضاعة من ثديّ واحد، انما المعيار هو التلبس بصفات الاخوة، فمن كان عيناً، ودليلاً، ومرآةً لشخص آخر، لا يظلمه، ولا يكذّبه، ولا يغتابه، فهو الاخ الحقيقي، اجتمع معه في الرضاعة ام لم يجتمع. المعيار هو الجسد الواحد لا الدم الواحد.

قال الامام الصادق عليه السلام: «***المؤمن أخو المؤمن، كالجسد الواحد، ان إشتكى شيئاً منه، وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وانّ روح المؤمن لأشد إتصالاً بروح الله عزوجل من إتصال شعاع الشمس بها***»[1].

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام:

«المسلم أخو المسلم هو عينه، ومرآته، ودليله، لا يخونه، ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يكذّبه، ولا يغتابه»[2].

نعم اخوة الأُم والاب ان إجتمعت مع اخوة الايمان فَنعمَّ هي، فعندها يجتمع الدم الواحد مع الجسد الواحد، ليشكلان جسداً حيوياً، مترابطاً من جميع الجهات.

والاّ فالاخوة ليست منحصرة باخ الام والاب، بل أخو الايمان مقدم على أخِ الرضاعة، اذا لم يكن يتمتع بالاخوة الحقيقية.

وسوف يتضح ذلك اكثر عند ذكر حقوق الاخوان، وآثار الاخوة ان شاء الله تعالى.

---

(١) اصول الكافي ٢: ١٦٦ باب أُخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح ٤.

(٢) المصدر السابق ح ٥.

حقوق الاخوان :

اذا أردنا ان نعدد حقوق الاخ على أخيه لَمَا وجدنا مصداقاً لذلك ، ولرأينا أنّ كلّ من يدّعي انّه أخٌ لشخص آخر ، انّما يدّعيها لمصالحه الشخصية ، او لتصوره انّ الاخ هو مجرّد إدّعاء ذلك لفظاً ، وبلا أيّ حقوق تذكر .

وبرجوعنا الى روايات أهل بيت النبوة عليهم السلام نجد إختلافاً ظاهراً في تحديد الحقوق كمّاً وكيفاً ، وتمام الروايات في الطوائف الاتية :

الطائفة الاولى : التي تقول ان الحقوق سبعة كما روي عن المعلّي بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما حقّ المسلم على المسلم؟

قال عليه السلام : سبعة حقوق واجبات ، ما فيهنَّ حقّ الاّ وهو عليه واجب ، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه من نصيب .

قلت له : جعلت فداك وما هي؟

قال عليه السلام : يا معلّى إني عليك شفيق ، أخاف أن تُضيّع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل .

قلت له : لا قوّة الاّ بالله .

قال عليه السلام : أيسر حقّ منها ان تحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

والحق الثاني: ان تجتنب مسخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره.

والحق الثالث: ان تعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك ورجلك.

والحق الرابع: ان تكون عينه، ودليله، ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لاخيك خادم، فواجب ان تبعث خادمك فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

والحق السابع: أن تبرّ قَسَمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، واذا علمت انّ له حاجة تبادره الى قضائها، ولا تلجئه ان يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[1].

الطائفة الثانية: التي تقول انّ الحقوق ستة

قال ابو عبدالله عليه السلام: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق ان يسلّم عليه اذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له اذا غاب، ويسمّته اذا عطس، ويجيبه اذا دعاه، ويتبعه اذا مات»[2].

الطائفة الثالثة: التي تشير الى ان الحقوق أربعة عشر حقاً

قال ابو المأمون الحارثي: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟

---

(١) اصول الكافي ٢: ١٦٩، باب حق المؤمن على اخيه المؤمن واداء حقه ح ٢.

(٢) المصدر السابق ح ٦.

قال عليه السلام : انّ من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره ؛ والمواساة له في ماله ؛ والخلف له في أهله ، والنصرة له على من ظلمه ، وان كان نافلة[1] في المسلمين ، وكان غائباً أَخَذَ له بنصيبه ، واذا مات الزّيارة الى قبره ، وأنّ لا يظلمه ، وان لا يغشّه ، وان لا يخونه ، وان لا يخذله ، وان لا يكذّبه ، وان لا يقول له أُفّ ، واذا قال له افّ فليس بينهما ولاية ، واذا قال له : أنت عدوي فقد كفر احدهما ، واذا إتهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[2] .

الطائفة الرابعة : التي تقول ان الحقوق سبعون حقاً

الاّ انّه عليه السلام يقتصر على سبعة ، قال المعلّي بن خنيس : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن حقّ المؤمن.

فقال عليه السلام : سبعون حقاً لا أُخبرك الاّ بسبعة ، فإنّي عليك مشفق أخشى ألاّ تحتمل .

فقلت : بلى ان شاء الله .

فقال عليه السلام : لا تشبع ويجوع ، ولا تكتسي ويعرى ، وتكون دليله ، وقميصه الذي يلبسه ، ولسانه الذي يتكلّم به ، وتحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهّد فراشه وتسعى في حوائجه بالليل والنهار ، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا ، وولايتنا بولاية الله عزوجل»[3] .

---

(١) اى عطاءً وغنيمة .

(٢) اصول الكافي ٢ : ١٧١ ح ٧ .

(٣) المصدر السابق ح ١٤ .

الطائفة الخامسة: التي تشير الى ان الحقوق ثلاثون حقاً

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها الاّ بأدائها أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غَيبَتُهُ، ويديم نصيحته، ويحفظ خُلَّته، ويرعى ذمته، ويعود مرضه، ويشهد ميتَّه، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويستنجح مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبرّ إنْعَامُه، ويصدق أَقسَامَه، ويوالي وليه، ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأمّا نصرته ظالماً فيرده عن ظلمة، واما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»[1].

مقارنة بين الروايات:

وبالمقارنة بين الطوائف المتقدمة ندرك الخلاف في تحديد حقوق الاخوان بعضهم لبعض، بل لا يوجد بين الطوائف الخمس إتفاق ولو على حق واحد.

نعم قد تجتمع طائفة مع طائفة اخرى في حق أو حقين.

فمثلاً نجد ان الطائفة الاولى تجتمع مع الثانية في حقين: زيارته اذا

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٠، الباب ١٢٢ من ابواب أحكام العشرة، ح ٢٤.

مرض ، واجابة دعوته ، وتجتمع مع الثالثة في حقين أيضا : المواساة بماله وشهادة جنازته .

وتجتمع مع الرابعة في المواساة بالطعام ، واللباس ، وخدمته ، وان يحبّ له ما يحبّ لنفسه ، وان يكون دليله .

وتجتمع مع الطائفة الخامسة في إجابة دعوته ، واعادة مريضه ، وشهادة جنازته ، وان يبرّ قَسَمه ، وان يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه .

وهكذا بالنسبه للطوائف الاخرى .

وإذا أردنا أن نجمع جميع الحقوق المذكورة في الطوائف الخمس لبلغت الأربعين ، وذلك بإضافة عشر حقوق من الطائفة الاولى[1] والثالثة[2] والرابعة[3] إلى الطائفة الخامسة .

وجوه الجمع بين الطوائف :

ويمكن الجمع بين الطوائف بعدة وجوه محتملة :

الوجه الاول : أن يكون الاختلاف ناتجاً عن اختلاف حال السائل ،

---

(١) والحقوق التي لم توجد في الطائفة الخامسة : أن يكون عينه ، ودليلة ، ومرآته ، وان يعينه بنفسه ، ويده ، ورجله ، ولسانه ، وماله ، وان لا يشبع وهو جائع ، ولا يروي وهو عطشان ، ولا يلبس وهو عاري .

(٢) وهى خمسة حقوق : المودة في صدره ، ان لا يكذّبه ، ان لا يتهمه ، لا يقول له افّ ، لا يقول له انت عدوي .

(٣) وهى حقان : ان يكون لسانه ، وان يبعث خادمته اليه لتخدمه .

فتارة يكون السائل، او المخاطب من الموالين لاهل البيت عليهم السلام، ومن الذين يقدرون على تحمل جميع الحقوق، فهذا يُعْطىٰ كل الحقوق، وعليه تحمل الروايات التي ذكرت اكثر الحقوق، واخرى يكون السائل، او المخاطب لا يقدر على تحمل جميع الحقوق فَيُعْطىٰ بقدر ما يناسب حاله.

ويدل على هذا الوجه عدة روايات، وهي التي كان يعبّر الامام عليه السلام فيها بعدم تحمّل السائل لها، واليك بعضها:

عن المعلى بن خنيس قال: «سألت ابا عبدالله عليه السلام عن حق المؤمن.

فقال عليه السلام: سبعون حقاً لا أُخبرك الاّ بسبعة، فانّي عليك مشفق أخشى الاّ تحتمل»[1].

وعن عبد الاعلى بن أعين قال: كتب [بعض] أصحابنا يسألون ابا عبدالله عليه السلام عن أشياء، وأمروني أن أسأله عن حقّ المسلم على أخيه، فسألته فلم يجبني، فلمّا جئت لأُودِّعه فقلت: سألتك فلم تجبني؟

فقال: إني أخاف ان تكفروا[2]»[3].

وفي رواية اخرى عن المعلّى قال عليه السلام: «يا معلّى إني شفيق عليك، أخشى ان تضيّع، ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل»[4].

---

(١) اصول الكافي ٢: ١٧٤ باب حق المؤمن على أخيه ح ١٤.

(٢) والمراد بالكفر إمّا مخالفة العمل بعد العلم، وإما الشك في الحكم، أو الاستخفاف به واما الشك في أهل البيت عليهم السلام لعظمة وصعوبة الحكم.

(٣) الكافي ٢: ١٧٠ باب حق المؤمن على اخيه ح ٣.

(٤) الخصال ٢: ٦٠ والبحار ٧٤: ٢٢٤.

الوجه الثاني : ان تحمل بعض الروايات على حقوق المسلمين بشكل عام ، ويحمل البعض الآخر على خصوص المؤمن الشيعي .

ويساعد على هذا الوجه إختلاف الروايات في التعبير بين «ان حق المؤمن على المؤمن» وبين «ان حق المسلم على المسلم» .

إلاّ أن بعض الروايات التي كانت تعبّر بحقوق المسلمين كان مضمونها أعظم من تلك ، او عدد الحقوق فيها أكثر . فتأمل !

الوجه الثالث : أن تكون الاخوة على درجات ، فمن عمل بكامل الحقوق فقد أدرك أعلى مرتبة من الاخوة ، ومن عمل ببعض الحقوق فقد أدرك من الاخوة بحسب عمله .

الوجه الرابع : أن تحمل بعض الروايات على مجرد العلم بالحقوق ، والبعض الاخر يحمل على العمل بها اضافة الى العلم .

فالروايات التي ذكرت اكثر الحقوق ، تحمل على مجرد علم السائل بكامل الحقوق ليدرك أهمية الاخوة ، وانّه لا يقدر على تحقيقها ، فيبقى يسعى لتحقيق هذه الاخوة .

اما الروايات التى ذكرت بعض الحقوق فانّها تحمل على العمل بها .

الوجه الخامس : ان يحمل إختلاف الروايات على إختلاف اقسام ومراتب الاخوان ، بمعنى ان الروايات التي تذكر أغلب الحقوق وأعظمها ، تكون ناظرة الى المرتبة الاولى من مراتب الاخوان .

اما الروايات التي تشير الى بعض الحقوق ، فانها تكون ناظرة الى المراتب الاخرى من الاخوان .

وسوف يتضح هذا الوجه عند ذكر أقسام الاخوان ومراتبهم ، ولعله أفضل الوجوه .

الوجه السادس : أن يقال بالتبعيض بين الروايات بمعنى أنّ بعض الروايات يحمل اختلافها على اختلاف أقسام الاخوان .

وبعضها يحمل على اختلاف حال السائل وقدرته على تحمل الحقوق .

وبعض تلك الاختلافات يحمل على العلم والعمل ، وهكذا بالنسبة للوجوه الاخرى المذكورة .

أقسام الاخوان :

وبرجوعنا الى مصدر العلم ومحلّه ، نجد ايضاً ان الروايات مختلفة في تحديد عدد أقسام الاخوان ، فبعضها يقول انهم اثنان ، وبعضها يقول انهم ثلاثة ، ومنها ما يشير الى ان الاخوان اربعة ، واليك تلك الروايات :

اما التي تقول ان الاخوان قسمان : فما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال : «قام الى أمير المؤمنين رجل بالبصرة فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الاخوان ؟

فقال عليه السلام : الاخوان صنفان : إخوان الثقة ، وإخوان المكاشرة[١] ، فأما إخوان الثقة فهم الكفُّ[٢] ، والجناح ، والأهل ، والمال ، فاذا كنت من أخيك على حدّ الثقة ، فابذل له مالك وبدنك ، وصاف من

---

(١) المكاشرة : الكشر : ظهور الأسنان في الضحك ، وكاشره : اذا ضحك في وجهه وباسطه .

(٢) اى بمنزلة كفك في إعانتك وكفّ الاذى عنك .

صافاه[1] ، وعاد من عاداه ، واكتم سرّه وعيبه ، وأظهر منه الحسن.

واعلم أيّها السائل انهم اقلّ من الكبريت الأحمر .

وأمّا إخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم ، فلا تقطعنَّ ذلك منهم ، ولا تطلبنَّ ما وراء ذلك من ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان»[2] .

اما الروايات التي تقول ان الاخوان ثلاثة : فكالمروي عن الامام الصادق عليه السلام قال :

« الاخوان ثلاثة : فواحد : كالغذاء الذي يحتاج اليه كلّ وقت فهو العاقل .

والثاني : في معنى الدَّاء وهو الاحمق .

والثالث : في معنى الدواء فو اللّبيب»[3] .

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال :

«الاخوان ثلاثة : مواس بنفسه . وآخر مواس بماله ، وهما الصادقان في الاخاء . وآخر يأخذ منك البُلْغَة ويريدك لبعض اللّذة ، فلا تعدّه من اهل الثقة»[4] .

أمّا الروايات التي تشير الى أنَّ الاخوان أربعة : فكالمروي عن الامام الحسين عليه السلام قال :

---

(١) صفا : خلص من الكدر وهنا أخلص الودّ لمن أخَلَصَ له الودّ وآخى من آخاه .

(٢) اصول الكافي ٢ : ٢٤٨ باب انّ المؤمن صنفان ح٢ والوسائل ٨ : ٤٠٤ باب ٢ من ابواب العشرة ح ١ والخصال ١ : ٢٦ والاختصاص : ٢٥١ .

(٣) بحار الانوار ٧٨ : ٢٣٨ نقلا عن التحف : ٣١٥ .

(٤) المصدر السابق : ٢٣٩ .

«الاخوان أربعة: فأخ لك وله، وأخ لك، وأخ عليك، وأخ لا لك ولا له»[1].

والمراد بالاول ـ أخ لك وله ـ انّ مِنَ الاخوان من يواسيك ويناصفك، فهو يخدمك في عرض خدمة نفسه، ولا يكون لك خالص، ولم يبلغ حدّ الخصاصة.

واما الثاني: فهو الذي يعطيك كلّه، ولا يفكر بنفسه، وهى الخصاصة.

وامّا الثالث: فهو عكس الثاني، يأخذ ولا يعطي، وعدّه من الاخوان توسعة.

والرابع: هو البعيد عن الاخوان، فلا يعطي ولا يأخذ، وايضا في عدّه منهم توسعة، وبذلك ترجع هذه الاقسام الاربعة للاخوان الى قسمين: الاول هو أخو المكاشرة، والثاني هو أخو الثقة، وبذلك توافق الرواية الاولى.

وكذلك الروايات التي تقول ان الاخوان ثلاثة يمكن إرجاعها الى الرواية الاولى، لان الاحمق ليس من جملة الاخوان، وعدّه فيه توسعة[2].

وبناء على ذلك فالاخوان صنفان:

اخوان الثقة: وهم الذين يطبقون حدود وحقوق الاخوة التي تقدمت.

وينبغي للانسان ان يسعى لتحصيلهم كما سوف نذكر.

---

(١) ميزان الحكمة ١: ٥٢ نقلا عن التحف: ١٧٨.

(٢) والرواية الاخرى التي ذكرت انهم ثلاثة واضحة في رجوعها الى اخوان المكاشرة والثقة بنص ذيل الرواية.

واخوان المكاشرة : وهم كثير في هذه الازمنة ، بل أصبح الجميع يفهم الاخوة على اساس المكاشرة ، وانك بقدر ما تعطيني اعطيك ، ولا يستطيع الانسان ان يشاركهم في همومهم ، ولا يشاركوه كذلك في الهموم الخاصة والباطنية . بعكس اخوان الثقة ، فان الانسان يستطيع ان يفتح قلبه عليهم ، لانهم أحفظ عليه من نفسه ، فهم له وليس عليه ، فهم اليه وليس لانفسهم .

فلابدّ من الحذر في اختيار الصديق ، لأنّه بمعاشرته يكتسب الانسان اخلاقه ، كما قيل : «قل لي من تعاشر اقول لك من انت» .

وهذا امام الاتقياء وصادق الاولياء عليه السلام يوصينا ويحذرنا من خطورة الاختيار بقوله :

« احذر ان تواخي من ارادك لطمع ، او خوف ، او ميل ، او للأكل والشرب ، واطلب مؤاخاة الأتقياء ، ولو في ظلمات الارض ، وان افنيت عمرك في طلبهم ، فانّ الله عزوجل لم يخلق على وجه الارض أفضل منهم بعد الانبياء والاولياء ، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم ، قال الله عزوجلّ : ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين[1]﴾[2] .

وأين يوجد مثل هؤلاء ؟

حتى تشد اليهم الرحال ، وتترك فيهم الاموال ، تُوصَد دونهم الابواب ، أين هم الذين يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بصفات تقلل من وجودهم يقول صلوات الله عليه :

---

(١) الزخرف : ٦٧.

(٢) مصباح الشريعة : ٣٦ المنسوب الى الامام الصادق عليه السلام .

« وما بَرِحَ لله ـ عزّت الأُوه ـ في البُرْهَة بعد البرهة ، وفي أزمان الفَتَرات عباد ناجاهم في فِكْرِهم ، وكلَّمهم في ذات عقولهم ، فإستصبحوا بنور يَقْظَةٍ في الابصار ، والاسماعِ والافئدةِ ، يذكِّرون بأيام الله (عزوجل) ويخوفون مَقَامَه ، بمنزلة الادلّة في الفلوات ، من أخذ القَصْدَ حَمِدُوا اليه طريقه ، وبشّروه بالنجاة ، ومن أخذ يميناً وشمالاً ، ذمّوا اليه الطريق ، وحذَّروه من الهَلَكَة ، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات ، وأدلَّة تلك الشّبهات»(١) .

وفقنا الله وإياكم لمصاحبة هؤلاء والظفر بهم عاجلاً وآجلا .

قضاء حوائج الاخوان وادخال السرور عليهم :

ثواب ما بعده ثواب ، وسرور يسرّ السرور ، كيف وهو السرور الذي يسرّ الله عزّت الآؤة(٢) .

خير الاعمال وأحبّها الى الله(٣) .

---

(١) نهج البلاغة : ٣٤٢ الكلمة : ٢٢٢ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني فقد سرّ الله» اصول الكافي ٢ : ١٨٨ ـ ومعنى سرور الله على ما قيل : هو ما يترتب على السرور من الرحمة والرأفة ؛ وقيل ان المعنى ضم وجمع لما تشتت من أمر المؤمن من جرّاء همة ، وقيل المعنى ان الله سبحانه يُسَرّ لسرور المؤمن .

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ أحبّ الاعمال الى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمنين» الكافي ٢ : ١٨٩ ح ٤ .

أفضل العبادات وأجملها[1].

بها يصعد الانسان الى مكان القرب من الله عزوجل، ويسكن جنّة الله سبحانه وتعالى.

قال عبيدالله بن الوليد الوصّافي: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «انّ فيما ناجى الله عزوجل به عبده موسى عليه السلام [أن] قال: «انّ لي عبادا أُبيحهم جنّتي، وأُحَكِمَهُم فيها.

قال: يا ربِّ ومن هؤلاء الّذين تبيحهم جنتك، وتحكّمهم فيها؟

قال: عزّت الآوه: من أدخل على مؤمن سروراً».

ثم قال عليه السلام: انّ مؤمناً كان في مملكة جبّار فولع[2] به، فهرب منه الى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظلّه، وأرفقه، وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحى الله عز وجل اليه: وعزّتي وجلالي لو كان [لك] في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنّها محرّمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار هيديه[3]، ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار.

قلت: من الجنّة؟

قال: من حيث شاء الله عزوجل»[4].

وفي رواية اخرى عن المشمعلّ الأسديّ قال:

---

(١) كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف القذي عنه حسنة وما عبدالله بشيء احب الى الله من إدخال السرور على المؤمن» المصدر السابق: ١٨٨ ح ٢.

(٢) ولع: استخف.

(٣) هيديه: ازعجيه وافزعيه وحركيه وأصلحيه.

(٤) اصول الكافي ٢: ١٨٨ باب ادخال السرور على المؤمنين ح ٣.

«خرجت ذات سنة حاجّاً فانصرفت الى ابي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال عليه السلام : من أين بك يا مشمعلّ ؟

قلت : جعلت فداك كنت حاجّاً .

فقال عليه السلام : أو تدري ما للحاجّ من الثواب ؟

فقلت : ما أدري حتّى تُعْلمني .

فقال عليه السلام : انّ العبد اذا طاف بهذا البيت أُسبوعاً وصلّى ركعتيه ، وسعى بين الصفا والمروة ، كتب الله له ستّة آلاف حسنة ، وحطّ عنه ستّة آلاف سيئة ، ورفع له ستّة آلاف درجة ، وقضىٰ له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا ، وادخَّر له للآخرة كذا .

فقلت له : جعلت فداك انّ هذا لكثير .

فقال عليه السلام : أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك ؟

قلت بلى .

قال عليه السلام : لقضاء حاجة امرىء مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة، حتى عدّ عشر حجج»(١)

آثار قضاء الحوائج :

ولكي يتضح جلّياً سرّ الاحاديث المتقدمة لابدّ من التعرض للآثار المترتبة على هذه الفضيلة العظيمة .

ولعلّ أهم هذه الاثار هو التسديد الذي يصاحب الانسان ، والقرين الحسن الذي يُعين الانسان على مصائب الدهرين.

---

(١) امالى الصدوق : ٢٩٥ وبحار الانوار ٧٤ : ٢٨٤ .

وهذا التسديد على نوعين:

النوع الاول: التسديد الالهي في الدنيا:

وهو ما اشار اليه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بقوله:

«.. يا كميل، مُرْ أهلك ان يَرُوحُوا[1] في كسب المكارم، ويدلجوا[2] في حَاجَةِ من هو نائم، فَوَ الّذي وَسِعَ سَمْعُه الأصوات، ما من أحد أوْدَع قلباً سرورا الاّ وخَلَق الله له من ذلك السّرور لطفاً، فاذا نزلت به نائبة[3]، جرى إليها كالماء في إنحداره، حتى يَطْرُدَها عنه كما تُطرَد غَرِيبَة الإبل»[4].

النوع الثاني: التسديد في عالمي البرزخ والاخرة:

وهو ما جاء في رواية الامام الصادق عن أبان بن تغلب قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن حقّ المؤمن على المؤمن.

فقال عليه السلام: «حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدَّثتكم لكفرتم[5]، انّ المؤمن اذا خرج من قبره، خرج معه مثال من قبره يقول له: أبشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له: بشّرك الله بخير.

قال عليه السلام: ثم يمضي معه يبشرّه بمثل ما قال، واذا مرّ بهول قال: ليس هذا لك، واذا مرّ بخير قال هذا لك، فلا يزال معه يؤمنه ممّا

---

(١) الرواح: إلسير من بعد الظهر.

(٢) الادلاج: السّير من اول الليل.

(٣) نائبه مصيبة.

(٤) نهج البلاغة: ٥١٣ الحكمة: ٢٥٧.

(٥) لكفرتم به امّا بمعنى لكذبتم به، وامّا لكذبتم بالائمة فتكفروا، واما لتركتم العمل به بعد العلم.

يخاف ويبشرّه بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عزّ وجلّ فاذا أمر به الى الجنّة قال له المثال : أبشر فانّ الله عزوجل ، قد أمر بك الى الجنّة .

فيقول : من أنت رحمك الله تبشّرني من حين خرجت من قبري ، وآنستني في طريقي ، وخبّرتني عن ربّي ؟

قال : فيقول : أنا السرور الّذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا ، خلقت منه لأُبشّرك وأُونس وحشتك»[1] .

نسأل الله عزوجل ان يرزقنا ثواب إدخال السرور على قلوب عباده وان لا يحرمنا من هذه النعمة الالـٰهية والرحمة الربّانية .

---

(١)اصول الكافي ٢ : ١٩١ باب ادخال السرور على المؤمنين ح ١٠.



القصة الثامنة عشرة

القصة الثامنة عشرة

الافتاء بوجوب زيارة عاشوراء

نقل العلامة الكبير سماحة الشيخ حسن فريد كلبايگاني عن استاذه اية الله الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري أنه قال:

عندما كنت مشغولاً في سامرّاء بطلب العلم، والدراسة الدينية، انتشر وباء الطاعون والتيفوئيد بين اهالي المدينة بشكل مرعب، وكان عدد كبير من الناس يموتون كل يوم، وفي إحدى الايام اجتمع نفر من أهل العلم والتقوى (وكنت معهم) في دار استاذي السيد محمد فشاركي، وبعد فترة دخل الدار والتحق بالجماعة الميرزا محمد تقي الشيرازي.

وكان حديث الوباء وضحاياه موضع نقاش الجميع، فقال الميرزا: إذا أصدرت حكماً شرعياً

(١) [illegible] : ٨٨٨، [illegible] ٧٣١.

[illegible]

ثواب زيارة الامام الحسين عليه السلام :

تعتبر زيارة الامام الحسين عليه السلام من أحبّ الاعمال الى الله عزوجل لما فيها من خيرات حسان وولاء لاهل البيت عليهم السلام والتبريء من اعدائهم لعنة الله عليهم أجمعين.

قال الامام الصادق عليه السلام : « ***من أحبّ الاعمال الى الله عزوجل زيارة قبر الحسين عليه السلام ، وأفضل الأعمال عند الله عزوجل إدخال السّرور على المؤمن ، وأقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد باك*** »[1]

بل إعتبرها إمامنا الرضا عليه السلام بمثابة زيارة الله في عرشه .

قال عليه السلام : « ***من زار قبر الحسين عليه السلام بشط فرات ، كان كمن زار الله فوق عرشه*** »[2] .

وفي رواية الامام الباقر عليه السلام من الثواب والفضل ما لا خطر على قلب بشر . قال عليه السلام : « لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من

---

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ٣٩٠ باب استحباب إختيار زيارة الحسين عليه السلام على جميع الاعمال ح ٢. وكامل الزيارات : ١٤٦ .

(٢) ثواب الاعمال : ٧٧ وكامل الزيارات : ١٧٠ والبحار ١٠١ : ٦٩ .

الفضل لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات .

قلت : وما فيه ؟

قال عليه السلام : من أتاه تشوُّقا كتب الله له ألف حجّة متقبّلة ، وألف عمرة مبرورة ، وأجر الف شهيد من شهداء بدر ، وأجر ألف صائم ، وثواب ألف صدقة مقبولة ، وثواب ألف نسمة أُريد بها وجه الله تعالى ، ولم يزل محفوظاً سنته من كلِّ آفة أهونها الشيطان ، ووُكِّلَ به ملك كريم يحفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوق راسه ، ومن تحت قدمه .

فان مات [في]سنته حضرته ملائكة الرَّحمة ، يحضرون غسله وأكفانه ، والاستغفار له ، ويشيّعونه الى قبره بالاستغفار له ، ويفسح له في قبره مدّ بصره ، ويؤمنه الله من ضغطة القبر ، ومن منكر ونكير ان يروِّعانه ، ويفتح له باب الى الجنّة ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويعطى يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب .

وينادي مناد : هذا من زار قبر الحسين بن علي عليه السلام شوقاً اليه ، فلا يبقى أحد في القيامة الاّ تمنَّى يومئذ أنّه كان من زوار الحسين بن علي عليهما السلام»[1]

ومن الملاحظ في هذه الرواية الشريفة تأكيد الامام عليه السلام على كون الزائر مشتاقاً الى الامام الحسين عليه السلام حيث قال في مطلع الرواية : «من اتاه تشوقاً » وقال في ذيلها : « هذا من زار قبر الحسين شوقاً اليه» .

ولعلّ معنى ذلك : ان مجرد زيارة الامام الحسين عليه السلام لا

---

(١) بحار الانوار ١٠١ : ١٨ نقلاً عن كامل الزيارات : ١٤٢ .

توجب هذه الاعمال التي ذكرت في الرواية (وان كان له ثوابٌ وآثر) بل لابدّ من ان يكون المقصود صِلة الامام الحسين عليه السلام، وصِلة جدّه صلى الله عليه وآله وان يكون الزائر عارفاً بحقه عليه السلام، ومريداً لوجه الله، ويستفاد ذلك من مجموع روايات، اذ أكثر الروايات التي تذكر فضل وثواب زيارة الامام الحسين عليه السلام، لا تخلوا عن التعبير بـ: من زار الحسين عارفاً بحقه، او نحو ذلك: قال الامام الصادق عليه السلام: «يا هارون من أتى قبر الحسين زائراً له، عارفاً بحقه يريد به وجه الله والدار الاخرة، غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر»[١].

وفي رواية اخرى قال عليه السلام:

«من زار قبر الحسين عليه السلام لله في الله أعتقه الله من النار»[٢].

وقال الامام الباقر عليه السلام: «أبشر يا حمران فمن زار قبور شهداء آل محمد صلى الله عليه وآله، يريد الله بذلك وصِلة نبيه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه»[٣].

الحثّ على زيارة الامام الحسين عليه السلام:

الحثّ في روايات أهل البيت عليه السلام على زيارة الامام الحسين عليه السلام لا يكاد يحصى، واستحبابها من الامور المسلّمة عند شيعة اهل البيت عليهم السلام، بل يعتبرونها فرضاً عليهم.

---

(١) البحار ١٠١: ١٩ نقلا عن كامل الزيارات: ١٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) امالي الطوسي ٢: ٢٨ (طبعة النجف) والبحار ١٠١: ٢٠.

قال الامام الصادق عليه السلام: «*لو انّ أحدكم حجّ دهره، ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لانّ حقّ الحسين فريضة من الله تعالى، واجبة على كلّ مسلم*»(١).

وفي رواية اخرى ينهى الامام الصادق عليه السلام ترك زيارة الامام عليه السلام، لكونها جفاءً ونقصاً في الايمان:

قال عليه السلام لسدير: «يا سدير اتزور الحسين في كل يوم؟

قلت: لا جعلت فداك لا.

قال عليه السلام: فما أجفاكم؟! قال: فتزورونه في كلّ جمعه؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: فتزورونه في كلّ شهر؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: فتزورونه في كل سنّة؟

قلت: قد يكون ذلك.

قال عليه السلام: يا سدير ما أجفاكم للحسين عليه السلام، أما علمت انّ الله عزوجل ألفي ألف ملك شعثاً غبراً يبكونه، ويزورونه، لا يفترون، وما عليك يا سدير ان تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرّات او في كلّ يوم مرّة.

قلت: جعلت فداك، [انّ] بيننا وبينه فراسخ كثيرة.

قال عليه السلام لي: إصعد فوق سطحك ثم إلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك الى السماء، ثم تنحو نحو القبر وتقول: السّلام عليك يا أبا

---

(١) الوسائل ١٠: ٣٣٣، باب كراهة ترك زيارة الحسين عليه السلام ح١.

عبدالله ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، تكتب لك زورة ، والزورة حجّة وعمره»[1] .

وفي رواية اخرى ، قال عليه السلام :

« من لم يأت قبر الحسين وهو يزعم انّه لنا شيعة حتى يموت فليس هو لنا شيعة ، وان كان من أهل الجنة فهو ضيفان اهل الجنّة»[2] .

وبعد هذه النصوص نستطيع ان ندرك أهمية زيارة الامام الحسين عليه السلام وجوهرية حركته ، وكونها المحور الاساسي عند كافة أهل البيت عليه السلام ، والميزان الابرز لولائهم . وقد تلقى الشيعة هذه الروايات بغاية القبول ، وعملوا على مضمونها منذ العصور السابقة ، وحتى هذه العصور .

بل أصبحت زيارة الامام الحسين ـ عاشوراء ـ عليه السلام دواءً للأمراض المستعصية ، ونجاة من الوباءات العامة ، ونقدم في القصة ما يدلّ على ذلك .

فلابدّ للانسان المؤمن ان يداوم على زيارة الامام الحسين عليه السلام ولو كلّ يوم مرّة فما هي شيء بالنسبة لفضل هذه الزيارة وفضل صاحبها .

وأفضل زيارة للامام الحسين هي زيارة عاشوراء ، ويستحب زيارته بها في كلّ يوم ، ويتاكد الاستحباب في يوم الجمعة ، وهو آكد في ليلة الجمعة .

وقد جاء الحثّ على عدم تركها في ليلة الجمعة ، وان الملائكة

---

(١) الوسائل ١٠ : ٣٨٦ باب استحباب التسليم على الحسين في بعيد وقريب كل يوم ح ٢ .

(٢) الوسائل ١٠ : ٣٣٦ باب كراهة ترك زيارة الحسين ح ١١ .

المقربين، والرسل عليهم السلام يزورونه في ليلة الجمعة .

بل روي ان الله سبحانه وتعالى يقوم بزيارته ، لزيادة ثوابه عليه السلام :

قال صفوان الجمّال : «قال لي ابو عبدالله عليه السلام هل لك في قبر الحسين عليه السلام ؟

قلت : وتزور جعلت فداك ؟

قال عليه السلام : وكيف لا أزوره ، والله يزوره كلّ ليلة جمعة يهبط[1] مع الملائكة اليه ، والانبياء ، والاوصياء ، ومحمد أفضل الانبياء .

قلت : جعلت فداك فنزوره كلّ [ليلة] جمعة ندرك زيارة الربّ ؟

قال عليه السلام : نعم يا صفوان إلزم ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام»[2] .

آثار زيارة عاشوراء الحسين عليه السلام :

وهناك عدة آثار تترتب على زيارة الامام عليه السلام ، ويمكن تقسيمها الى ثلاثة آثار رئيسية :

١ ـ آثار دنيوية ٢ ـ آثار برزخية ٣ ـ آثار أُخروية :

---

(١) والمراد بزيارة الربّ زيادة التفضيل له عليه السلام والاّ فهو سبحانه منزه عن هذه الأوصاف .

(٢) الوسائل ١٠ : ٣٧٤ باب تاكيد استحباب زيارة الحسين كل ليلة جمعة ح ٢ .

الآثار الدنيوية :

وهى كثيرة :

منها : قضاء الحوائج .

ومنها : جلب الرزق .

ومنها : دوام النعمة .

ومنها : طول العمر .

ومنها : تفريج الهم ودفعه .

ومنها : دفع السوء والمرض .

ومنها : دفع الغرق .

ومنها : دفع الحَرْق .

واليك نصوص تلك الآثار :

فعن الحلبي : «قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام : جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك ؟

قال عليه السلام : إنّه قد عقّ رسول الله وعقّنا ، واستخفّ بأَمر هُوَ له ، ومن زاره كان الله له من وراء حوائجه ، وكفى ما أهمّه من أمر دنياه ، وانّه ليجلب الرزق على العبد ، ويخلف عليه ما أنفق ، ويغفر له ذنوب خمسين سنـة ، ويرجع الى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة الاّ وقد محيت من صحيفته ، فان هلك في سفره نزلت الملائكة فغسّلته وفتح له باب الى الجنّة ، يدخل عليه روحها حتّى ينشر ، وان سلم فُتح الباب الّذي ينزل منه رزقه ، فجعل له بكلِّ درهم أنفقه عشرة آلاف درهم وذخر ذلك له

[فاذا حشر قيل له : لك بكلّ درهم] عشرة آلاف درهم ، وانّ الله تبارك وتعالى نظر لك وذخرها لك عنده»[1].

وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قوله : «مُرُوا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فانّ إتيانه يزيد في الرزق ، ويمدّ في العمر ، ويدفع السّوء»[2].

وقال منصور بن حازم سمعته عليه السلام يقول : «من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام نقص الله من عمره حولاً ، ولو قلت : انّ أحدكم يموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً ، وذلك أنّكم تتركون زيارته فلا تدعوها يُمَدّ في اعماركم وارزاقكم ، فتنافسوا في زيارته ولا تدعوا ذلك»[3].

وقال الامام الباقر عليه السلام : «***مُرُوا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام ، فانّ زيارته تدفع الهم ، والغرق ، والحرق ، وأكل السّبع ، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالامامة من الله عزوجل***»[4].

---

(١) بحار الانوار ٤٥ : ١٧٣ نقلا عن كامل الزيارات باب نوادر الزيارات الحديث الاخير من الخاتمة .

(٢) وسائل الشيعة ١٠ : ٣٢١ باب تأكد زيارة الحسين ووجوبها كفاية ح ٨ وراجع الفقيه ١ : ١٨٣ .

(٣) الوسائل ١٠ : ٣٣٤ باب كراهة ترك زيارة الحسين ح ٤ .

(٤) البحار ١٠١ : ١ نقلاً عن امالى الصدوق : ١٤٢ .

الآثار البرزخية:

وهي الاثار التي ينالها الميت في القبر، ولم أقف على رواية من طرق أهل البيت عليهم السلام تثبت ذلك، انما رويت عدة قصص عن بعض الثقات تثبت تلك الآثار:

منها: ما رواه الميرزا جواد التبريزي (قده) في المراقبات عن أحد أجلّة الثقات من أهل العلم، أنّه كان له رفيق في صغره من أهل بلده يعرفه، ثم اذا كبر الرفيق صار عشّارا[1]، ومضى عليه مدَّة في هذا العمل، فمات ودفن في مقبرة، فرآه في النوم في حال جيّد وعيش هنييء، فسأله عن ذلك وعن سبب نجاته.

فقال: إنّي كنت معذّباً [بعد موتي] بسوء أعمالي، الى ان دفنتْ في هذه المقبرة في اليوم الفلاني، الامرأة الفلانيّة، زوجة فلان فزارها الحسين عليه السلام في اللّيلة التي دفنت فيها ثلاث مرَّات، واذا صارت المرَّة الثالثة أمر الملائكة أن يرفعوا العذاب عن جيرانها، فرفع عنّا العذاب، وحسن حالنا.

فاستيقظ من نومه، [ثم] تفقّد عن زوج المرأة فوجده وسأله عن زوجته وموتها ومكان دفنها، فكان كما أخبره العشّار، فسأله عن أحوالها وأعمالها، فلم يجد لها عملاً مربوطاً بالحسين عليه السلام، الاّ مداومتها لزيارة عاشوراء»[2].

---

(١) العشّار: الذي يأخذ أعشار أموال الناس عند اجتياز الحدود، للظلمة.

(٢) المراقبات: ٢٣٠ مع تصرف يسير.

ومنها : ما رواه السيد آية الله دستغيب في كتابه الموسوم (بالقصص العجيبة) عن العالم الفقيه الشيخ جواد مشكور انّه راى في منامه ليلة ٢٦ صفر من سنة ١٣٢٦ ان عزرائيل عليه السلام زاره فسأله من أين أتي ؟

قال : من شيراز وقبضت روح الميرزا محلاتي .

فقال الشيخ مشكور : وكيف حال الميرزا في البرزخ ؟

فقال عليه السلام : في جنّة البرزخ وبين يديه ألف ملك .

فقال الشيخ : بماذا نال ذلك الميرزا ؟ هل بدرجته العلمية وتدريسه ام بسبب صلاته الجماعية ؟ ام بسبب ايصال الاحكام الى الناس ؟

فقال : بل بسبب مداومته على قراءة زيارة عاشوراء الحسين عليه السلام .

حيث كان الميرزا محلاتي ولمدة ثلاثين عاما يداوم على زيارة عاشوراء يومياً»[1] .

الآثار الاخروية :

وهى كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ، وذلك ضمن خمس روايات :

الاولى : ما رواه ابو عبدالله الصادق عليه السلام قال : «انّ لزوار الحسين بن علي عليهما السلام يوم القيامة فضلاً على الناس .

قلت : وما فضلهم ؟

قال عليه السلام : يدخلون الجنّة قبل الناس بأربعين عاماً وساير

---

(١) القصص العجيبة ص ١٩٠ (مع تصرف) القصة الرابعة عشرة بعد المائة .

الناس في الحساب»[1].

الثانية : ما رواه ايضا الامام الصادق قال : «من زار قبر الحسين عليه السلام ، لله في الله ، أعتقه الله من النّار ، وآمنه يوم الفزع الاكبر ، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة الاّ اعطاه»[2].

الثالثة : ما رواه محمد بن أبي جرير القميّ قال : «سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول لأبي : من زار الحسين بن علي عليهما السلام عارفاً بحقّه ، كان من محدّثي الله فوق عرشه ثم قرأ : ﴿ان المتقين في جنّات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾»[3].

الرابعة : ما رواه الامام الصادق عليه السلام قال : «اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين زوّار الحسين عليه السلام .

فيقوم عنق من النّاس ، فيقول لهم : ما أردتم في زيارة الحسين عليه السلام ؟

فيقولون : أتيناه حبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وحبّاً لعلي وفاطمة عليهما السلام ، ورحمة له فيما ارتكب منه .

فيقول لهم : هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فالحقوا بهم ، فأنتم معهم في درجتهم ، الحقوا بلواء رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيكونون في ظلة ، وهو في يد عليّ عليه السلام حتّى

---

(١) الوسائل ١٠ : ٣٣١ باب تأكد زيارة الحسين عليه السلام ووجوبها كفايه ح ٤٠ .

(٢) الوسائل ١٠ : ٣٩٠ باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حبا لرسول الله صلى الله عليه وآله ح ١٠ .

(٣) البحار ١٠١ : ٧٣ عن كامل الزيارات : ١٤١ .

يدخل الجنّة»[1] .

الخامسة : ما رواه ايضا الامام الصادق عليه السلام لمعاوية بن وهب[2] قال عليه السلام : «يا معاوية من يدعو لزوّاره عليه السلام في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الارض ، يا معاوية لا تدعه ، فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمنّي أنّ قبره كان عنده ، أما تحبّ ان يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والائمة عليهم السلام ، اما تحبّ ان تكون غداً ممّن ينقلب بالمغفرة لِمَا مضى ، ويغفر له ذنوب سبعين سنة ، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن تصافحه الملائكة ، اما تحبّ ان تكون غداً في من يخرج وليس له ذنب فيتبع به ، اما تحبّ ان تكون غداً ممّن تصافح رسول الله صلى الله عليه وآله»[3] .

ولنختم الحديث عن فضل زيارة الامام الحسين عليه السلام بدعاء الامام الصادق عليه السلام لزوّار الحسين عليه السلام :

« يا من خصّنا بالكرامة ، وخصّنا بالوصيّة ، ووعدنا الشفاعة ، وأعطانا علم ما مضى وما بقي ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا ، إغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي الحسين صلوات الله عليه ، الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله ، وإجابة منهم لأمرنا ،

---

(١) الوسائل ١٠ : ٣٨٧ باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حبا لرسول الله صلى الله عليه وآله ح ١ .

(٢) عندما سمع معاوية دعاء الامام لزوار الحسين عليه السلام (الذى سوف يأتي في نهاية البحث) تعجّب فأجابه الامام بذلك .

(٣) الوسائل ج ١٠ : ٣٢١ باب تأكد استحباب زيارة الحسين ووجوبها كفاية ح ٧ .

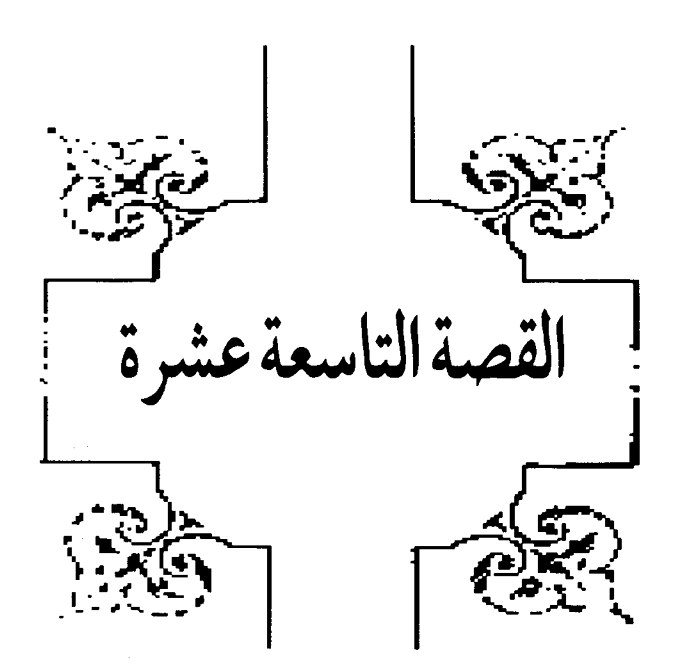
وغيظاً أدخلوه على عدوّنا ، أرادوا بذلك رضاك ، فكافهم عنّا بالرضوان واكلاهم بالليل والنهار ،واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف ، واصحبهم واكفهم شرّ كلّ جبّار عنيد ، وكلّ ضعيف من خلقك او شديد ، وشرّ شياطين الجنّ والإنس وأعطهم افضل ما أملّوا منك في غربتهم عن أوطانهم ، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم . اللهم انّ أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا ، وخلافاً منهم على من خالفنا .

[اللهم] فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشّمس ، وإرحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة ابي عبدالله عليه السلام ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي جَزعَتْ واحترقت لنا، وارحم الصّرخة التي كانت لنا .

اللهم إنّي استودعك تلك الأنفس ، وتلك ألابدان حتّى توافيهم على الحوض يوم العطش»[١] .

---

(١) المصدر السابق .



القصة التاسعة عشرة

القصة التاسعة عشرة

الحجاج وثورة القراء

عن ابي عبيدة قال :

أتى الحجّاج بقوم كانوا قد خرجوا عليه ، فأمر بقتلهم وبقي منهم واحد فأُقيمت الصلاة فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم: ليكن عندك وتغدو به علينا.

قال قتيبة خرجت والرجل معي فلمّا كنّا في بعض الطريق.

قال لي : هل لك في خير ؟ قلت و ما هو ؟

قال : عندي ودائع للناس وإنَّ صاحبك لقاتلي ، فهل لك أن تخلي سبيلي لأُودع أهلي ، وأُعطي كل ذي حق حقه ، وأُوصي بما علي ولي ، والله تعالى كفيل لي أن أرجع اليك بُكرة .

قال قتيبة : فتعجبت من قوله وتضاحَكْتُ منه . الاّ أنة أعاد عليَّ القول ، وما زال يُلحّ الى أنْ قلت :

إذهب . فلما توارى عني كأنني انتبهت ، فقلت : ما صنعت بنفسي ثم أتيت أهلى فباتوا بأطول ليلة .

فلمّا أصبحنا اذ برجل يقرع الباب فخرجت واذا به ، فقلت رجعت ؟

قال : جعلت الله كفيلا ولا أرجع ؟

فانطلقت به فلما أبصرني الحجاج قال : أين الاسير ؟

قلت : بالباب أصلح الله الامير فاحضرته وقصصت عليه القصة . فجعل يردّد نظره فيه ثم قال : وهبته لك . فانصرفت به فلمّا خرجت من الدار قلت له : إذهب أين شئت . فرفع رأسه الى السماء وقال : اللهم لك الحمد ... ولا قال لي أحسنت ولا أسأت ، فقلت فى نفسي مجنون وربّ الكعبة ... فلمّا كان اليوم الثانى جاءني . فقال : يا هذا جزاك الله أفضل الجزاء ، والله ما ذهب عني أمسي ما صنَعت ، ولكنّي كرهت ان أُشرك في حمد الله تعالى أحداً»[1] .

---

(١) الارشاد لمن طلب الرشاد : ٣٦ عن كشكول الشيخ البهائى ٣ : ٣٩٦ .

الأقوال في الأمانة :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ *قد أفلح المؤمنون ... الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون* ﴾[1].

وقال عزّت آلاؤه :

﴿ ***إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوما جهولا*** ﴾[2].

اختلف في المراد من الأمانة في الايات القرآنية الشريفة على عدة أقوال :

١ ـ فقيل : الامانة هي التكاليف الالهية التي فِعْلُها يدخل الجنّة ، وتركها يدخل النار.

٢ ـ وقيل : هي العقل ، والذي يعتبر مقدمة للتكاليف .

٣ ـ وقيل : إنّها قوله تعالى «لا اله الاّ الله» .

٤ ـ وقيل : إنّها الأعضاء والجوارح .

---

(١) المؤمنون : ٨.

(٢) الاحزاب : ٧٢.

٥ـ وقيل: هي أمانات الناس والوفاء بالعُهُود.
٦ـ وقيل: هي الولاية الالهية بما فيها علماً وعملاً.
٧ـ وقيل: إنّها ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.
٨ـ وقيل: إنّها الامامة والامر والنهي.
٩ ـ ويمكن أن يقال: إنّها مجموع الاقوال الثمانية ولو بمقتضى اطلاق الآية، وعدم المنافاة بين الجمع لهم، فانّ للقرآن سبعين وجهاً ويمكن ان يحمل عليها[1].

ولسنا بصدد مداقة هذه الاقوال[2]، ولا التعليق عليها[3]، الاّ أننا ومن مجموعها ومجموع الايات والروايات، نستطيع ان نقول انّ الله على الناس امانات يجب ان يراعوها ويحفظوها، ثم يؤدوها الى أهلها.

ومن تخلف عن ذلك فقد أخلف ما عاهد به نفسه، وأُسْقِطَ من عداد المؤمنين، لانّ أداء الامانة هى المعيار في الاتصاف بالايمان [الى جانب صدق الحديث]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحجّ والمعروف،

---

(١) وسوف يتضح ذلك عند ذكر أقسام الامانات.
(٢) راجع تفسير فخر الرازي ٢٥ : ٢٣٧ وتفسير ميزان الحكمة ١٦ : ٣٥١ وتفسير نور الثقلين ٤ : ٣١٢.
(٣) حيث يمكن ان يقال بالتداخل بين الاقوال فمثلا القول الخامس يدخل تحت القول الاول لان بعض امانات الناس تكاليف الٰهية، وكذلك القول الثامن فانّه يرجع الى القول السابع؛ وهما يمكن ارجاعهما الى القول السادس؛ كما ويمكن إرجاع القول الثاني الى الرابع لان العقل جارحة من الجوارح.

وطنطنتهم بالليل ، ولكن أُنظروا الى صدق الحديث و أداء الامانة»[1] .

وسوف يتضح ذلك جلياً عند ذكر آثار الامانة و أدائها ان شاء الله .

أقسام الامانات

ويمكن تقسيم الامانات طبقاً للوجوه والاقوال المتقدمة الى ثلاثة أقسام رئيسية[2] :

١ ـ أمانة الله عزوجل .

٢ ـ أمانة الرسول صلى الله عليه وآله .

٣ ـ أمانة الناس .

أمانات الله «عزت آلاوه» :

وهى التكاليف التي أخذها سبحانه وتعالى على عباده ، الواجبة منها والمستحبة .

---

(١) بحار الانوار ٧٥ : ١١٤ نقلاً عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٥١ وامالي الصدوق : ١٨٢ وقريب منه في الكافي الشريف ٢ : ١٠٤ ، باب صدق الحديث واداء الامانة ح ٢ .

(٢) وبذلك يمكن أن نجمع بين الاقوال المتقدمة فان أمانات الله تتناسب مع القول الاول والثاني والرابع ؛ وامانات الرسول تتناسب مع القول السادس والسابع والثامن والثالث ؛ وامانات الناس تتناسب مع القول الخامس ؛ وتلك اقوال ثمانية يجمعها القول التاسع ضمن التقسيم الآتي.

كالصوم ، والصلاة ، والحج ، والزيارات ، والادعية ، وما شابه ذلك ، فيجب عليه حفظ الامانات الواجبة ، وأداؤها الى الله سبحانه ، ويستحب له اداء الامانات المستحبة الى الله عزّت آلاؤه .

وتتجسّد هذه الامانات بأفعال الانسان من خلال جوارحه الظاهرية والباطنية ، فيد الانسان جارحة لفعل الخيرات والواجبات ، وصرفها الى فعل الشرور والسرقات خيانة لأمانات الله سبحانه وتعالى .

وكذلك بصر الانسان وسمعه أمانتان استودعهما الله الانسان ليبصر الخيرات ، وآيات الله ويسمع الحقّ والصدق ، فصرفهما الى المحرمات كسماع الغيبة ، والغناء ، او النظر الى النساء خيانة لله سبحانه وتعالى .

وكذا العقل البشري ، فهو أمانة الٰهية استودعتْ لبّ الانسان ، بل لعلها امّ الامانات ومصدرها ، ليستقيم في مساره نحو الانسانية ، فصرفها الى ضد ذلك خيانة عظمى .

وامّا القلب الانساني ، فذاك الدّاء والدواء ، ذلك الامانة العظمى (١) ، التي أَمَر الله بأن تؤدي الى اهلها ، وان تُسَكَّنَ محلها الطبيعي .

ولا أراك تخالفني الرأي انّ واضعها والموضوع فيها واحد ؟!

لابدّ للانسان ان يخلّي قلبه ممّا سوى الله سبحانه وتعالى ، لعدم إمكان الجمع بين الله ذاك الكمال المطلق ، وبين غيره العدم المطلق في قلب واحد .

---

(١) وكون القلب أمانة أعظم من العقل بمكان من الاحتمال لان العقل دوره دور المبيّن ، فهو الذي يميّز الحق من الباطل ، أما القلب فهو الذي يختار الحق أو الباطل ، قال تعالى : «ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح مَن زكاها وقد خاب من دساها» .

فلنتوجه الى محلّ الانس والراحة ، الى المحلّ الطبيعي للقلوب ، ولنبتعد عما لا يدوم الاّ ساعات ولذّاته أقلّ اللذات .

فلنخرج حبّ الدنيا من قلوبنا ليدخل حبّ الله فيها عزّت آلاؤه .

لنكون قد أدينا أهم أمانة الله سبحانه وتعالى .

أمانات الرسول :

وهى على نوعين:

النوع الاول : الامانة الناطقة ، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرحمة عليهم السلام .

النوع الثاني : الأمانة الصامتة ، وهو القرآن الكريم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنّي قد تركت فيكم الثقلين ، ما ان تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وأحداهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السّماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، الا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»[1] .

امّا اهل البيت عليهم السلام فهم الثقل الاكبر والأمانة الكبرى التي يجب على كل مسلم أن يحترمها ويطيعها .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «اُنظروا أهل بيت نبيّكم ، فألزموا سمتهم ، واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدىً ، ولن يعيدوكم في ردىً ، فان لبدوا فالبدوا ، وان نهضوا فانهضوا»[2] .

---

(١) البحار ٢٣ : ١٠٧ وانظر كنز العمال ١ : ١٧٢ .

(٢) ميزان الحكمة ١ : ١٩٢ عن شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ٧ : ٧٦.

امّا القرآن فأداء الامانة فيه تكون باحترامه ، والمداومة على قراءته والتدبر فيه ، وأن يحكّم في كلّ صغيرة وكبيرة ، فانّه «حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، وطريقته المثلى ، المؤدّي الى الجنّة ، والمنجيّ من النّار ، لا يخلق من الأزمنة ، ولا يغثّ على الألسنة ، لأنّه لم يُجعل لزمان دون زمان ، بل جُعِل دليل البرهان ، وحجّة على كل إنسان ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[1]

أمانات الناس :

وهي على قسمين: امانات خاصة ، وامانات عامة .

الامانات الخاصة على نوعين:

الاول : الامانات الشرعية : وهي التي ألزم الشرع المقدس الانسان بها كوقوع مال لشخص معين في يد شخص آخر قهراً ، او لضرورة ما ، فانّه يجب عليه حفظ هذه الامانة حتى ايصالها الى صاحبها .

الثاني : الامانات المالكية : وهي التي يُعلم صاحبها ، والذي بنفسه قام ووضعها بيد شخص آخر كأمانه ، فهذه ايضا يجب حفظها وأداؤها الى أهلها .

أما الأمانات العامة : فهي أمانات الفقراء والمساكين، وهي إما واجبة وإما مستحبة .

والواجبة من قبيل : الخمس ، والزكاة ، والمظالم ، والنذورات ، وما شابه ذلك ، فيجب على كل مسلم أن يُخرج من أمواله قسماً خاصاً

---

(١) رواية عن الامام الرضا عليه السلام راجع البحار ٩٢ : ١٤ .

ويعطيه الى أصحابه ، وهم الفقراء ، والمساكين ، عبر المراجع العظام وتسمى بالصدقة الواجبة .

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم وصل عليهم إنّ صلواتك سَكَنٌ لهم ، والله سميع عليم﴾[1] .

وتعتبر هذه الصدقة تطهيراً للانسان وأمواله ، على العكس مما هو شائع بين عامة الناس ، حيث يرون أنّ ذلك خسارة مادية لهم ، وسوف نبحث ذلك مفصلاً في الجزء الثاني تحت عنوان (الصدقة تأمين الـهي لك ولأموالك وعيالك) .

وما ذلك الاّ لانّ إعطاء مثل هذه الصدقة ، يعتبر تجارة مع الله .

قال تعالى في محكم كتابه : *﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانيّة ، يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾*[2] .

اما المستحبة : وهي المعروفة بالصدقة المستحبة فكأطعام الفقراء ، والمساكين، ودفع الاموال لانفاقها على المساجد ، والمشاريع العامة .

وسوف يأتي تفصيل البحث في الجزء الثاني عند البحث عن الصدقة والتأمين إنْ شاء الله .

---

(١) التوبة : ١٠٣ .

(٢) فاطر : ٢٩ .

أداء الامانة وآثارها :

يجب على كل انسان أداء الامانة الى أهلها ، سواء كان صاحب الأمانة مؤمناً ام كافرا .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أدّوا الأمانة ولو الى قتلة أولاد الانبياء عليهم السلام»[١] .

ويترتب على أداء الامانة عده آثار جديرة بالذكر ، ولعلّ أهمها هي الآثار الاجتماعية لأداء الامانة :

وهي على ثلاثة أقسام : آثار اجتماعية لصلاح المجتمع ، وآثار اجتماعية لإستقامته ، وآثار اجتماعية لرقيه وتكامله :

١ ـ اما الآثار المرتبطة بصلاح المجتمع :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الامانة نظاما»[٢] .

فانّ المجتمع بأفراده اذا التزم بأداء الامانات الى أهلها ، لإمتنعت الخيانة منه ، ولقلّت السرقات ، وعدمت المنكرات ، وزالت المفاسد ، وبذلك يكون المجتمع قد صلح من هذه الناحية ، وأصبح النظام فيه بعيداً عن الخيانة .

فأداء الامانة لها أثر كبير في صلاح المجتمع وإقامة إعوجاجه ، فلابدّ للانسان أن يؤدي هذه الامانات الى أهلها ولا يتعدّى على حقوق غيره.

---

(١) البحار ٧٥ : ١١٥ عن الخصال ٢ : ١٥٧ .

(٢) نهج البلاغة : ٥١٢ الحكمة : ٢٥٢ .

قال تعالى : ﴿ *انّ الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل* ﴾[1] .

٢ ـ أما الاثار المرتبطة باستقامة المجتمع : فهى كفرض العدل الخاص منه بالفرد أم العام .

فانّ المجتمع بعد صلاحه من الاعوجاج ، وإزالة الفساد والمنكرات منه ، يحتاج الى ميزان ليدوم هذا الاصلاح ، وما ذلك الاّ بالعدل .

٣ ـ أما الآثار المرتبطة برقي المجتمع : فكالتعاون الاجتماعي بين الأفراد ، لرفع الحرمان والبطالة ، وما شابه ذلك .

فانّ رقي المجتمع وإزدهاره ، متوقف على التعاون الدائم بين أفراد المجتمع ، لأنّ الكفاءات مختلفة فيما بين الناس ، والافكار متفاوتة بين المفكرين، والقوى متميزة عند العمال ، والعلوم متفاضلة عند العلماء .

فلكي تجتمع كلّ هذه الكفاءات لابدّ من التلاقي والتلاقح بين أفراد المجتمع . وهنا إذا تعامل الناس بالأمانة فيما بينهم أمكن التلاقي ، أو قلْ ازيلت الموانع امام التعاون .

امّا اذا كانت الخيانة متفشية في المجتمع ، فانّ الموانع كثيرة أمام التعاون والتلاقي ، فيحرم المجتمع من الرقي .

ولكل من هذه الاقسام تفريعات وشقوق لو أردنا ذكرها لطال بنا المقام .

ومن الآثار المترتبة على أداء الامانة جلب الرزق :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الامانة تجلب الغناء ، والخيانة

---

(١) النساء : ٥٨ .

تجلب الفقر»[1].

ومن الآثار تحقيق رضى الله تعالى:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «*من خان جاره شبراً من الارض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقاً، إلاّ أن يتوب ويرجع*»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «ومن خان أمانة في الدنيا، ولم يردّها الى أهلها، ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان»[3].

ومن الاثار تسهيل عبور الصراط لانها إحدى جنبتيه:

قال أبو ذر (رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حافّتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة، فاذا مرّ الوصول للرّحم، والمؤدي للأمانة نفذ الى الجنّة، واذا مرَّ الخائن للامانة، القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل، وتكفّأ به الصراط في النار»[4].

---

(١) البحار ٧٥: ١٧١ عن قرب الاسناد: ٥٥.

(٢) اي حتى يردّ ما اغتصبه.

(٣) البحار ٧٥: ١٧١ عن امالى الصدوق: ٢٥٣.

(٤) اصول الكافي ٢: ١٥٢ باب صلة الرحم ح ١١.



القصة العشرون

القصة العشرون

سبب توبة مالك بن دينار

قال في تفسير «روح البيان» :

سئل ما لك بن دينار عن سبب توبته وتوجهه الى الله فقال :

كنت في مستهل عمري جندياً سكيرا ، فاشتريت جارية وتعلقتُ بها كثيرا ، ومنّ الله عليّ منها بطفلة فأحببتها حبّاً كبيرا ، وكان حبّها يزداد في قلبي يوماً بعد يوم ، وكانت هى كذلك شديدة التعلق والانس بي .

وكنت كلّما أتناول كأس الخمر لأشربها ، كانت تأخذه مني وتريقه على ثيابي ، وعندما بلغت الثانية من عمرها ماتت ، فتأثرت لموتها كثيرا ، ولم يعد يقرّ لي قرارا ، وفي احدى ليالي جمعة شوال ، شربت الخمر ولم اصل العشاء ، ونمت ، فرأيت في النوم

كأنّ أهل المقابر خرجوا جميعاً وهم في المحشر، وأنامعهم، فسمعت من خلفي صوتاً فنظرت واذا بأفعى سوداء ضخمة لا يتصور اكبر منها، وهي فاغرة فاها مسرعة نحوي.

وبرعب ودهشة شديدين فررت من أمامها! فأخذت تطاردني!

فالتقيت في الطريق أثناء فراري برجل عجوز حسن الوجه والرائحة، فسلّمت عليه، فردّ السلام.

قلت له: أغثني واحمني.

قال: أنا في مقابل هذه الافعى عاجز، ولكن اذهب بسرعة لعلّ الله يهيء لك وسائل نجاتك.

فمضيت هارباً مسرعاً، حتى وصلت الى منزل من منازل القيامة، فرأيت هناك طبقات جنهم وأهلها، وكدت لشدّة خوفي من الافعى ان أرمي بنفسي في جهنم، فإذ بصوت يقول: ارجع لست من أهل هذا المكان.

فاطمأن قلبي ورجعت، واذا بالافعى تطاردني

ثانية ، فهربت من أمامها حتى وصلت الى ذلك العجوز ، فقلت له : ايها العجوز احمني وأغثني .

فبكى العجوز وقال : أنا عاجز ، ولكن اذهب نحو هذا الجبل الذي فيه أمانات المسلمين ، فاذا كانت لك أمانة فستساعدك .

فنظرت الى ذلك الجبل فرايت فيه غُرفاً أُرخيت عليها ستائر ، وأبواب تلك الغرف من الذهب الاحمر المرصع بالياقوت والدر، فتوجهت تجاه الجبل والأفعى تطاردني . وعندما اقتربتُ صـاح ملك : ارفعوا الستائر وافتحوا الأبواب واخرجوا ، لعل لهذا المسكين أمانة بينكم فتحميه .

واذ بأطفال وجوههم كالقمر الساطع قد خرجوا فوجاً فوجاً .

وفجأة رايت ابنتي التي ماتت بينهم ، وبمجرد أن رأتني بكت وقالت : والله هذا أبي ، ثم وضعت يدها اليسرى في يدي اليمنى ، وأشارت بيدها اليمنى الى الافعى فرجعت .

ثم جلست إبنتي في حضني ووضعت يمناها على لحيتي وقالت يا أبت:

﴿ *ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون* ﴾[1].

فبكيت وقلت: ابنتي انت تقرائين القرآن ؟

قالت: يا أبتِ، انّ معرفتنا بالقرآن أفضل من معرفتكم به.

قلت: أخبريني ما هذه الأفعى ؟

قالت: هي عملك السيء الذي قويته وكان يريد إلقاءك في جهنم!

قلت: وذلك العجوز ؟

قالت: اعمالك الصالحة التي ضعفتها بحيث لم تستطع ان تساعدك على أعمالك القبيحة.

قلت: ابنتي ماذا تفعلين في هذا الجبل ؟

---

(١) الحديد: ١٦.

قالت : نحن أطفال المسلمين الذين جئنا في طفولتنا من الدنيا الى هنا ، وقد أسكننا الله هنا الى القيامة ، ونحن ننتظر أباءنا وامهاتنا ليأتوا إلينا فنشفع لهم .

فاستيقظت مذعورا وتركت شرب الخمر وسائر الذنوب ، وتبت الى الله عزوجل[١] .

---

(١) نقلا عن القلب السليم ٢ : ١٧ .

تأثير الذنوب على القلوب :

عملية توازن طبيعية بين الحسنات والسيئات ، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره .

يراه أمام عينيه ، امّا على هيئة أفعى ، او خنزير ، أو كلب ، وامّا على هيئة عجوز حسن الرائحة ، او شاب جميل المنظر طيب الرائحة !!

تتجسد أعماله ذرّة فوق ذرّة ليعاينها متعجباً نادماً .

قال تعالى عزّت الاؤه : ﴿وامّا من أُوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أُوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنّي ماليه هلك عنّي سلطانيه﴾[1] .

يندم حين لا ينفع الندم ، وبعد ذهاب وقته قال تعالى :

﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون . لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلاً إنّها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾[2] .

الاّ ان القليل هم الذين يوفقون للرجعة ، ولكنّها رجعة من موت آخر ، رجعة من نوم كان قد نامه على معصية ليستيقظ على طاعة ، طاعة الله تعالى تتبعها استقامة بعد توبة مصحوبة بالندم .

نعمة يمنحها الله من يشاء من عباده ، نعمة لا نعمة بعدها .

---

(١) الحاقة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .

ومن هؤلاء مالك بن دينار.

ذلك العبد الذي كان غارقاً ببحر من الذنوب، كاد أن يغطي القلب لولا النعمة الربانيّة، كاد ان يختم على قلبه لولا الطفلة الصغيرة.

أدركه الله بلطفه لأنّه استفاد من موعظة أخذها عن طفلة صغيرة.

لقّن قلبه آية من الذكر الحكيم، ما بعدها آية، تفكّر في قوله تعالى:

﴿ألم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾[1].

فانفتح قلبه على معرفة الله تعالى، فاستقام على الطريقة المثلى.

فأين نحن؟!

اذا كان مالك قد استفاد من آية لقنتها إياه طفلة صغيرة، فما بالنا لا نستفيد من آيات وآيات ومن أفضل من طفلة، من علماء أعلام، وصلحاء ابرار؟

ماذا ينتظر كلّ انسان منّا؟

أينتظر ان تموت له طفلة - لا سمح الله - حتى تؤثر به الموعظة؟

ام ينتظر مرور الزمن ليزيل الرين الذي كاد ان يغطي صفحة القلب؟

فلنتوجه الى الله بقلوب صافية، واعين باكية، واسماع واعية، وأرواح مجردة، لعلّه يدركنا بلطفه ورحمته، او لعلّنا نستفيد من نِعَمِ الله التي لا نقدر على احصائها.

فلنحاول إزالة الريونات التي وضعناها على قلوبنا قبل ان نصل الى قوله تعالى عزّت آلاوه:

---

(١) الحديد ١٦.

﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلاّ إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ .

غفر الله لنا ولكم ، وشملنا برحمته الواسعة ، انه لطيف بعباده .

والحمد لله ربّ العالمين .

مسك الختام

دعاء

« اللهم نوّر ظاهرنا برحمتك ، وباطننا بمعرفتك ، وقلوبنا بمحبتك ، وأرواحنا بمشاهدتك ، وأسرارنا بإستقلال إتصال حضرتك ، وصل على محمّد وآله ، وارزقنا بهم مغفرة بلا عذاب ، وجنّة بلا حساب ، وعفوا بلا عتاب ، ورؤية بلا حجاب ، بمحمد وآله الاطياب» .

* * *

« اللهم أوقفنا من اليقين على أوضح حجة ، ووفقنا من البراهين على أرجح محجّة ، واكشف عن أبصارنا غواشي الميول الشهوانية ، واصرف عن أبصارنا ملاحظة الأمور الجسمانية ، واجعلها وقفاً على ملاحظة جلالك ، مبتهجة باشراق أنوار جمالك ، حتى لا نعرج على من سواك بنظر ، ولا نقف له على عين ولا أثر ، واجمع بيننا وبين إخوان الصفا في دار كرامتك ، واجعلنا من الفائزين بالقرب منك ، برحمتك يا ارحم الراحمين ، انك سميع الدعاء لطيف لما تشاء» .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم　　　　نهج البلاغة

[ألـف]

أمالي المفيد		ط . جامعة المدرسين ، سنة ١٤٠٣هـ　إيران
أمالي الصدوق		ط . النجف
أمالي الطوسي		ط . النجف
أعيان الشيعة	للسيد الأمين	دار التعارف ، بيروت
أعلام الورىٰ	للديلمي	مؤسسة أهل البيت
الأنوار البهية	للقمي	دار الشريف الرضي
الآداب المعنوية للصلاة	الإمام الخميني	ط . بيروت
الاحتجاج	للطبرسي	ط . نشر المرتضىٰ
الاختصاص	للمفيد	ط . جامعة المدرسين
إحياء علوم الدين	للغزالي	دار المعرفة ، بيروت
أسد الغابة	للجزري	ط . سنة ١٢٨٠هـ ق .
أوائل المقالات	للشيخ المفيد	مكتبة الداوري ، قم
الإرشاد لمن طلب الرشاد		ط . بيروت

[ب]

بحار الأنوار	للمجلسي	المكتبة الإسلامية، طهران
بصائر الدرجات	للصفار	مكتبة المرعشي، قم
البرهان في تفسير القرآن	للبحراني	ط. اسماعيليان، قم

[ت]

تفسير الفرات	لفرات الكوفي	ط. إيران
تفسير القمي		دار الكتاب، قم
تفسير الميزان	للسيد الطباطبائي	جامعة المدرسين، قم
تفسير الرازي		دار احياء التراث العربي
تفسير نور الثقلين	للحويزي	ط. اسماعيليان، قم
التوحيد	للصدوق	جامعة المدرسين، قم
تهذيب الأحكام	للطوسي	ط. النجف
تاريخ الخلفاء	للسيوطي	ط. سنة ١٣٧١هـ، مصر
تحف العقول	للحراني	ط. النجف
تهذيب الأخلاق	لابن مسكويه	ط. بيروت
تذكرة خواص الأئمة	لابن الجوزي	ط. النجف
تاريخ جرجان	للسهمي	ط. سنة ١٣٨٧هـ، الهند.
تاريخ ابن خلدون		دار احياء التراث، بيروت
تاريخ الطبري		مؤسسة الأعلمي، بيروت

[ث]

ثواب الأعمال		ط. النجف

[ج]

جامع السعادات	للنراقي	ط . الأعلمي
	[ح]	
الحب والمحبة الالهية	لابن عربي	ط . دمشق
الحياة السياسية للإمام الرضا	للعاملي	ط . إيران
	[خ]	
الخصال	للصدوق	ط . النجف
الخرائج	للراوندي	ط . مصطفوي، إيران
	[ر]	
روضة الواعظين	للنيسابوري	ط . سنة١٣٨٦هـ، النجف
رجال النجاشي		دار الاضواء، بيروت
	[س]	
سنن ابن ماجة	للقزويني	دار الكتاب اللبناني
سفينة البحار	للقمي	مؤسسة انتشارات فراهاني، أيران
	[ش]	
شرح دعاء السحر	للإمام الخميني	ط . إيران
شرح نهج البلاغة	لابن ميثم	دفتر تبليغات أسلامي، قم
شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد	ط . إيران
شرح نهج البلاغة	لصبحي الصالح	ط . بيروت

[ص]

الصحيفة السجادية		
صحيح البخاري		ط. سنة ١٣٠٩هـ، مصر

[ع]

عيون اخبار الرضا	للصدوق	ط. النجف
علم اليقين	للكاشاني	انتشارات بيدار، قم
علل الشرائع	للصدوق	ط. النجف

[غ]

غيبة النعماني		ط. النجف
غيبة الشيخ	للصدوق	ط. النجف

[ف]

فرائد السمطين	للجويني	ط. بيروت
الفتوحات الإسلامية	لدحلان	ط. مصر.
فلاح السائل	لابن طاووس	ط. إيران

[ق]

القصص العجيبة	لدستغيب	دار الكتاب الإسلامي، قم
القلب السليم	لدستغيب	دار البلاغة، بيروت

[ك]

الكشكول	للبهائي	مطبعة الحكمة، قم
الكافي	للكليني	دار الاضواء، بيروت
كشف المحجة	لابن طاووس	ط . إيران
كشف الغمة	للاربلي	المطبعة العلمية، قم
الكامل في التاريخ	لابن الأثير	ط . بيروت
الكنىٰ والالقاب	للقمي	ط . النجف
كنز العمال	للهندي	مؤسسة الرسالة، بيروت

[ل]

اللمعة الدمشقية	للشهيد الأول	ط . جامعة النجف

[م]

ميزان الحكمة	للري شهري	مكتبة الاعلام، قم
مناقب آل أبي طالب	لابن شهرآشوب	انتشارات علامة، قم
المراقبات	للتبريزي	انتشارات الإمام المهدي، قم
مرآة العقول	للمجلسي	دار الكتب، طهران
مجمع البيان	للطبرسي	دار المعرفة، بيروت
مفاتيح الغيب	لملىٰ صدرا	مؤسسة فرهنكي، إيران
محاضرات في الأصول	للفياض	انتشارات موسى الصدر
من لا يحضره الفقيه	للصدوق	دار الاضواء، بيروت
مصباح الشريعة		ط . ايران
المستند	لأحمد بن حنبل	ط . مصر
مجاني الأدب في حدائق العرب		ط . بيروت
المنجد في اللغة		ط . بيروت
معاني الاخبار	للصدوق	جامعة المدرسين، قم

[و]

وسائل الشيعة — للحر العاملي — المكتبة الإسلامية، طهران

[ي]

الينابيع الفقهية — لعلي مرواريد — الدار الإسلامية، بيروت

محتويات الكتاب موضوعياً

ج ـ الابحاث الاجتماعية: . . . . صفحة

فهرس الاحاديث

الف

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الآيات

بسم الله الرحمٰن الرحيم

فهرس الأشعار

واعطاه ما أبقى عليه مهابة
فأورثه علما وحلماً وسؤددا
فيا خير خلق الله بل خير مرسل
لقد طبت في الاعراق نشأ ومحتدا
بأنك عبد الله بل أنت كونه
وأنت مضاف الكاف شرعاً وما عدا
فعينك عين السر والسمع سمعه
وانت الكبير الكل للعين إن بدا
وأنت الذي اكني إذا قلت كنية
وانت الذي أعني إذا ما تمجدا ٣٢
معشر منهم رسول الله واله
كاشف الكرب إذا الكرب عرى
صهره الباذل عنه نفسه
وحام الله في يوم الوغى
أول الناس إلى الداعي الذي
لم يقدم غيره لما دعا ٤٢
انت العلي الذي فوق العلى رفعا
ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا
وأنت ذاك الهزبر الانزع البطل
الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وانت يعسوب نحل المؤمنين إلى
أي الجهات انتمى يلقوه تبعا ٤٣
قوفان آل محمد في الارض غرق جهلها
وسفينتهم حمل الذي طلب النجاة وأهلها ٥٧

هم الشموس بها الاقمار مشرقة
هم البدور ميزان وقد عملوا
هم البحار بها الأمواج طامية
والناس محتاج ماء ما لهم نهل
لؤلاهم لم يكن شمس ولا قمر
ولا سماء ولا سهل ولا جبل ٥٧
وقالت أم ايمن جئت يوماً
إلى الزهراء في وقت الهجير
فلما أن دنوت سمعت صوتاً
وطحناً في الرحاء له الهدير
فجئت الباب أقرعه ملياً
فما من سامع أو من مجير
إذ الزهراء نائمة سكوت
وطحن الرحاء بلا مدير
فجئت المصطفى فقصصت شأني
وما عانيت من أمر ذعور
فقال المصطفى شكراً لربي
باتمام الحباء لها جدير
رآها الله متعبة فألقى
عليها النوم ذو المن الكبير
ووكل بالرحى ملكاً مديرا
فعدت وقد ملئت من السرور ٧١
تلك التي احمد المختار والدها
وجبرئيل أمين الله رباها

الله طهرها من كل فاحشة
وكل ريب وصفاه وزكاه ٧٧
سلام على الحسن المرتجى
كنور بدا في دجى مظلم
سبقت العالمين إلى المعالي
بحسن خليقة وعلّو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في
ليال في الظلالة مدلهمّه
يريد الجاحدون ليطفؤه
ويأبى الله إلا أن يتمه ٩٥
لكسرة من خسيس الخبز تشبعني
وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني
حياً وان منت تكفيني لتكفيني ٨٥
لله دركم يا آل ياسينا
يا أنجم الحق اعلام الهدى فينا
لا يقبل الله إلا مع محبتكم
اعمال عبد ولا يرضى له دينا
بكم اخفف اعباء الذنوب بكم
بكم اثقل في الحشر الموازينا
سآء بن آكلة الاكباد منقلباً
إذ جر حرب ابيكم يوم صفينا
الشمس ردت عليه بعدما غربت
من ذا يطيق لعين الشمس تطينا

مهما تمسّك بالأخبار طائفة
فقوله وال من والاه تكفينا ١١٣ و٢٣٨
لنحن على الحوض ذواده
نذوق ونسقي رواده
ومن سرنا نال منا السرور
ومن ساءنا ساء ميلاده
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليه الدود يقتتلُ
قد طالما اكلوا دهراً وقد شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا ١٢٣
ناداهم صارخ من بعدما دفنوا
اين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل ١٢٥
يا أرض طوس سقاك الله رحمته
ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيبها
شخص ثوى بسنا آباد مرموس
يا قبر انت قبر قد تضمنه
حلم وعلم وتطهير وتقديس
فافخر بأنك مغبوط بجثته
وبالملائكة الابرار محروس
أمست نجوم سماء الدين آفلة
وظل أسد الشرى قد ضمها الخيس

حتـــى متـــى يظهـــر الحـــق المنيـــر بكـــم
فـــالحـــق فـــي غيـــركـــم داج ومطمـــوس ٢٣٠
يـا عـروة الـديـن المتيـن وبحـر علـم العـارفينـا
يـــا قبلـــة لـــلاوليـــاء وكعبـــة للطـــائفينـــا
مِـن أهـل بيـت لـم يـزالـوا فـي البـريـة مُحسنينـا
التـائبيـن العـابـديـن الصـائمِيـن القـائمينـا
العـالميـن الحـافظيـن الـراكعيـن السـاجـدينـا
يـا مـن إذا نـام الـورى بـاتـوا قيـامـاً سـاهـرينـا ١٥١
معجـــزة للعـــالـــم الـــربـــانـــي
الصـــادق اللهجـــة واللســـان ١٦٥
ســـا ســـاجـــداً غـــدوة لله مبتهـــلاً
إلـــى الـــزوال بضيـــق السجـــن مـــرهـــونـــا
طـــالـــت لطـــول سجـــود منـــه ثفنتـــه
فقـــرحـــت جبهَـــة منـــه وعـــرنينـــا
رأى فـــراغتـــه فـــي السجـــن منيتـــه
ونعمـــة شكـــر البـــاري بهـــا حينـــا ١٩٣
قـــوم أبـــوهـــم سنـــان حيـــن تنسبهـــم
طـــابـــوا وطـــاب مـــن الاولاد مـــا ولـــدوا
لقـــد كـــان يقعـــد مـــن الشمـــس مـــن احـــد
قـــوم بـــاحســـابهـــم ومجـــدهـــم قعـــدوا
جـــن إذا فـــزعـــوا انـــس إذا امنـــوا
مـــرزقـــون بهـــا ليـــل إذا قصـــدوا ٢٣٩
ستنقطـــع اللُـــذَاذَة عـــن أنـــاس
مـــن الـــدنيـــا وتنقطـــع الهمـــوم

سهرت عن الفناء وانت تفنى
فما شيء من الدنيا يدوم ٢٤٣
هل الدنيا وما فيها جميعاً
سوى ضل يزول من النهار
تفكر أين أصحاب السرايا
وارباب الصوافن والعشار
كأن لم يُخلقوا أو لم يكونوا
وهل حي يصان عن البوار
أفي السبخات يا مغبون تبني
وما يُبقي السباخ على الاساس ٢٤٤
الناس من جهة التمثال أكفاء
أبوهم آدم والأمّ حواء
فإن يكن لهمُ في أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ
على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقد كان امرىء ما كان يُحسنُهُ
والجاهلَون لأهل العَلم أعداء
ففز بعلم تعيش حياً به ابدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء ٢٤٦
باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غَلْبُ الرجال فلم تنفعهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
وأُودعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا

نــاداهـــم صـــارخ مـــن بعـــد مـــا دفنـــوا
أيـــن الأســـرة والتيجـــان والحُلـــلُ
أيـــن الـــوجـــوه التـــي كـــانـــت منعمـــة
مـــن دونهـــا تضـــرب الاستـــار والكِلَـــلُ
فـــأفصـــح القبـــر عنهـــم حيـــن ســـاءَلَهـــم
تلـــك الـــوجـــوه عليهـــا الـــدودُ يقتتـــلُ
قـــد طـــالمـــا اكلـــوا دهـــراً وقـــد شـــربـــوا
فـــاصبحـــوا بعـــد طـــول الأكـــل قـــد أُكلـــوا
وطـــالمـــا شيّـــدوا دوراً لتحصنهـــم
ففـــارقـــوا الـــدور والأهليـــن وانتقلـــوا
سَـــل الخليفـــة إذ وافَـــتْ منيّتـــه
أيـــن الجـــود وايـــن الخَيـــلُ والخَـــوَلُ
أيـــن الكفـــاة ألَـــمْ يكفـــوا خليفتهـــم
لمـــا رأوه صـــريعـــاً وهـــو يبتهـــل
ايـــن الـــرمـــاة ألـــم تمنـــع بـــأسهمهـــم
لمـــا أتتّـــكَ سهـــام المـــوت تنتعـــل
مـــا بـــال قبـــرك لا ينشـــى بـــه احـــدٌ
ولا يطـــور بـــه مـــن بينهـــم رَجُـــلُ
مـــا بـــال قصـــرك وحشـــاً لا أنيـــس بـــه
يغشـــاك مـــن كَنَفَيْـــه الـــروع والـــوَهَـــل
مـــا بـــال ذكـــرك منيـــاً ومُطـــرَّحـــاً
وكلهـــم بـــاقتســـام المـــال قـــد شُغلـــوا
وكيـــف يـــرجـــو دوامَ العيـــش متصـــلاً
وروحـــه بحبـــال المـــوت متصـــلُ

وجسمه للُبَانات الردى غرض
وَمُلكُهُ زَائل عنه ومنتقلُ ٢٩١
ما الفخر إلّا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن اسْتَهْدَى أدلاء
ففز بعلم تعش حياً به ابدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء ٢٩٩
صاحب العصر الإمام المنتظر
من بما يأباه لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر
خير اهل الأرض في كل الخصال
الإمام ابن الإمام ابن الإمام
قطب أفلاك المعالي والكمال
يا أمين الله يا شمس الهدى
يا إمام الخلق يا بحر الندى
عجلّن عجّل فقد اطال المدى
واضمحل الدين واستولى الضلال ٣٣٣
أُماه قد شاب رأسي وانطوى العُمُر
ولم يزل ملؤ أنفي حَيْبُكِ العَطِرُ
عليهم اللبن الثديين باقية
ومن شفاهي ومن أقذائها أثَرُ
أُماه إنْ كانت الجنّات موقعها
من تحت رجليك فيما يُنقل الخبر
فما بصدرك من خير ومن كبَر
يَضَلُ أكبر ممّا تُحَدّثُ الفِكَرُ ٣٨٢